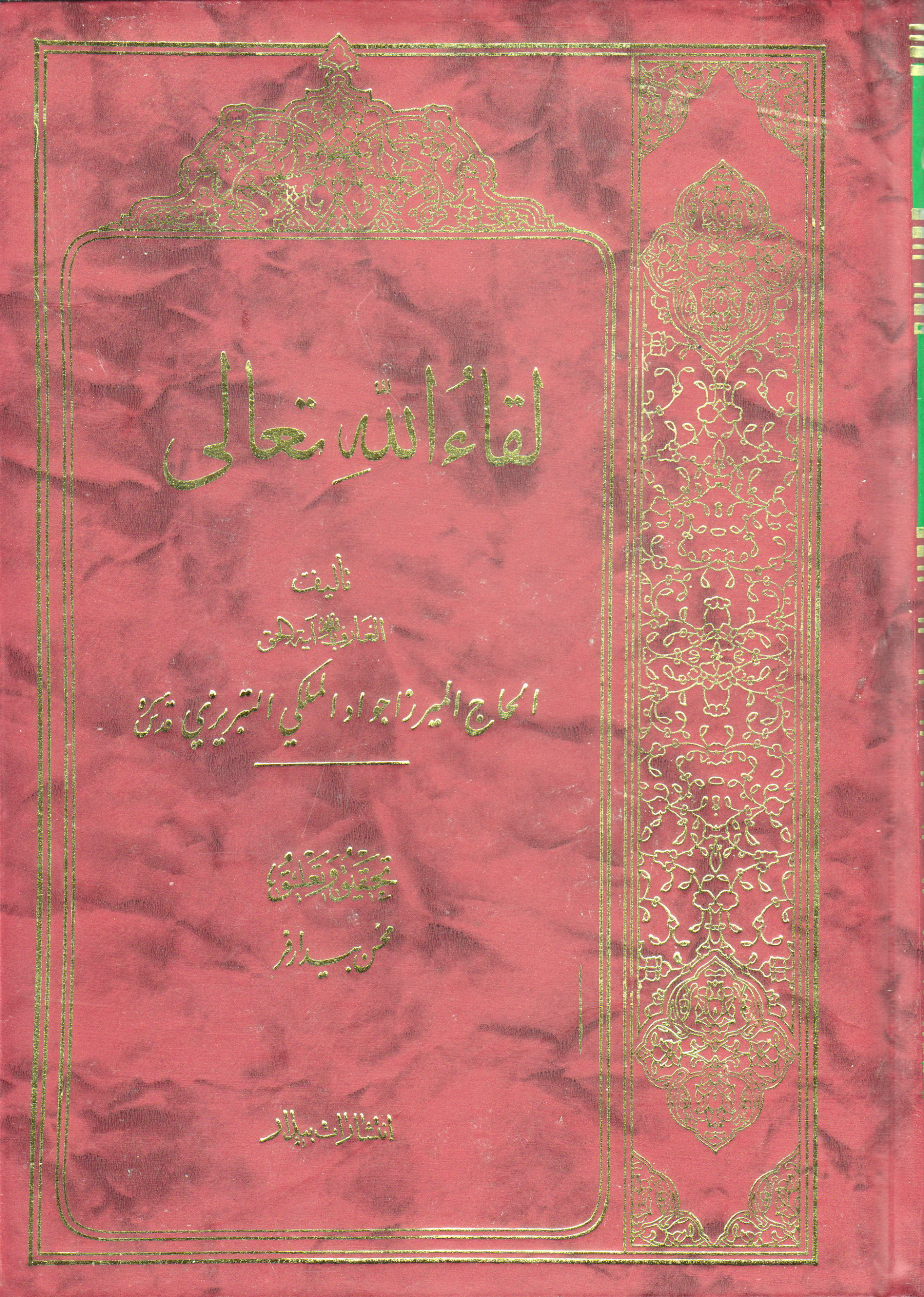

لقاء الله تعالى
تأليف
العارف بالله آية الحق
الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي قدس سره
تحقيق وتعليق
محسن بيدارفر
انتشارات بيدار

لقاء الله تعالى

تأليف

العارف بالله آية الحق

الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي قدس سره

تحقيق وترجمة

محسن بيدارفر

انتشارات بيدار



الكتاب	لقاء الله تعالى
المؤلف	الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي ـ قدّس سرّه
تحقيق وترجمة	محسن بيدارفر
الناشر	منشورات بيدار ، قم، ☏ : ٧٧٤٣٤٢٩
المطبعة	شريعت، قم
الطبعة	الأولى
سنة الطبع	١٣٨٨ش ١٤٣٠ق
عدد المطبوع	١٠٠٠ نسخة
ردمك : ٣ـ٣٧ـ٧١٥٥ـ٩٦٤ـ٩٨٧	ISBN:987-964-7155-37-3

لقاء الله تعالى

تأليف

العارف بالله آية الحق

الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي قدس سره

تحقيق و ترجمه

محسن بيدارفر

انتشارات بيدار

بسم الله الرحمن الرحيم

١) الحمد لله والصَّلاة على رسول الله وعلى آله اُمناء الله

[أقوال العلماء في معنى لقاء الله تعالى الواردة في القرآن والحديث]

٢) ورد عبارة «لقاء الله» و«النظر إلى الله» أكثرمن عشرين مرَّة في القرآن المجيد[1] وهكذا هوفي تعبيرات الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام؛ وفي المقابل ورد أخبار في تنزيه الحقِّ ـ جلَّ وعلا ـ ظاهرها تنزيه الله الصِرف من جميع مراتب المعرفة .

---

١) الآيات التي يذكر فيها «لقاء الله تعالى» أو النظر إليه في الكتاب المجيد :

١ ـ ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَوةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة : ٢/٤٥ـ٤٦] .

٢ ـ ﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/٢٢٣] .

٣ ـ ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَ اللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة/٢٤٩] .

٤ ـ ﴿وَ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجْرِىَ إلاَّ عَلَى اللهِ وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود/٢٩] .

٥ ـ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام/٣١] .

☜

٣) ولعلماء الشيعة في هذا المجال أقوال مختلفة، عمدتها قولان :

☜٦ـ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلا لِكُلِّ شَىْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/١٥٤] .

٧ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأَنُّوا بِهَا وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس/٧ـ٨] .

٨ـ ﴿وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس/١١] .

٩ـ ﴿وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَايَكُونُ لِى أنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِى إنْ أتَّبِعُ إلا مَايُوحَى إلَىَّ﴾ [يونس/١٥]

١٠ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأنْ لَمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبوا بِلِقَاءِ الله وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس/٤٥] .

١١ـ ﴿اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَكُلٌّ يَجْرِى لأجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[الرعد/٢].

١٢ـ ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ [الكهف/١٠٥] .

١٣ـ ﴿قُلْ إنَّمَا أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إلَىَّ أنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَدًا﴾ [الكهف/١١٠] .

١٤ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أوْنَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان/٢١] .

١٥ـ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ الله فَإنَّ أجَلَ الله لآتٍ وَهُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت/٥] .

١٦ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِى وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ﴾ [العنكبوت/٢٣] .

١٧ـ ﴿أوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَ الأرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَأجَلٍ مُسَمًّى وَإنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم/٨] .

١٨ـ ﴿وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِى الأرْضِ أئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة/١٠] .

١٩ـ ﴿ألا إنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ألا إنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت/٥٤] .

٢٠ـ ﴿يَا أيُّهَا الإنْسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق/٦] .

٢١ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة/٢٣] .

٤) **الأول** : التنزيه الصِرف ـ حتَّى أنَّ منتهى معرفة الله معرفة أنَّ علينا التنزيه الصِرف ـ وتأويل الآيات والأخبارالواردة في معرفة الله ولقائه تعالى، مثل أنَّهم يؤوِّلون جميع آيات اللقاء والأخبار الواردة فيها على الموت ولقاء الثواب والعقاب .

٥) **القول الثاني** الجمع بين الأخبار الواردة في التنزيه الصِرف وما جاء في التشبيه أو التي يفهم من ظاهرها إمكان المعرفة والوصول، بأن يحمل ماجاء في التنزيه الصِرف على المعرفة بالعين الظاهر ومعرفة كُنه الذات الأقدس الإلهي، ويحمل الأخبار الواردة في التشبيه واللقاء والوصول والمعرفة، على المعرفة الإجماليَّة ومعرفة الأسماء والصفات الإلهيَّة وتجلِّي مراتب الذات والأسماء وصفات الحقِّ تعالى، بالقدر الممكن منها للموجود الممكن .

٦) وبعبارة أُخرى : إذا انكشف الحُجب الظلمانيَّة والنورانيَّة للعبد يحصل له من المعرفة بذات الحقِّ وأسمائه وصفاته ماليس من النوع الحاصل له قبلُ .

٧) وبعبارة أُخرى : تتجلَّى أنوار الجمال والجلال الإلهيِّ في قلب خواصِّ أوليائه وعقلهم وسرِّهم، بدرجة تُفنيهم من أنفسهم وتُبقيهم بنفسه، وعند ذلك تُمحيهم في جماله وتستغرق عقلهم في معرفته، وهو بنفسه يقوم مقام عقلهم ويدبِّر أمورهم .

٨) على أنَّ بعد جميع هذه المراتب ـ وكشف سُبحات الجلال وتجلِّي أنوار الجمال والفناء في الله والبقاء به ـ يكون حاصل هذه المعرفة رؤية عجزه عن الوصول إلى كنه معرفة الذات، رؤيةً بالكشف والعيان .

٩) نعم، هذه عجزٌ عن المعرفة، وعجز سائر الناس أيضاً عجزٌ عن المعرفة، ولكن أين هذا من ذاك ؟!

١٠) فالجماد عاجزٌ عن معرفة الله تعالى والإنسان أيضاً عاجزٌ، ولكن نعلم

يقيناً أنَّ مراتب الفرق بين عجزأعلم خلق الله ـ محمد بن عبد الله ﷺ ـ بالقياس إلى عجز سائرالناس ـ بل بالقياس إلى علماء أُمَّته ـ أكثرمن الفرق الموجود بين الجماد بالقياس إلى الإنسان .

١١) وخلاصة الكلام أنَّ نظر طائفة من متكلّمي علماء الأعلام الطريق الأوَّل[١]، مستدلاً بظواهر بعض الأخبار وتأويلاً للآيات والأخبار والأدعية الواردة في ذلك .

١٢) وهذا الحقير ـ اللابضاعة له ـ يريد ذكر بعض الآيات والأخبار الواردة في هذا المعنى مع تأويلاتهم، حتى يُعلم الحقُّ من الباطل .

[نقد الأقوال في تفسير لقاء الله تعالى]

١٣) فمن ذلك آيات ذكر فيها اللقاء مع الله تعالى[٢] :

١٤) أجابت الطائفةُ الأُولى عن هذه الآيات بأنَّ المراد منها الموت ولقاء الثواب الإلهي[٣] .

---

١) وذلك صريح كلمات الشيخ الأحسائي وتابعيه، ولكنّهم يؤوّلون اخبار اللقاء والمعرفة إلى الوجه الثاني ـ الذي سنذكره ـ ويثبتون جميع الأسماء والصفات لمرتبه المخلوق الأوّل، وحتى لايرون الذات الأقدس الإلهيّ منشأ انتزاع للصفات وينزّهونه بصرف التنزيه ـ منه عفي عنه .

قال الشيخ الأحسائي في شرح العرشيّة (شرح المقدمة) : «والربوبيّة تطلق على شيئين :

أحدهما الربوبيّة إذ لامربوب، وهذه هي ذات الله القدسيّة ﷻ، ولا يجوز الكلام عند أهل البيت ﷺ فيها لأحد من الخلق ـ لا ملك مقرّب ولانبيّ مرسل ـ ... وإذا سمعت شيئا ممّا نقول به من الصفات والأوصاف والأسماء فلانعني بها إلا القسم الثاني ممّا تطلق عليه الربوبيّة ولا نريد القسم الأول ـ فإنّا نعوذ بالله أن نتكلّم فيه ونبرء إلى الله تعالى من ذلك ـ

وثانيهما الربوبيّة إذ مربوب، ونعني بها الفعل بجميع أقسامه، من المشيئة والإرادة والإبداع وغيرها ... وهوالمسمّى بالعنوان أي الآية والدليل» .

٢) ذكرنا الآيات المذكورة في أوّل التعليقات .

٣) وهذا ما جاء في أكثر كتب التفاسير كالتبيان ومجمع البيان وغيرهما .

١٥) وردَّها الطائفةُ الثانية بأنَّ هذا مجازٌ، ثمَّ إنَّه مجازٌ بعيدٌ، ولو بني الأمرعلى المجاز، فالأقرب منها أن نحمل ذلك إلى درجة من الملاقات الجائزة في حقِّ الممكن شرعاً، ولوأنَّها لم تكن ملاقاة حقيقيَّة في عرف العامَّة، فلوراعينا قاعدة: «الألفاظ موضوعة لأرواح المعاني» وتصوَّرنا روح معنى الملاقاة، نرى أنَّ ملاقات الأجسام حقيقة، وملاقاة الأرواح أيضاً حقيقة، وملاقاة المعاني أيضاً كذلك حقيقة، على أنَّ ملاقاة كلٍّ منها بنحو خاصّ يوجَد فيها روحُ معنى الملاقاة على الكيفيَّة اللائقة بالملاقِي والملاقَى في كلٍّ منها.

١٦) ومهما كان الأمربهذه المثابة يمكننا أن نقول: ملاقاة الممكن مع الله الجليل أيضاً فيها روح الملاقاة، ولكن بنحو لائق بالملاقِي والملاقَى، وهذه عبارة عن المعنى الذي يعبَّر عنه في الأدعية و الأخبار المختلفة بلفظ «الوصول» و «الزيارة» و «النظر إلى الوجه» و «التجلِّي» و«رؤية القلب» و «تعلُّق الروح»؛ ومن ضدِّها بـ«الفراق» و «الحرمان».

١٧) و روي في تفسير «قَد قَامَت الصلاةُ» عن أميرالمؤمنين عليه السلام[1]: «يعني حانَ وقتُ الزيارة».

١٨) وورد مكرَّراً في الأدعية[2]: «ولاتحرمني النظر إلى وجهك».

---

١) التوحيد: ٢٤١، الباب ٣٤، تفسير حروف الأذان والإقامة. معاني الأخبار: ٤١، باب معنى حروف الأذان والإقامة. وتمام الرواية: «حان وقت الزيارة والمناجاة وقضاء الحوائج ودرك المنى والوصول إلى الله عزّوجلّ وإلى كرامته وعفوه ورضوانه وغفرانه». بحارالأنوار: ١٣٤/٨١، ح٢٤.

٢) إقبال الأعمال: ١٠٤، اعمال شهر رمضان، أدعية كلّ يوم من شهررمضان: «... ولاتحرمني ياربّ النظر إلى وجهك الكريم...». عنه بحارالأنوار: ١١٧/٩٨. وجاء في من لايحضره الفقيه (٣٢٨/١، ح٩٦٠): «وأسألك الرضا بالقضا وبرد العيش بعد الموت ولذّة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقائك...». وفي مصباح المتهجّد (٣٩٨، دعاء ليلة الأحد): «... اللهم حبّب إلينا لقاءك وارزقنا النظر إلى وجهك واجعل لنا في لقائك نظرة وسرورا...».

١٩) وأيضاً في كلماته عليه السلام[١] : «ولكن تراهُ القلوبُ بحقائق الإيمان» .

٢٠) وفي المناجاة الشعبانيَّة[٢] : «وألحقني بنورعزِّك الأبهج فأكون لكَ عارفاً»

٢١) وفيها أيضاً : «وأنر أبصارَ قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرقَ أبصارُ القلوب حجبَ النور فتصلَ إلى معدنِ العظمة وتصير أرواحُنا معلَّقةً بعزِّ قُدسِك» .

٢٢) وفي دعاء كميل[٣] : «و هبْني صبرتُ على عذابِكَ فكيفَ أصبرُ على فراقِكَ» .

٢٣) والفهيم الصافي عن الشبهات الخارجيَّة بعد ملاحظة هذه التعبيرات المختلفة يقطع بأنَّ المراد من «لقاء الله» ليس لقاء ثوابه، مثل ورود الجنَّة وأكل تفَّاحتها ورؤية الحور العين؛ فأيَّة مناسبة بين هذا المعنى وتلك التعبيرات ؟ !

٢٤) ولو أنَّ أحداً حمل لفظ «اللقاء» المطلق على معنى بعيد عن معنى اللقاء، فماذا يفعل بالألفاظ الأُخر، ومثلاً ما يقول في «النظر إلى الوجه» ومايفعل بقوله : «وألحِقني بنورِ عزِّك الأبهج فأكون لك عارفاً» ؟ وهل يمكن حمل «وأنرأبصارَ قلوبنا بضياء نظرها إليك» بأكل الكُمُّثرى ـ مثلاً ؟

---

١) في الكافي (١/٩٨، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية، ح٦) والتوحيد (١٠٩، باب ما جاء في الرؤية، ح٦) عن أميرالمؤمنين عليه السلام : «... لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» . وفي نهج البلاغة (الخطبة ١٧٩) : «لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان» . وفي الكافي (١/٩٧، الباب المذكور، ح٥) والتوحيد (١٠٨، الباب المذكور، ح٥) عن الباقر عليه السلام : «... ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» .

والرواية مرويّة عن أميرالمؤمنين عليه السلام في عدّة من المصادر لانطوّل الكلام بذكرها لشهرتها .

٢) إقبال الأعمال : ٦٨٧، فصل فيما يذكر من الدعاء في شعبان . بحار الأنوار : ٩٩/٩١، ح١٣ .

٣) الدعاء المسميّة بدعاء كميل .

٢٥) ولو قال قائلٌ: «إني أُصدِّق أن ليس المقصود من لقاء الله هذه الأُمور، ولكنَّ المراد من «لقاء الله» لقاء أوليائه من الأنبياء والأئمَّة ﷺ، كما هو معمولٌ في محاوراتنا؛ فمن طلب مطلباً من الوزير ـ مثلاً ـ يقول على سبيل المجاز: «طلبتُ من السلطان»، وكما أنَّه أُطلق في الأخبار[1] «وجه الله» على الأئمَّة والأنبياء ﷺ فالنبيُّ ﷺ وجه الله بالنسبة إلى الأئمَّة، والأئمَّةُ ﷺ وجه الله بالنسبة إلينا».

٢٦) نجيب عنه أولاً: هذه الأدعية يقرؤها الأنبياء والأولياء وحتَّى النفس المقدَّس النبويِّ، وبماأنَّ وجوده المبارك الاسم الأعظم ووجه الله[2]، فما كان يقصد عند قراءتها[3]؟

٢٧) مثلاً، جاء في رواية المعراج[4] «إنَّه ﷺ رأى ذرَّة من نور العظمة فخرَّ مغشيّاً عليه» فما نفعل بهذه الرواية؟

---

١) في الكافي (١/١٤٣، باب النوادر من كتاب التوحيد، ح٣) عن الباقر ﷺ: «... نحن المثاني الذي أعطاه الله نبيَّنا محمَّداً ﷺ و نحن وجه الله نتقلَّب في الأرض بين أظهركم...». وفيه (نفس الباب، ح٧): «نحن حجّة الله و نحن باب الله و نحن لسان الله و نحن وجه الله ...». والأحاديث الواردة في هذا المضمون كثيرة في الجوامع الروائيّة.

٢) سيجيء قول المؤلّف ـ قدّه ـ أنّ الشيعة تعتقد أنَّ رسول الله ﷺ أشرف خلق الله جميعاً، فعلى هذا يلزم أن يكون هو الاسم الأعظم. وفي التوحيد (١٥١، باب تفسير ﴿كلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلا وَجهه﴾، ح٧): «... عن خَيْثَمة، قال: سألت أباعبد الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾ قال: دينه، وكان رسولُ الله ﷺ وأميرالمؤمنين ﷺ دين الله ووجهه وعينه في عباده ولسانه الذي ينطق به ويده على خلقه ونحن وجه الله الذي يؤتى منه ...».

٣) حكى في ربيع الأسابيع في دعاء ليلة السبت ضمن صلوات ودعا على حضرة خاتم الرسل ﷺ: «وارزقه نظرا إلى وجهك يوم تحجبه عن المجرمين» وفي دعاء يوم الجمعة لحضرة الصدِّيقة الطاهرة ﷺ: «واجعلني كأني أراك إلى يوم القيامة الذي فيه ألقاك».ـ منه عفي عنه.

٤) لم أعثرعلى النصّ في حديث المعراج الذي جاء في إرشاد القلوب (١/٣٧٣ـ٣٨٢، آخرأحاديث القسم الأول، مرسلا، ورواه عنه الفيض الكاشاني في الوافي (٢٦/١٤١) وقد ورد في الكافي☜

٢٨) على أنَّ هذا التعبيرالذي يطلق على بعض مقامات الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام يطلق بعد ماوصلوا إلى درجةٍ من القرب وفنَوا في الله واتَّصفوا بصفات الله وعند ذلك يجوز إطلاق «وجه الله» و«جنب الله» و«اسم الله» عليهم عليهم السلام، والتصديق بهذا المعنى قبول قول الخصم، وليس نقض مايقوله .

٢٩) ولوفصَّلناهذا الإجمال شيئاً نقول : ورد في الأخبارالمعتبرة عنهم عليهم السلام[1] : «نحن الأسماء الحسنى» والمراد من هذه الأسماء ليس الاسم اللفظيّ قطعاً، فيكون المراد الاسم العينيّ، كمايُعلم من الروايات الواردة أنَّ لله تعالى أسماء عينيَّة غيرلفظيَّة يفعل ما يريد بها في العالم، والله جلّ جلاله يتجلَّى بهذه الأسماء في العوالم، وتقع التأثيرات بها في العالم؛ بل وجود العالم بأجمعه من تجلِّيات الأسماء الإلهيَّة، كما ورد في الأدعية عن المعصومين عليهم السلام كثيراً[2] : «وباسمك الذي تجلَّيت به على فلان وفلان...»، و «باسمك الذي خلقت به السماوات والأرض»[3] .

٣٠) وفي دعاء الكميل : «وبأسمائك التي ملأت أركان كلِّ شيء» .

☞ (٤٤٣/١) في شرح معراج رسول الله صلى الله عليه وآله : «فنظَر في مثْل سَمِّ الإبرة إلى ما شاء الله من نور العظمة...» وليس فيه «خر مغشيًا» .

١) تفسيرالعيّاشي : ٤٢/٢، سورة الأعراف، ح ١١٩. عنه بحارالأنوار : ٦/٩٤، ح٧. المحتضر : ١٣٦، ضمن الرواية ١٤٩ . و٢٢٨، ضمن الرواية ٢٩٩ . عنه بحار الأنوار : ٣٨/٢٧ . و٥/٢٥، ح٧. وفي الاختصاص (٢٥٢) عن الرضا عليه السلام : «إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ، وهوقوله عزّ وجلّ : ﴿وَللهِ الأسْمَاءُ الحُسْنى فَادْعُوهُ بهَا﴾ . عنه بحارالأنوار : ٢٢/٩٤، ح١٧ .

٢) مصباح المتهجّد (٣٠١/دعاء بغير صلاة للحاجة) جاء فيه «...و أسألك باسمك الذي تجلّيت به للكليم على الجبل العظيم.... و أسألك باسمك الذي تجلّيت به للجبل فتحرّك و تزعزع واستقرّ...» عنه بحار الأنوار : ٤٥/٩٠، ضمن ح٩ .

٣) بحارالأنوار (٢٥٥/٩٣، ضمن ح١ عن البلد الأمين) : «وأسألك باسمك الذي خلقت به الكرسيَّ سعة السماوات والأرض يا الله وأسألك باسمك الذي خلقت به العرش العظيم الكريم...» .

٣١) وفي كتابي أصول الكافي[١] وتوحيد الصدوق[٢] ـ وهما من الجوامع الروائيّة الشيعيّة المعتبرة ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام : «إنَّ اللهَ خلقَ اسماً بالحروفِ غيرَ مُتصوَّتٍ، وباللَّفظِ غيرَ مُنْطَقٍ، وبالشَّخص غيرَ مُجسَّدٍ، وبالتَّشبيهِ غيرَ موصُوفٍ، وباللَّونِ غيرَ مَصبُوغ، منفيٌّ عنهُ الأقطارُ، مُبَعَّدٌ، عنهُ الحدودُ، ومحجُوبٌ عنهُ حسُّ كلِّ مُتوهِّم، مُستترٌ غيرُ مستورٍ؛ فجعلهُ كلمةً تامَّةً على أربعةِ أجزاءٍ معاً؛ ليسَ منهَا واحدٌ قبلَ الآخَر ؛ فأظهَرَ منها ثلاثةَ أسماءٍ لفاقةِ الخلقِ إليها، وحجَبَ منها واحداً، وهوَ الاسمُ المكنونُ المخزُونُ بهذهِ الاسماء التى ظهرتْ ؛ فالظَّاهرُمنها هوَاللهُ تعالى .

٣٢) و سخَّرَ ـ سبحانهُ ـ لكلِّ اسْم منْ هَذهِ الاسماءِ أربعةَ أركانٍ؛ فذَلكَ اثنا عشرَ ركناً ؛ ثمَّ خلَقَ لكلِّ ركنٍ [منها] ثلاثينَ اسماً، فعلاً منسوباً إليها .

٣٣) فهو الرَّحمانُ، الرَّحيمُ، الملِكُ، القُدُّوسُ، الخالِقُ، البارِئُ، المُصوِّرُ، الحيُّ، القيُّومُ، لا تأخُذهُ سِنَةٌ وَ لا نومٌ، العليمُ، الخبِيرُ، السَّميعُ، البصيرُ، الحكيمُ، العزيزُ، الجَبَّارُ، المتكبِّرُ، العلِيُّ، العظِيمُ، المقْتَدِرُ،القادِرُ، السَّلامُ، المؤمنُ، المُهَيْمِنُ، المنشِيءُ، البدِيعُ، الرَّفيعُ، الجليلُ، الكريمُ، الرَّازقُ، المحيي، المُميتُ، الباعثُ، الوارثُ .

٣٤) فهَذهِ الأسماءُ وما كانَ من الأسماءِ الحسنَى ـ حتَّى يتمَّ ثلاث مائةٍ وستِّينَ اسما ـ فهيَ نسبَةٌ لهذهِ الاسماءِ الثَّلاثةِ، وهَذهِ الاسماءُ الثَّلاثةُ أركان وحُجبُ الاسم الواحدِ المكنونِ المخزُونِ بهَذهِ الاسماءِ الثَّلاثةِ ؛ وذَلكَ قوله تعالى :

---

١) الكافي : ١/١١٢، كتاب التوحيد، باب حدوث الاسماء، ح١ .

٢) التوحيد : ١٩٠، باب اسماء الله تعالى، ح٣، وتختلف في بعض الألفاظ مع الكافي .

عنه بحارالأنوار : ٤/١٦٦، ح٨ .

﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الاسراء/١١٠]» .

٣٥) فيعلم من هذه الرواية والروايات[١] والأدعية الأُخر المتواترة أنَّ أسماء الله مخلوقات وأسماء عينيَّات وموجودات في عالم الخارج؛ وكذا في الروايات المعتبرة أنَّ أئمَّتنا عليهم السلام قالوا[٢] : «نحنُ الأسماءُ الحسنى»، بل الإمام اسم الله الأعظم .

٣٦) والشيعة تعتقد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أشرف خلق الله جميعاً، فعلى هذا يلزم أن يكون هو الاسم الأعظم .

٣٧) على أنَّه وردفي أدعية شهررمضان المبارك[٣]أنَّه صلى الله عليه وآله الحجاب الأقرب، يعني أنَّه الطرف الممكن وأقرب المخلوقات ؛ وكذا ورد في الروايات[٤] : «عليٌّ ممسوس بذات الله» .

٣٨) وعلى الإنسان التدبُّر في هذه الأخبار، وأن يلتفت أوَّلاً أنَّ هذه الأخبار معتبرة الأسناد ومرويَّة في الكتب المعتبرة المقبولة عند علماء المذهب ـ و فضلاً عن استحكام أسنادها ـ فقد صارت مقبولة عند العلماء وصرَّحوا بصحَّة أسنادها وأوردوها في كتبهم المعتمَدة التي صرَّحوا بصحَّة أسنادها،

---

١) في الكافي (١/١١٣، كتاب التوحيد، باب حدوث الأسماء، ح٤) عن الصادق عليه السلام : «اسم الله غيره، وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله» . وفيه (نفس الباب؛ ح٧) : عن الباقر عليه السلام ـ وقد سئل عن أسماء الله تعالى ـ : «... كان الله ولاخلق، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرّعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات...» .

٢) مضى آنفا .

٣) لم أعثر عليه .

٤) حلية الأولياء (١/٦٨، ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام) : «لاتسبّوا عليّا فإنّه ممسوس في ذات الله» .

والواضح من هذه الروايات عندالتأمُّل أنَّ مرتبة الحضرة الخاتميَّة مرتبة الاسم الأعظم والحجاب الأقرب، وأنَّ مرتبته ﷺ أرفع من هذه الأسماء الثلاثمائة ـ المذكورة خمسة وثلاثين منها في هذه الرواية[١] ـ وبل جميع الاسماء محاطة بمرتبته ﷺ العالية ؛ فإنَّ صريح الرواية الماضية أنَّ هذه الاسماء الثلاثمائة المخلوقة من أركان الأسماء الثلاثة، وكلُّها مع الاسماء الثلاثة من أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون، الذي هو بنفسه أيضاً مخلوق .

٣٩) وبعد صيرورة هذه المطالب مسموع سمعك الشريف وبعد التأمُّل المختصر سترى أن لو كان هذه الاسماء وصفات الله ـ المتضمَّنة في هذه الاسماء ـ من مراتب حقيقة سيِّد البشر، فلابدَّ أن يكون قربه ﷺ قرباً معنويًّا ومعرفتُه معرفة حقيقيَّة ؛ ولو أنَّا نرى ـ بعد جميع هذه التفاصيل ـ تصريحَ رسول الله ﷺ وتصريح خلفائه المقدَّسين ـ الذين علمهم عليهم السلام يساوي علمه ﷺ بمعنى أنَّهم عليهم السلام ورثوا جميعَ علومه ﷺ ـ فنرى تصريحه وتصريحهم عليهم السلام جميعاً بأنَّ رسول الله ﷺ وكذا خلفاءه الوارثين لعلمه عليهم السلام عاجزون عن معرفة حقيقة ذاته سبحانه .

٤٠) ولامنافاة بين هذا المعنى وادِّعاء أنَّ معرفة الحقِّ جلّ جلاله ـ معرفةً إجماليَّةً ـ ممكنةٌ ومطلوبةٌ لكبراء الدين وأولياء الله الرحيم؛ بل أهمُّ المطالب الدينيَّة أن يحصِّل أحدٌ شيئاً من هذا الأمر، وبل هذا المطلب غاية الدين، وبل علَّة خلق السماوات والأرضين وجميع العوالم .

٤١) ولو أنَّ أحداً ـ بعد جميع ما أسلفناه ـ قام في مقام التنزيه الصِرف وقال : «ليس طريقٌ إلى معرفة الله بالمرَّة، لا تفصيلاً ولا إجمالاً، لا كنهاً ولا وجهاً»

---

١) راجع ما مضى في الرقم ٣٣ .

فلوتأمَّل هذا القائل في مقالته ليرى أنَّها موجبة للتعطيل والإبطال والإلحاق بالعدم من حيث لايشعُر، و أنَّ الأئمَّة عليهم السلام نهوا عن التنزيه الصِرف في الروايات المعتبرة:

٤٢) ففي رواية الكافي[1] أنَّ الزنديق سأل: «فَلهُ إنِّيَّةٌ وَ مَائيَّةٌ» ؟

٤٣) قال عليه السلام: «نَعَمْ، لا يَثْبُتُ الشَّيءُ إلاَّ بإنِّيَّةٍ وَ مَائيَّةٍ».

٤٤) قال السَّائلُ: «فلهُ كيفِيَّةٌ» ؟

٤٥) قال عليه السلام: «لا، لأنَّ الكيفيَّةَ جَهةُ الصِّفةِ والإحاطةِ، ولكِنْ لابُدَّ منَ الخرُوج منْ جهةِ التعطيلِ والتشبيهِ [لأنَّ مَن نفاهُ فقد أنكرهُ ودفعَ[2] ربُوبِيَّتَهُ وأبطلهُ، ومَن شبَّههُ بغيرِه فَقد انتسبهُ بصفَةِ المخلُوقينَ المصنُوعينَ، الذينَ لايستحقُّونَ الربُوبيَّةَ؛ ولكنْ لابُدَّ مِن إثباتِ أنَّ لهُ كيفيَّةٌ لايستحقُّها غيرُهُ ولا يُشارَكُ فيها ولا يُحاطُ بها ولايعلمُها غيرُه][3]».

٤٦) وفي صدر هذه الرواية أنَّ الزنديق قال: «فما هو» ؟ فأجابه عليه السلام: «هُو الربُّ وهو المعبودُ وهو اللهُ».

٤٧) وقال: «وليس قولي: «الله» إثبات هذه الحروف ـ ألف ولام وهاء ولاهاء ولاباء ـ ولكن أرجع إلى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها ونعت هذه الحروف، وهو المعنى»[4]

٤٨) إلى أن قال له السائل: «فإنَّا لم نجدْ موهُوماً إلاَّ مخلوقاً» ؟

---

١) الكافي: ١/٨٤، كتاب التوحيد، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح٥. ورواه الصدوق ـ قده ـ أيضا في التوحيد: ٢٤٦، باب الرد على الثنويّة، ح١، وفيه بعض الاختلافات مع الكافي.

٢) في النسخ المطبوعة «رفع» وجعلنا النص مطابقا لما في الكافي.

٣) مابين المعقوفتين غير موجود في المخطوطة ولكنه تمام الرواية وموجود في النسخ المطبوعة، ولعله من إضافات الناسخين أخذا من المصدر.

٤) أتى المؤلف في هذا المقطع بالمضمون، وأتينا في التعريب بنصّ الرواية.

٤٩) قال أبوعبدالله عليه السلام: «لو كان كذَلكَ لكان التوحيدُ عنَّا مُرتَفعاً لأنَّا لم نُكلَّفْ غيرَ موهُوم ـ ولَكِنَّا نقولُ: كلُّ مَوهُوم بالحواسِّ مُدرَكٌ بهِ تحُدُّه الحواسُّ وتُمَثِّلهُ، فهو مخلوقٌ ـ إذ كانَ النَّفيُ هوَ الإبطالُ والعدمُ»ـ إلخ.

٥٠) فليس للإنسان أن يحسب نفي كلّ معنى تنزيهاً، فينفي كلّ معنى، لأنّه ليس حقيقة هذا إلاَّ الإبطال، فيلزم تنزيه الذات الأقدس تعالى عن كلّ معنى غير لائقة به ممَّا يوجب التحديد والنقص، نظير المعرفة الحاصلة بالعين والحواسِّ، فينفي كلَّ أقسام هذه المعرفة، ولكن لوْ نفيت المعرفة بعين القلب والروح ـالمعرفة بالوجه لابالكُنه ـ لونفيت هذه المعرفة أيضاً فلايبقى بعدها للأنبياء والأولياء والعرفاء الحقيقيِّين من المعرفة غير ما هو حاصل للعوام.

٥١) ولو أنَّ أحداً كان له حظٌّ قليلٌ من البصيرة ليرى أنَّ هذه الأشخاص الذين هم ينفون المعرفة بالوجه، فهم أيضاً مضطرُّون إلى الاعتراف بدرجة من المعرفة بوجه قلبيّ اعتقاديّ، وهذه المعرفة الجزئيَّة وعقدهم القلبيُّ أيضاً مخالفةٌ لما يدَّعون من التنزيه الصِرف، لأنَّ هم أيضاً في مقام الدعاء يقولون: «اللهمَّ أنتَ الرحمانُ وأنتَ الرحيمُ وأنتَ الغفورُ، فافعَلْ بي كذا وكذا...» فعلى البتِّ واليقين لايعنون من هذه الكلمات مجرَّد الحروف دون تصوُّرٍ وقصدٍ لمعناها، فلابدَّ من أن يقصدوا ذاتاً واجدةً لهذه الصفة ولو بوجه غير مطابق لأوصاف الذوات الإمكانيَّة، ويتصوَّروا في الرحمة أنَّ الله منزَّهٌ عن معنى الرحمة التي مستلزمةٌ للتأثُّر ورقَّة القلب، ولكن لابدَّ من أن يتصوَّروا هذه المعنى، والإيمان والاطمئنان بها يبعثهم إلى التضرُّع والدعاء.

٥٢) فهذا المطلب وهذه المعرفة الجزئيَّة والعقد القلبيُّ أيضاً منافٍ للتنزيه الصِرف التي يدَّعونها.

٥٣) على أنَّ الذين يدَّعون المعرفة وإمكانها إنَّما يقولون: هذه المعاني الإجماليَّة

من الأسماء والصفات الإلهيَّة ﷻ ـ التي أنتم تعتقدون بها في العقد القلبيّ ـ فنحن رأيناها بالكشف والشهود، ورأينا حقائقَها مع هذه القيود التنزيهيَّة، وما انكشف علينا من الحقائق مطابقٌ لما يعتقد محقّقوا متكلّموا الشيعة الإماميَّة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ في عالم تصوُّرهم وعقدهم القلبيّ، وإنَّما الفرق بينهما فرق التصوُّر والوجدان.

٥٤) ويشبه ذلك أن يعلم الإنسان معنى «الحلو» علماً مطابقاً للواقع ـ بأن يعلم أنَّ الحلاوة عبارة عن كيفيَّة ملائمة تحصل من وصول بعض الأجسام إلى سطح اللسان والفم ـ وأن يأكل الحلواء؛ فهذان العلمان مِثلان كاملاً من وجه، ومتخالفان كاملاً من وجه آخر.

٥٥) كما ترى أنَّ المتكلّمين يقولون في نورعظمته ﷻ: «إنَّه ظاهر ومُظهِر ولكنَّه ليس من قبيل أنوارالشمس والقمر وأمثالهما، وأنَّ رسول الله ﷺ يشاهد حقيقة ذلك الظاهر والمظهر بحقيقة سرِّه وروحه وبتجلّي هذا الاسم المبارك، ولكن مطابقاً للتنزيه ـ فإنَّه لايشبهه نورٌ من الأنوار ـ بل الأمر أجلُّ من هذا التنزيه وذلك ما نسمِّيه **معرفة**».

٥٦) على أنَّ هذا المثال والتقريب أيضاً من باب التمثيل، والمثال مقرِّبٌ من وجه، ولو أنَّه مبعِّدٌ من وجوه؛ فمعرفة اسمه تعالى «الظاهر» لوحصل لوليٍّ من الأولياء بتجلّي ذلك الاسم حتَّى يقول[1]: «ألِغيرك من الظُهور ماليس لكَ حتى يكونَ هوالمُظهِر لكَ» وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام[2]: «ما رأيتُ

---

١) إقبال الأعمال: ٣٤٩، من الدعاء المرويّ عن سيّد الشهداء عليه السلام المعروف بدعاء عرفة.

٢) لم أعثر على مصدرالكلام من الصادق عليه السلام، و نسبه السبزواري صاحب المنظومة في الحكمة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أيضا (شرح الأسماء الحسنى: ١٨٩). وقال الفيض الكاشاني ـ قده ـ (عين اليقين: ٣٠٥): «قال بعض السالكين: مارأينا شيئا إلا ورأينا الله فيه، فلما ترقّوا قالوا: مارأينا شيئا إلا ورأينا الله قبله، فلما ترقّوا قالوا: ما رأينا شيئا سوى الله».

شيئاً إلاّ ورأيتُ اللهَ قبلَه ومعَه وبعدَه»، ليس للإنسان إنكارُ هذه الأقوال أوتأويلها إلى مايحصل لنفسه، ثمّ تسمية فعله هذا تنزيهاً لله تعالى من أن يشاهد أحدٌ حقائق أسمائه العظام .

٥٧) بلى، نفرة الإنسان ممّا يجهل أمرٌ طبيعيٌّ و «الناس أعداء ماجهلوا»[1] ولوأنَّ المؤمن بنى أمرَه على نفي كلّ ما لايفهمه في بادئ نظره، يخرج من الإيمان؛ بل ـ على ما صدَر عن الصادق عليه السلام[2] ـ حتّى لو أنّه لم يفهم المطلب بعد التأمُّل والتحقيق فأنكره وردّه وتذهّب بهذا الردّ وتمسّك به مذهباً لنفسه، فهذا أيضاً يخرج من الإيمان .

٥٨) والأحسن للإنسان في هذه المطالب ـ لو أشكَل عليه شيءٌ في كلمات الأنبياء والأولياء والعلماء الحقيقيِّين ولم يصل هو إلى كُنه مقصودهم ـ فالأحسن له التضرُّع إلى واهب العلم والعقل وإخلاص النيَّة وتكرار التفكير في كلماتهم والسؤال من العلماء الأتقياء ـ لو تمكّن من الوصول إليهم ـ فعند ذلك إمَّا أن يُفهمه الله تعالى المعنى المطلوب وإمَّا أن يرشده إلى طريق فهمه .

٥٩) ولاشكَّ في وجود أمثال هذه الأسرار الربَّانيَّة والمطالب العالية في دين الحقِّ، وحتَّى المتوغِّلين في الجمود أيضاً يصدِّقون بذلك إجمالاً ويقرِّرون أنَّ طريق الوصول إليها تزكية النفس بالتقوى والرياضات الشرعيَّة، وأنَّ بهذه تضعف القوى الحيوانيَّة وتقوى القوَّة الروحانيَّة، وعند ذلك تفتح عين

---

١) من كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام التي سارت من الأمثال السائرة، نهج البلاغة : الحكم/١٧٢و٤٣٨ .

٢) الكافي (٢/٢٢٣، ح٧) : عن أبي عبيدة الحذّاء قال سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : «والله إنّ أحبَّ أصحابي إليّ أورعهم و أفقههم و أكتمهم لحديثنا وإنّ أسوأهم عندي حالاً و أمقتهم للّذي إذا سمع الحديث ينسبُ إلينا ويروى عنّا فلم يقبله اشمأزّ منه و جحده و كفّر من دان به وهو لايدري لعَلَّ الحديث من عندنا خرج و إلينا أسند فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا» .

بصيرته ويصل إلى حقيقة المطلب بالكشف والشهود، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت/٦٩].

٦٠) وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال[1]: «لكلّ إنسانٍ عَينان في سِرِّه يَرى بهما الغيبَ، ولو أرادَ اللهُ لعبدٍ خيراً فتَحَ عَينا سِرِّه».

٦١) والآن - يا أخي - لوأنَّ لك هِمَّةً أن تصيرمن أهل المعرفة وتصير إنساناً وبشراً روحانيّاً شريكاً للملائكة ورفيقاً للأنبياء والأولياء، فشمِّر ذيلَ هِمَّتك وتعال من طريق الشرع وبعِّد شيئاً من الصفات الحيوانيَّة عن نفسك وتخلَّق بأخلاق الروحانيِّين، ولاترض بالركون إلى مقام الحيوانات والبقاء مع الجمادات؛ تحرَّك من ذلك الماء والطين إلى وطنك الأصليِّ - فإنَّه من عوالم العلِّيِّين ومحلِّ المقرَّبين - حتَّى تنال حقيقة هذا الأمر العظيم.

٦٢) وطريق الوصول إلى هذه الكرامة العظمى إنَّما هو معرفة النفس، فاجمع همَّك لعلَّك تعرف نفسَك، فإنَّ معرفتها معرفةُ الله جَلَّ جلاله، كما ورد في الرواية[2]: «مَن عرفَ نفْسَه فقَد عَرفَ ربَّه» ولو أنَّ البعض حمَل معنى هذه

---

١) لم أعثر على الحديث عن رسول الله ﷺ ولكن في الخصال (١/٢٤٠، باب الأربعة، ح٩٠) عن الإمام السجّاد عليه السلام: «ألا إنَّ للعبد أربع أعين، عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه وعينان يبصر بهما أمرَ آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتحَ له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته و إذا أراد به غيرذلك ترك القلب بما فيه».

ومع فروق لفظيّة في التوحيد (٣٦٧، باب القضاء والقدر، ح٤) وعنه بحار الأنوار: (٥/١١٣، ح٣٩).

وفي الكافي (٨/٢١٥) عن الصادق عليه السلام: «إنّما شيعتنا أصحابُ الأربعة الأعين: عينان في الرأس وعينان في القلب؛ ألا الخلائق كلّهم كذلك، إلاّ أنّ الله عزَّ وجلَّ فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم».

٢) مصباح الشريعة: الباب الثاني والستّون (ص٤١) عن رسول الله ﷺ، عنه بحارالأنوار: ٢/٣٢، ح٢٢، وقال الشريف المرتضى - قدّس سرّه - في أماليه (١/٢٧٤): «روي أنّ بعض أزواج ☜

الرواية تعليقاً بالمحال[١]، فقد غفل عن أنَّ هذه المعنى مصرَّح به في الروايات الأُخر أيضاً .

٦٣) كما ورد في مصباح الشريعة[٢] أنَّه سئل عن معنى الحديث : «اطلبوا العلمَ ولو بالصين»، فأيُّ علم هذا ؟ فقالوا : «المرادُ معرفة النفس، فإنَّ فيها معرفةُ الربِّ» .

٦٤) وكذلك في خبر آخر[٣] أنَّه سئل رسول الله ﷺ : «كيف الطريق إلى معرفة الربِّ» فقال : «معرفة النفس» .

٦٥) وبالجملة تذكَّر أن ليست إنسانيَّة الإنسان بصورته ـ فإنَّ صورة الإنسان

النبيّ ﷺ سألته : متى يعرف الإنسان ربّه ؟ وقال ﷺ : إذا عرف نفسه» .

وجاء في رسالة «الباب المفتوح إلى ما قيل في النفس والروح» التي نقلها المجلسي ـ قده ـ في البحار(٩١/٦١) «وقد قال العالم الرباني الذي أوجب الله حقه : من عرف نفسه فقد عرف ربه».

ونسبه الآمدي (غررالحكم : ١٦٤/٢، الفصل ٧٧، الرقم ٣٠١) وكذا ابن أبي الحديد (الحكم التي أوردها في آخر شرحه والتقطها من كلماته عليه السلام غير الموجودة في نهج البلاغة : ٢٩٢/٢٠، رقم : ٣٣٩) إلى أميرالمؤمنين عليه السلام .

وجاء في صحيفة إدريس النبي (التي أوردها المجلسي ـ قده ـ في البحار بترجمة ابن متّويه عن السريانيّة : ٤٥٦/٩٥) : الصحيفة الرابعة، صحيفة المعرفة : من عرف الخلق عرف الخالق، ومن عرف الرزق عرف الرازق، ومن عرف نفسه عرف ربه...» .

١) لم أعثرعلى القائل، وقدجاء في نورالبراهين (٤٠١/٢ـ٤٠٢) : «روي أنّه قال بعض أهل العرفان : أدركت ألف شيخ وسألت كلّ واحد منهم عن النفس، فقالوا : إنّها معلومة الوجود مجهولة الكيفيّة، فكما أنّ كيفيّة الرب غير مدركة لنا ـ لتعالي حدّه ـ كذلك كيفيّتها غير معلومة لنا لتداني حدّها ؛ فعلى هذا معنى قوله عليه السلام : «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» من باب تعليق المحال على المحال . راجع أيضا ما كتبه العلاّمة الطباطبائي ـ قده ـ ردّا على كلام هذا القائل في تفسير الميزان (١٨٢/٦، بحث روائي في تفسير الآية المائدة/١٠٥) .

٢) مصباح الشريعة : باب في العلم، عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

٣) في عوالي اللآلي (٢٤٦/١، الفصل العاشر، ح١) : «سئل : يارسول الله كيف الطريق إلى معرفة الحقّ؟ فقال عليه السلام : معرفة النفس» . رواه عنه بحارالأنوار : ٧٢/٧٠، ح٢٣ .

حاصلة للنقوش المصوَّرة في الحمَّامات أيضاً ، و كذلك ليست بالجسمانيَّة ـ فإنَّ الحيوانات الخبيثة أيضاً ذوات أجسام ـ كما أنَّها ليست بشهوة الطعام والجماع ـ فإنَّ الدُّبَّ والخنزير أكثر شهوة منك ـ ولا بالغضب وقوَّة الانتقام ـ فالكلب والذئب لهما قوَّة غضبيَّة شديدة .

٦٦) ولكنَّ الخاصيَّة الإنسانيَّة ـ التي تجعلك إنساناً ولايشركك فيها الغير ـ هي العلم والمعرفة والأخلاق الحسنة ، والعلم والمعرفة لايحصلان إلاّ بتحسين الأخلاق ، كما قالوا[1] : «ليسَ العلمُ فى السَّماءِ لِينزِلَ إليكم ، ولا في الأرض ليصعدَ لكم؛ بل مجبُولٌ في قلُوبكم؛ تخلَّقوا بأخلاقِ الروحانيِّينَ حتَّى يظهرَ لكمْ»

[الإنسان مثال العالم الكبير]

٦٧) وتفصيل هذا الإجمال أنَّ هذا الإنسان معجون مركّب عجيب، يوجد فيه نموذج من جميع ما في عوالم الإمكان، بل من جميع الأسماء والصفات الإلهيَّة فيه أثر، وهو كتاب كتبه أحسنُ الخالقين بيده[2]، وهو المختصر من اللوح

---

١) جاء في قوت القلوب (١/١٣٧، الفصل ٣١، كتاب العلم، ذكر بيان تفضيل علوم الصمت) : «وروينا في بعض الأخبار أنّ في بعض الكتب المنزلة : يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرضين من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبره يأتي به العلم مجعول في قلوبكم، تأدّبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلّقوا لي بأخلاق الصدّيقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطّيكم ويغمركم» .

وجاء مثله في إحياء العلوم : ١/١٠٥، كتاب العلم، الباب السادس في آفات العلم .

٢) أورد السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار (٣٨٣) عن الصادق عليه السلام : «الصورة الإنسانيّة أكبر حجّة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صورة العالمين وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ وهي الشاهدة على كلّ غائب وهي الحجّة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم إلى كلّ خير وهي الصراط الممدود بين الجنّة ☜

المحفوظ ، وهوحجَّة الله الأكبر ، وهو حامل الأمانة الإلهيَّة[1] التي لم يتحمَّلها السماوات والأرض؛ وبعبارة أُخرى قد جُعل من عالم المحسوس وعالم المثال وعالم المعقول ـ من كلّ منهما ـ حظّاً وافراً في الإنسان .

[مآل أمر الإنسان]

٦٨) ولو أنَّ الإنسان جعل عالمي حسِّه ومثاله تبعاً لعقله، يعني جعل توجُّهه وهمَّته إلى ذلك العالم وأوصل قوَّته إلى الفعليَّة، وُهب له سلطنة عالمي الشهادة والمثال ووصل إلى مقام لم يخطر على قلب أحد من الشرافة واللذَّة والبهجة والبهاء ومعرفة حضرة الحقِّ تعالى، بل يكون ما لايتوهَّمه الوهم .

٦٩) ولو تبع عقلُه عالمَ الحسِّ وشهادتُه عالمَ الطبيعة والسجِّين وانغمر في عالم الطبيعة و﴿أخْلَدَ إلى الأرْض﴾ فبأيَّة بلاء يبتلى بعد مفارقة روحه من هذا البدن وأيَّة شقاوة وظُلمة وشدَّة تصل إليه؛ لايعلمه إلاَّ الله، ولاسيَّما في القيامة الكبرى التي هي يوم تبلى السرائر .

٧٠) وبالجملة لو زكَّى الإنسانُ أخلاقه وجعل أعمالَه وحركاته مطابقةً لميزان الشرع والعقل ـ فإنَّ الشرع والعقل في أمرهما الإنسانَ بالاتِّصاف بالصفات والأخلاق الروحانيِّين متطابقان ـ فلو راقب أن تكون حركاتُه وسكناته موجبة للترقِّي إلى عوالم العلِّيين وعوالي مقامات الروحانيِّين، ويحصِّل معرفة

☜ والنار» وحكاه ابن أبي جمهور في المجلي (١٦٩) عن أميرالمؤمنين عليه السلام مع اختلافات لفظيّة .

وفي تفسير الصافي (١/٧٨، تفسير الآية البقرة/٢) : «قال الصادق عليه السلام : الصورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه الله بيده» .

١) إشارة إلى ماورد في القرآن الكريم : ﴿إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَ الأرْضِ وَ الجِبَالِ فَأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا وَأشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب/٧٢] .

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ـ بالمعرفة الوجدانيَّة ـ ففي هذا الوقت يكون إنساناً روحانيّاً، لا إنساناً جسمانيّاً .

٧١) وبعبارة أُخرى صار موجوداً بما هو إنسانٌ، دون أن يكون موجوداً بماهو حيوانٌ .

٧٢) كما روى علَم الهدى في الغرر والدرر[١] عن أمير مملكة الولاية عليه السلام في الجواب عن السؤال عن العالم العلوي : «خُلقَ الإنْسانُ ذَا نفْسٍ ناطقةٍ، إنْ زكَّاها بالعلمِ والعمل فقَد شابَهتْ جواهرَ أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجُها وفارقت الأضدادَ فقَد شاركَ بها السبعَ الشِّدادَ» .

٧٣) وفي خبرآخر في بيان الخليفة[٢] «فمَنْ تخَلَّقَ بالأخلاقِ فقدْ صارَ موجوداً بمَا هوَ إنسانٌ دونَ أن يكونَ موجُوداً بما هو حيوانٌ؛ فقدْ دخلَ فى البابِ الملكيِّ الصوريِّ وليسَ لهُ من هَذهِ الغايةِ مَعبَرٌ» .

٧٤) فلوحصلت هذه الدولة لأحد وترقَّى من عالم الماء والطين ـ عالم الظلمة ـ وأوصل نفسَه إلى مقام معرفة النفس ـ يعني رأى حقيقةَ نفسه وروحه التي هي من عالم النور وهي مفتاح معرفة الربِّ ـ بالكشف والعيان، لرأى أنَّ نفْسَه من المجرَّدات .

---

١) يظهر أنّه إشارة إلى أمالي الشريف المرتضى ـ قده ـ المسمى بـ«غرر الفوائد ودرر القلائد» غير أنّه من سهو القلم، والرواية غير موجودة فيه، ولكنّها توجد في غررالحكم ودررالكلم للآمدي : ٤١٧/١، الفصل الرابع والأربعون، ممّا ورد من حكم أميرالمؤمنين عليه السلام في حرف الصاد بلفظ المطلق . ومنشؤ السهو في النسبة اشتهار الكتابين معاً بـ«الغرر والدرر» .

٢) جاء في الصراط المستقيم (٢١٤/١) عن أميرالمؤمنين عليه السلام :

«من صفي مزاجه اعتدلت طبائعه ، ومن اعتدلت طبائعه قوي أثر النفس فيه، ومن قوي أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه ، ومن سما إلى ما يرتقيه تخلّق بالأخلاق النفسانيّة وأدرك العلوم اللاهوتيّة، ومن أدرك العلوم اللاهوتيّة صار موجوداً بما هو انسان، دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان، ودخل في الباب الملكيّ الصوريّ، وما له عن هذه الغاية معبر» .

٧٥) فعند ذلك قدخلص من الحجب الظلمانيَّة ولايكون بينه وبين الوصول إلى المقام الممكن من معرفة حضرته جَلَّ جلاله إلاّ الحجُب النورانيَّة، وفي طيٍّ هذه الحجُب والوصول إلى هذا المقام المنيع لـذَّاتٌ وبهجاتٌ ولوازمٌ وعوالم لايعلمها ـ كماينبغي ـ غيرُ أهله .

٧٦) ولو أنَّ أحداً حصَّل اعتقاداً بذلك بالعلم والبرهان ـ كما كتبه الشيخ الرئيس[1] وغيرُه من مقامات العرفاء ـ أو بالتقليد تعليماً من أهلها، يكون الفرق بين هذا العلم والمعرفة مع المعرفة الشهوديَّة والوجدانيَّة ـالتي لأهلهاـ بآلاف، واللذَّة التي ينال بها أهل هذه المرتبة هي التي روي في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام[2] : «لو علِمَ الناسُ ما فى فضْل معرفةِ الله...» ـ الخ .

٧٧) وفي مصباح الشريعة[3] في تعريف العارف : «العارفُ شخصُهُ معَ الخلق وقلبُه مع الله، ولو سهَى قلبُه عن الله طرفةَ عين لماتَ شوقاً إليهِ، والعارفُ أمينُ ودائِع اللهِ وكنزُ أسرارِهِ ومعدنُ نورِهِ ودليلُ رحمتِهِ علَى خلقهِ ومطيَّةُ علومِهِ وميزانُ فضلِهِ وعدلِهِ ؛ قدْ غنِى عن الخلق والمرادِ والدنيَا، ولامونسَ لهُ سوَى اللهِ، ولامنطقَ ولا إشارةَ ولا نفَس إلاّ بالله لله من الله معَ الله، فهوَفي ريَاض قدسهِ متردِّدٌ ومِن لطائفِ فضلهِ إليهِ مُتَزوِّدٌ؛ والمعرفةُ أصلٌ وفرعُهُ الإيمانُ» .

---

١) الإشارات والتنبيهات : النمط التاسع .

٢) روضة الكافي (٢٤٧، ح٣٤٧) : «لو يعلم الناسُ ما فى فضْل معرفة الله ما مدُّوا أعينَهم إلى مامتَّع الله به الأعداء من زهرةِ الحياة الدُّنيا ونعمتها، وكانت دنياهُم عندهمْ أقلَّ مِمَّا يطؤونهُ بأرجلهم، وليتنعَّموا بمعرفة الله تعالى وتلذَّذوا بها تلذُّذ من لم يزل فى روضات الجنَّات مع أولياء اللهِ ؛ إنَّ معرفة الله آنسٌ منْ كلِّ وحشةٍ، وصاحبٌ منْ كلِّ وحدةٍ، ونورٌ منْ كلِّ ظلمةٍ، وقوَّة من كلِّ ضعف، وشفاءٌ من كلِّ سقم» .

٣) مصباح الشريعة : الباب ٩٧ في الحبّ .

٧٨) وروي في الكافي[١] والتوحيد[٢] أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال : «إنَّ رُوحَ المؤمن لأشدُّ اتِّصالاً برُوح الله مِن اتِّصالِ شعاع الشَّمس بها» .

٧٩) وجاء في الحديث القدسيِّ[٣] ـ المتَّفَق عليه بين جميع أهل الإسلام ـ : «ما يتقرَّبُ إليَّ عبدي بشيْءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افترضْتُه عليهِ ؛ وإنَّه ليتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحبَبتُه كنتُ سَمعَهُ الذي يَسمعُ بهِ وبصرَه الذي يبصرُ بهِ ولسانَه الذي ينطِقُ بهِ ويدَه التي يبطشُ بها؛ إنْ دعاني أجَبتُه وإنْ سألني أعطيتُه» .

٨٠) وقال الخواجه نصير الدين الطوسي[٤] : «العارفُ إذا انقطعَ عنْ نفْسهِ واتَّصلَ بالحقِّ رأى كلَّ قدرةٍ مستغرقةً فى قدرتِهِ المتعلِّقةِ بجميع المقدُوراتِ وكلَّ علمٍ مستَغرَقاً في علمِهِ الذى لايعزُبُ عنْهُ شيْءٌ من الموجوداتِ وكلَّ إرادةٍ مسْتغرَقةً في إرادتهِ التي لايتأبَّى عنها شيءٌ مِن الممكناتِ؛ بل كلّ وجودٍ فهوَ صادرٌ عنهُ، فائضٌ منْ لدنهُ ؛ فصارالحقُّ حينئذٍ بصرهُ الذى بهِ يبصُرُ وسمعَهُ الذي بهِ يسمعُ وقدرتَهُ التي بهايفعلُ وعلمَهُ الذي بهِ يَعلمُ ووُجودهُ الذي بهِ يوجدُ ؛ فصار العارفُ حينئذٍ متخلِّقاً بأخلاقِ اللهِ بالحقيقَةِ» .

٨١) وفي مصباح الشريعة أيضاً[٥] : «المشتاقُ لايشتهي طعاماً ولا يستلِذُّ شراباً ولايستطيبُ رُقاداً ولايأنسُ حميماً ولايأوي داراً ولا يسكنُ عمراناً ولايلبسُ

---

١) الكافي : ١٦٦/٢، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح٤ .

٢) جاء في مصادقة الإخوان : باب المؤمن أخو المؤمن، ح٢ . ولم أعثر عليه في كتاب التوحيد للصدوق ـ قده . وجاء أيضا في الاختصاص : ٣٢ . بحار الأنوار : ٢٧٧/٧٤، ح٩ .

٣) الحديث معروف بحديث قرب النوافل، وقد تواتر الرواية به من العامّة والخاصّة بألفاظ مختلفة، راجع التوحيد للصدوق : ٤٠٠، باب أنّ الله تعالى لايفعل بعباده إلا الأصلح .

٤) شرح الإشارات : ٣٨٩/٣، الإشارة (١٥) من النمط التاسع .

٥) مصباح الشريعة : الباب ٩٨ في الشوق .

ليّناً ولا يقِرُّ قراراً، ويعبدُ اللهَ ليلاً ونهاراً راجياً أنْ يصلَ إلى ما يشتاقُ إليهِ، ويناجِيهِ بِلِسانِ شوقِهِ مُعبِّراً عمَّا في سريرتِهِ، كما أخبرَ اللهُ عنْ موسَى بن عمرانَ في ميعادِ ربِّهِ بقولهِ : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه/٨٤] وفسَّر النبيُّ ﷺ عنْ حالِهِ : «أنَّهُ ما أكلَ ولا شربَ ولانامَ ولااشتهَى شيئاً منْ ذَلكَ في ذهَابِهِ ومجيئِهِ أربعينَ يوماً شوقاً إلى ربِّهِ» فإذا دخلْتَ ميدانَ الشوقِ فكبِّرْ على نفْسِكَ ومُرادِكَ منَ الدنيا، ودع المألوفاتِ وأحرمْ عنْ سوَى مَشوقِكَ ولَبِّ بينَ حياتِكَ وموتِكَ» ـ إلخ.

٨٢) وروي في علل الشرايع[1] عن رسول الله ﷺ : «إنَّ شعَيباً بكى منْ حُبِّ اللهِ ﷻ حتَّى عَميَ، فرَدَّ اللهُ عليهِ بصرَهُ، ثمَّ بكى حتَّى عَمِيَ فرَدَّ اللهُ عليهِ بصرَهُ، ثمَّ بكَى حتَّى عَمِيَ فرَدَّ اللهُ عليْهِ بصرَهُ ؛ فلمَّا كانتِ الرابعةُ أوحى اللهُ إليهِ : «يا شعيبُ، إلى متَى يكونُ هَذا منكَ أبداً ؟ إنْ يكنْ هَذا خوفاً منَ النَّارِ فقدْ أجرتُكَ، وإنْ يكنْ شوقاً إلى الجنَّةِ فقدْ أبحتُكَ» .

٨٣) فقالَ : «إلهي وسيِّدي، أنتَ تعلمُ أني ما بكِيتُ خوفاً منْ نارِكَ ولا شوْقاً إلى جنَّتِكَ، ولكِنْ عُقِدَ حبُّكَ على قلْبِي فلستُ أصبرُ أو أراكَ» .

٨٤) فأوحَى اللهُ ﷻ : أمَّا إذا كانَ هَذا هَكذا، فمنْ أجْلِ ذَلكَ سَأخدمُكَ كليمي موسَى بْن عمرانَ» .

٨٥) وفي دعاء الكميل[2] : «و هَبْنِي يا إلهي وسيِّدِي ومولاي، صَبَرتُ على عذابِكَ فكيفَ أصبْرُ على فِراقِكَ» .

---

١) علل الشرائع : ١/ ٥٧، الباب ٥١، ح١. ومن عجيب التأويل ما علقه الصدوق ـ قده ـ على هذه الرواية قائلا : «قال مصنف هذا الكتاب ـ والله أعلم ـ : يعني بذلك لا أزال أبكي أو أراك قد قبلتني حبيبا» .

٢) دعاء الكميل معروف .

٨٦) وفي المناجاة الشعبانيَّة[1] يقول: «وَ هَبْ لي قلباً يُدنيهِ منكَ شَوقُهُ ولساناً يرفَعُ إليكَ صدقُهُ، ونظراً يُقرِّبُهُ إليكَ حقُّهُ».

٨٧) وأيضاً فيها: «و هَبْ لنا كمالَ الانقطاع إليك وأنِر أبصارَ قلوبِنا بضياءِ نظرِها إليك حتَّى تخرقَ أبصارُ القلوبِ حجُبَ النورِ فتصلَ إلى معدن العظمةِ وتصير أرواحُنا معلَّقةً بعزِّ قدسِك، واجعلني ممَّن ناديتَه فأجابكَ ولاحظتَه فصعقَ لجلالِك، فناجَيتَه سرّاً وعمل لك جهراً».

٨٨) وأيضاً فيها: «وألحِقْنِي بنُورِ عزِّكَ الأبهج فأكونَ لكَ عارفاً وعنْ سوَاكَ منحَرِفاً».

٨٩) وفي دعاء أبي حمزة الثمالي[2] تقرء: «و إنَّكَ لا تَحتَجِبُ عنْ خَلْقِكَ إلاَّ أنْ يحْجُبهمُ الأعمالُ السَّيِّئَةُ دُونَكَ».

٩٠) عزيزي، لو أردتُ نقلَ نصوص من هذا القبيل ـ ممَّا هي صريحة في المعرفة والمحبَّة والوصول إلى مقام القرب والوصال المعنوي ـ لصار كتاباً مفصَّلاً، ولاسيَّما في الأدعية والمناجاة المرويَّة عن أئمَّة الهدى، وتلك التي نقلتُها روايات لها أسناد معتمَدة ومعتبرة، وتلقَّاها العلماء الإماميَّة بالقبول، وأمثال ذلك كثيرة، فكم مقدار ما ورد في الروايات من تجلِّي حضرته جلّ جلاله بأسمائه وبنوره وعظمته وورَد أمثالها في الأدعية، وأعلى من كلِّ ذلك في القرآن المجيد[3].

---

١) إقبال الأعمال: ٦٨٦، أعمال شهر شعبان.

٢) إقبال الأعمال: ٦٨، أعمال شهر رمضان.

٣) ﴿وَ لَمَّا جاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أرنى أنْظُرْ إلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانى ولَكِنِ انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ وَأنَا أوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف/١٤٣].

٩١) فدعاء السمات[١] يقرؤها جميع العلماء .

٩٢) وكم ورد في الأدعية «و ارزُقني النظر إلى وجهك»[٢] و في بعضها : «ولاتحرمني النظر إلى وجهك الكريم»[٣] ، وكم في المناجاة الخمسة عشر من التصريحات بالوصول والنظر واللقاء والقرب والمعرفة -ولوأني لم أذكر شيئاً منها لعدم ثبوت أسنادها[٤] ولكنَّها حجَّة على مقلِّدي العلماء الأعلام؛ لأنَّ العلماء الأعلام يقرؤونها ويقرِّرون مطالبها -

٩٣) وهكذا كم من التصريحات في القسم الملحق بدعاء يوم عرفة[٥] لسيِّد الشهداء عليه السلام - فإني لم أذكرشيئاً منها لعدم ثبوته[٦] ولكن العلماء الأعلام يقرؤونها -

---

١) راجع مصباح المتهجد : ٣٧٤، الدعاء آخر ساعة من نهار يوم الجمعة . جمال الأسبوع : ٣٢١ . بحارالأنوار : ٩٦/٩٠ .

٢) مصباح المتهجد (٣٩٨، ضمن دعاء ليلة الأحد) : «اللهمّ حبّب إلينا لقاءك وارزقنا النظر إلى وجهك» . عنه بحارالأنوار : ١٥٩/٩٠. وفي فلاح السائل (٤٢٣، الفصل ٢٤، ح٧) ضمن الدعاء التي تقرء في تعقيب فريضة المغرب : «وجنّتك الفردوس فأسكنّي والنظر إلى وجهك فارزقني» عنه بحارالأنوار : (١٠٤/٨٦، ح٨)

٣) في إقبال الأعمال (١٠٤، من الأدعية التي يقرء في كل يوم من شهر رمضان) : «ولاتحرمني يا ربّ النظرإلى وجهك الكريم». وفيه (٦١٢، الدعاء بعد قراءة زيارة يوم المولد الشريف النبويّ صلى الله عليه وآله) : «وأسألك لذّة النظر إلى وجهك الكريم» . وفيه (٦٢٠، الدعاء لأوّل يوم من شهر جمادي الأُولى) : «وأسألك النظر إلى وجهك الكريم» . وأمثال ذلك في الأدعية المأثورة كثيرة .

٤) قال المحدّث النوري - قدّه - في خاتمة المستدرك (٢٠٦/١) : «والمناجاة الخمسة عشر، التي عدّها صاحب الوسائل في الصحيفة الثانية من أدعية السجّاد عليه السلام، ونسبها إليه من غير تردّد، مع أنّه لايوجد لها سند، ولم يحتو عليها كتاب معتمد...» .

٥) إقبال الأعمال : ٣٤٩، من الدعاء المرويّ عن سيد الشهداء عليه السلام المعروف بدعاء عرفة .

٦) قال المجلسي قده (بحارالأنوار : ٢٢٧/٩٨) بعد ذكر الدعاء :

«أقول : قد أورد الكفعمي - ره - أيضا هذا الدعاء في البلد الأمين (٢٥١-٢٥٨) وابن طاوس في مصباح الزائر كما سبق ذكرهما ولكن ليس في آخره فيهما بقدرورق تقريبا- وهو ☜

٩٤) وذكرنا في الابتداء أنَّ حمل هذه التعبيرات على لقاء الثواب مخالفٌ للنصِّ، ولو ورَد أحياناً في بعض الروايات تفسير الرؤية واللقاء بالثواب، فذلك قطعاً لأنَّ السائل لم يكن يفهم من الرؤية غير رؤية العين، كما أنَّ رسول الله ﷺ أيضاً فسَّر(١) ـ في جواب سائل ـ «خلَّةَ الخليل عليه السلام» بغير معنى المحبَّة، لأنَّه كان يرى أن لو فسَّر بغير هذا لكفَر السائل، فإنَّه لايفهم من المحبَّة غير المحبَّة الموجودة بين الآدميِّين، ولم يكن يفرض فرضاً غيرها، وذلك كفرٌ في حقِّه تعالى واقعاً.

٩٥) ولو أردتَ أكثر ممَّا عرضناه فارجع إلى ما روي من الأدعية والمناجاة لأئمَّة الهدى عليهم السلام وماورد في الروايات المرويَّة في مثوبات الأعمال.

٩٦) فالدعاء المرويُّ الرجبيَّة التي رواها السيد بن طاوس ـ رحمه الله ـ في الإقبال(٢) بسند عالٍ عن التوقيع المبارك للإمام ـ أرواح العالمين فداه ـ وبلاترديد يقرؤها هو عليه السلام بنفسه، وجاء فيها: «اللهمَّ إنى أسألكَ بمعاني جميع مايَدعُوكَ بِهِ ولاةُ أمركَ المأمونونَ على سرِّكَ» ـ إلى أن قال: ـ «و بمقاماتِكَ التي لا فرقَ

☜ من قوله: «إلهي أنا الفقير في غناي» إلى آخر هذا الدعاء ـ وكذا لم يوجد هذه الورقة في بعض النسخ العتيقة من الاقبال أيضا وعبارات هذه الورقة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضا وإنّما هي على وفق مذاق الصوفيّة، ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الورقة من مزيدات بعض مشايخ الصوفيّة ومن إلحاقاته وإدخالاته؛ وبالجملة هذه الزيادة إمّا وقعت من بعضهم أوّلا في بعض الكتب وأخذ ابن طاووس عنه في الإقبال غفلة عن حقيقة الحال أو وقعت ثانياً من بعضهم في نفس كتاب الإقبال، ولعلّ الثاني أظهر على ما أومأنا إليه من عدم وجدانها في بعض النسخ العتيقة وفي مصباح الزائر ـ والله أعلم بحقايق الأحوال.

١) في علل الشرايع (١/٣٥، الباب ٣٢، ح٤) عن جابربن عبد الله الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اتّخذ الله إبراهيم خليلا إلا لإطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام».

٢) إقبال الأعمال: ٦٤٦، أعمال شهر رجب.

بينها وبينكَ إلاَّ أنهَّم عبادُكَ وخلْقُكَ، رَتقُها و فَتقُها بيدِكَ» .

٩٧) ولاحِظ في أدعية ليالي الشهر المبارك قولهم عليهم السلام[١] : «آه! آه، شوقاً إلى منْ يراني ولا أراهُ» .

٩٨) وانظر في دعاء عرفة ودعاء الجمعة وسائر مناجاة مولى الموالي ؛ وفي أخبارالمثوبات، فانظر إلى حديث المعراج ـ الذي رواه صاحب الوافي[٢] عن العلماء الأعلام ـ فقد جاء فيه :

٩٩) «يا أحمد ... قال : «يا ربِّ ما أوَّلُ العبادةِ» ؟ قال : «الصمْتُ والصومُ ؛ تعلمُ ـ يا أحمدُ ـ ما ميراثُ الصوم» ؟ قال : «لا ، يا ربِّ» .

١٠٠) قال : «ميراثُ الصومِ قلَّةُ الأكل وقلَّةُ الكلام، والعبادةُ الثانيةُ الصمتُ، والصمتُ يورثُ الحكمةَ وتورثُ الحكمةُ المعرفةَ وتورثُ المعرفةُ اليقينَ؛ وإذا استيقنَ العبدُ لايبالي كيفَ أصبحَ، بعسرٍأم يسرٍ ؛ فهذَا مقامُ الراضينَ؛ فمنْ عمِلَ رضايَ ألزمُهُ ثلاثَ خصالٍ : أُعَرِّفُهُ شكراً لايخالِطهُ الجهلُ، وذكراً لايخالطهُ النسيانُ، ومحبَّةً لايؤثرُ على محبَّتي محبَّةَ المخلوقينَ ؛ فإذا أحبَّني أحببتُهُ وحبَّبتُهُ إلى خَلقي و أفتحُ عينَ قلبِهِ إلى عظمتي وجلالي، فلا أُخفي عليهِ عِلمَ خاصَّةِ خلْقي ؛ فأُناجيهِ في ظُلَم الليل و ضوءِ النهارِ حتَّى ينقطعَ حديثُهُ معَ المخلُوقينَ ومجالستُهُ معهُم وأُسْمِعهُ كلامي وكلامَ ملائكتي وأُعَرِّفهُ سِرِّيَ الذي سَترتُهُ من خَلْقي» .

---

١) إقبال الأعمال : ٥٦، ضمن الدعاء الذي يدعى به في أوّل ليلة أو أول يوم من شهر رمضان «سيّدي أنا من حبّك جائع لا أشبع، أنا من حبّك ظمآن لا أروى، واشوقا إلى من يراني ولا أراه ...» . عنه بحارالأنوار : ٣٣٨/٩٧ .

٢) حديث المعراج رواه صاحب إرشاد القلوب (٣٧٣/١ـ٣٨٢، آخر أحاديث القسم الأول) مرسلا، ورواه عنه الفيض الكاشاني في الوافي (١٤١/٢٦) والقسم المنقول تراه في الوافي : ١٤٧ـ١٤٩ .

١٠١) إلى أن قال :ـ«ثمَّ أرفعُ الحجُبَ بيني وبينَهُ فأُنعِّمُه بكلامي و أُلذِّذُه بالنظر إليَّ» .

١٠٢) إلى أنْ قالَ :ـ«ولأجعلنَّ ملكَ هَذا العبدِ فوقَ ملكِ الملوكِ حتَّى يتضعضَعَ لهُ كلُّ مَلكٍ ويهابَه كلُّ سلطانٍ جائرٍ وجبَّارٍ عنيدٍ ويتمسَّحَ له كلُّ سَبُعٍ ضارٍّ، ولأشوِّقنَّ إليهِ الجنَّةَ وما فيها، ولأستغرقنَّ عقلهُ بمعرفتِي، ولأقُومنَّ لهُ مقامَ عقلِهِ، ثمَّ لأهوِّننَّ عليهِ الموتَ و سكراتِهِ وحرارتهُ وفزعهُ حتَّى يُساقَ إلى الجنَّةِ سوقاً؛ وإذا نزلَ بهِ مَلَكُ الموتِ يقولُ : «مرحباً بك فطوبى لكَ، طوبى لك، إنَّ اللهَ إليكَ لمشتاقٌ ؛ اعلَمْ ـ يا وليَّ اللهِ ـ أنَّ الأبوابَ التي كانَ يصعَدُ منها عملُكَ يبكي عليكَ، وأنَّ محرابكَ ومصلاَّكَ يبكيانِ عليكَ» .

١٠٣) فيقولُ : «أنا راضٍ برضوان اللهِ وكرامتهِ» .

١٠٤) وتخرُجُ الرُّوحُ من بدنِه كماتخرُجُ الشعْرةُ منَ العجينِ؛ وإنَّ الملائكةَ تقومُونَ عند رأسهِ، بيديْ كلِّ ملَكٍ كأسٌ من ماءِ الكوثرِ وكأسٌ منَ الخمر يسقونَ رُوحَه حتَّى يذهبَ سكرتُهُ ومرارتُهُ ويبشِّرونهُ بالبشارةِ العظمَى، ويقولون : «طبتَ وطابَ مثواكَ، إنَّكَ تقدمُ على العزيزِ الكريمِ الحبيبِ القريبِ» .

١٠٥) فتطيرُ الروحُ من أيدي الملائكةِ فتسرعُ إلى اللهِ في أسرع من طرفةِ عينٍ؛ فلايبقَى حجابٌ ولاسترٌ بينهَا وبينَ اللهِ تعالى، واللهُ تعالى إليها لمشتاقٌ؛ فتجلسُ على عينٍ عن يمينِ العرشِ؛ ثمَّ يقالُ لها : «أيَّتها الروحُ، كيفَ تركتِ الدنيَا» ؟ فتقولُ : «إلهي وسيِّدي، وعزَّتِكَ وجلالكَ لا علمَ لي بالدنيا، أنا منذُ خلَقتني إلى هَذهِ الغايةِ خائفٌ منكَ» .

١٠٦) فيقُولُ اللهُ : «صدقت، كنت بجسدك في الدنيا وبروحك معي، فأنت

بعيني، أعلمُ سرَّك وعلانيتك؛ سَلْ أعطِكَ وتمنَّ عليَّ فأكرمك؛ هَذهِ جنَّتي، فتبحبَحْ فيها، وهَذا جواري فاسْكنهُ».

١٠٧) فتقولُ الروحُ: «إلهي، عرَّفتني نفسَكَ فاستغنيتُ بها عن جميع خَلقكَ، وعزَّتِكَ وجلالكَ لو كان رضاكَ في أن أُقطَّعَ إرْباً إرْباً أو أُقتَلَ سبعينَ قتلَةً بأشدِّ ما يُقتلُ بهِ الناسُ لكانَ رضاكَ أحَبَّ إليَّ».

١٠٨) إلى أنْ قال: ـ قال اللهُ ﷻ: «وعزَّتي وجلالي، لا أحجُبُ بيني وبينَكَ في وقتٍ منَ الأوقاتِ حتَّى تدخلَ عليَّ أيَّ وقتٍ شئتَ؛ وكذَلكَ أفعلُ بأحبَّائي».

١٠٩) وبعد ذلك يقول في تفسير الحياة الباقية: أفعل بصاحبه كذا وكذا ـ إلى أن قال: ـ «وأفتَحُ عينَ قلبِه وسمعَهُ حتَّى يسمعَ بقلبِه منِّي وينظرَ بقلبهِ إلى عظمتي وجلالي».

١١٠) وأيضاً في هذا الحديث: «إنَّ أدْنى ما أُعطِي الزَّاهدينَ في الآخرةِ أن أُعطيهمْ مفاتيحَ الجنانِ كلَّها، حتَّى يفتحُوا أيَّ باب شاؤوا ولا أحجبُ عنهم وجهي ولأُنعِّمنَّهم بأنْواع التَّلذُّذ من كلامي».

١١١) إلى أنْ قالَ: ـ «وأفتحُ لهم أربعةَ أبوابٍ: بابٌ تدخلُ عليهمُ الهدايا منهُ بُكرةً وعشيّاً، وبابٌ ينظرُونَ منهُ إليَّ كيفَ شاؤوا».

١١٢) وأيضا يقول في وصف أهل الآخرة في هذا الحديث: «ولأرفعنَّ الحُجبَ لها دُوني».

١١٣) ويقول: «ولايلي قبضَ رُوحهِ غيري؛ وأقولُ عندَ قبض رُوحه: «مرحباً وأهلاً بقدومكَ عليَّ».

١١٤) **وهذه التي أوردها هنا ـ هذا اللابضاعة له ـ كلُّها روايات صحيحة**

معتبرة، ولووسَّعتُ شيئاً وأوردتُ ماورد في أخبارداود عليه السلام[١] ومافي المناجاة الخمسة عشر[٢] ومافي المناجاة الإلحاقيَّة بدعاء عرفة التي أوردها السيّد ـ قدس سره ـ في الإقبال[٣] والعلاّمة ـ قدس سره ـ في المزار[٤]، فهذه بنفسها أكثر من حدِّ التواتر.

١١٥) وفي حديث الصلاة قال في القراءة[٥] : «يرقأ بكل آية درجة من فلان وفلان» ـ إلى أن قال : ـ «ودرجة من نور ربِّ العزَّة» .

١١٦) وفي حديث ملاقات المؤمن في المستدرك[٦] ناقلاً عن مجموعة الشهيد عن كتاب الأنوار لأبي عليٍّ بن محمَّد بن همام : «...أُشهدكم عبادي بأني أُكرمه بالنظر إلى نوري وجلالي وكبريائي» .

١١٧) وفي حديث ثواب الجهاد ـ في التهذيب[٧] ـ عُدَّ في حديث للشهيد سبعة خصال وجاء فيه : «السابع أن ينظر في وجه الله وإنَّها لراحة لكلِّ نبيٍّ وشهيد» .

١١٨) وفي ثواب سجدة الشكر في الصلوات الواجبة ورد في حديث صحيح[٨]

---

١) راجع الجواهر السنيّة : ٨١ـ٩٦، الباب الثامن فيما ورد في شأن داود عليه السلام .

٢) المناجاة الخمسة عشر سبق الإشارة إليها في التعليقة على الرقم ٩٢ .

٣) إقبال الأعمال : ٣٤٩ .

٤) بحارالأنوار : ٩٨/٢٢٥، وقد سبق ما قاله المجلسي فيه في التعليقة على الرقم ٩٣ .

٥) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري : ٥٢٣، تفسير الآية : البقرة/١٠٩. عنه مستدرك الوسائل : ٧٨/٣، ح٣٠٧٢ . بحار الأنوار : ٢٢١/٨٢، ح٤٢ .

٦) مستدرك الوسائل : ٣٨٣/١٠، ح١٢٢٣١.

٧) التهذيب : ١٢١/٦، ح٣ . عنه وسائل الشيعة : ١٦/١٥، ١٩٩٢٠.
عوالي اللآلي :١٨٢/٣، ح٣ .

٨) من لايحضره الفقيه : ٣٣٣/١، ح٩٧٩، مع بعض الاختلافات اللفظيّة . وسائل الشيعة : ٦/٧، ح٨٥٦٤ . بحارالأنوار : ٢٠٥/٨٦، ح ١٩ .

«إنَّ العبدَ إذا صلَّى وسجدَ سجدةَ الشكر فتحَ الربُّ تعالى الحجابَ بينهُ وبينَ الملائكةِ، فيقُولُ: يا ملائكتي، انظُرُوا إلى عبدي؛ أدَّى فرضي وأتمَّ عهدِي ثمَّ سجد لي شكراً على ما أنعمتُ بهِ عليهِ.

١١٩) ملائكتي، ما ذا لهُ؟ فتقولُ الملائكةُ: يا ربَّنا رحمتُك. [ثمَّ يقولُ الربُّ تعالى: ثمَّ ماذا؟ فتقُولُ الملائكةُ: يا ربَّنا جنَّتك][1] ثمَّ يقولُ الربُّ تعالى: ثمَّ ماذا؟ فتقُولُ الملائكةُ: يا ربَّنا كفايةُ مهمِّه. فيقول الربُّ: ثمَّ ماذا؟ فلا يبقَى شيْءٌ من الخيرِ إلاّ قالتهُ الملائكةُ. فيقول اللهُ تعالىٰ: يا ملائكتي، ثمَّ ماذَا؟ فتقول الملائكةُ: يا ربَّنا لا عِلمَ لنا.

١٢٠) فيقول اللهُ تعالى: لأشكُرَنَّه كما شكرني، وأقبِلُ عليه بفضلي وأُريهِ وجهي».

١٢١) وفي رواية ثواب الأعمى[2] ورد أنَّه قال: «أُريك وجهي».

١٢٢) «وفي رواية ضيافة أهل الجنَّة[3] أنَّهم بعد قراءة القرآن يستدعون استماع كلام الربِّ تعالى، فيتفضَّل عليهم، فيصعقون من لذَّة الاستماع ويبقون كذلك مدَّة مديدة، وبعد الإفاقة منه يستدعون زيارة جمال الجميل تعالى، فيتجلَّى نورٌفيصعقون من تجلِّيه ويبقون في الصعق حتى تشكوه الحورالعين».

١٢٣) وفي مقطع آخر من هذا الحديث في ثواب الذين حفظوا ألسنتهم من فضول الكلام وبطونهم من فضول الطعام[4]: «أنظرإليهم في كلِّ يوم سبعين مرَّة وأُكلِّمهم كلَّما نظرتُ إليهم».

---

١) مابين المعقوفتين إضافة من المصادر.

٢) لم أعثر على نص الحديث.

٣) لم أعثر على نص الحديث.

٤) الوافي ١٤٣/٢٦، حديث المعراج.

١٢٤) **عزيزي أنصف!** هل يمكن للإنسان ردُّجميع هذه الآيات والأدعية والأخبار بتعبيراتها المختلفة ؟ فلوتطلب الاعتبار سنداً، التواتر لو قالوا بأربعين، فأنا آتيك بخمسمائة أو ألف من المسانيد ـ على أنَّ القرآن الكريم لايحتاج إلى السند ـ ولو تطلب الدلالة، فلاتكون أقوى من النصِّ، ودلالات بعض مانقلناه من الألفاظ ليس فيها موضع لشكّ أو محمل للمجاز أبداً .

١٢٥) نعم، على الإنسان أن يلتفت أنَّ لقاءه ﷻ ليس من قبيل لقاءالممكنات، ورؤيته ليس بالعين مثل رؤية الجسمانيَّات، بل الرؤية القلبيَّة أيضاً منزَّهة عن كيفيَّة رؤية المتخيَّلات، والرؤية العقليَّة أيضاً منزَّهةٌ عن كيفيَّة رؤية المعقولات، كما جاء في الصحيفة العلويَّة[1] : «وتمثَّلَ في القلُوبِ بغيرِ مثالٍ تحدُّه الأوهامُ أو تدرِكهُ الأحلامُ» .

١٢٦) وكما قال السيد بن طاووس ـ قدّس سرُّه ـ في فلاح السائل[2] : «فقد رُوي أنَّ مولانا جعفربن محمَّد الصادق ﷺ كان يتلوالقرآنَ في صلاته فغشيَ عليهِ، فلمَّا أفاقَ سُئل : «ما الذي أوجَبَ ما انتهت حالكَ إليه»؟ فقال ﷺ ما معناهُ : «ما زِلتُ أكرِّرُ آيات القُرآن حتَّى بلغتُ إلى حالٍ كأنَّني سمعتُها مشَافهةً ممَّن أنزلها على المكاشفةِ والعيانِ، فلم تقُم القوَّةُ البشريَّة بمكاشفةِ الجلالةِ الإلهيَّةِ» .

١٢٧) وإيَّاكَ ـ يا من لا تعرف حقيقةَ ذلكَ ـ أن تستبعدَه أو يجعلَ الشيطانُ في تجويزالذي رويناهُ عندكَ شكّاً، بل كُنْ مُصدِّقاً ، أماسمعتَ اللهَ يقولُ : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَل جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ [الأعراف/١٤٣] » ـ انتهى .

---

١) مهج الدعوات : ١٤٤ . الدعاء الذي أوله : «الحمد لله أول محمود وآخر معبود» .
عنه بحارالأنوار : ٩٤/٢٣١، ح٨ .

٢) فلاح السائل : ٢١٠، ذكر أدب العبد في قراءة القرآن .

١٢٨) فلو أراد الإنسانُ نيلَ هذه العوالم بالكشف والشهود، فعليه أن يقدِّر قدرَ كبر مقصوده ويعلم حدَّ عظم مطلوبه، حتَّى يكون جِدُّه في الطلب لائقاً بشأن المطلوب .

١٢٩) فطالب رئاسة قرية لايكون جِدُّه بقدر طالب سلطنة العالم قطعاً، وكِبرُ وعظمُ هذا المطلوب - شرفاً ونوراً وبهاءً وسلطنةً ولذَّةً- إلى حدٍ لايتصوَّر كُنهه - سيَّما بالنسبة إلى المبتدئ - بل كلُّ ماتُصوِّرلاتكون نسبته إلى حقيقة الأمر قدر واحدٍ من الألف .

١٣٠) فلذا يلزم عليه أن يقيس بقدر معقولاته ومعلوماته، مثل أنَّه ينظر إلى مايرى من الشرافة في كبراء الدنيا وقرب السلاطين وحتَّى السلطنة على جميع عالم الحسِّ والشهادة، فيقيس بها السلطنة على السماوات، فيرى أنَّها بأيّ درجة من العظمة والشرافة؛ وبعد ذلك يقيس عالم المحسوس بعالم غيب الملكوت والجبروت وغيره ويرجع ويتفكَّرفي سلطنة سلاطين الدنيا ويقيسها إلى السلطنة المعنويَّة، فيرى أنَّ مدَّة سلطنة هذه السلاطين ليست أكثرمن بضع سنوات، فكيف تكون نسبتها إلى السلطنة الأبديَّة ؟ ! وفي الكيف أيضاً يوجد ويتوقَّع في سلطنتهم آلاف من النقائص .

١٣١) وأمَّا السلطنة المعنويَّة سلطنة واقعيَّة، كسلطنة الإنسان على أعضائه وقواه وخياله .

١٣٢) فلاحِظ في وصف السلطنة الأُخرويَّة ماورد في الأحاديث من وصف أهل الجنَّة[1] : «يأتي إليهم من الله تعالى مكتوباً فيه : جعلتُك حيّاً لاتموت، وتقول للشيء : «كن» فيكون» .

---

١) وجاء في عدة الداعي (ص٢٩١) في الحديث القدسي : «يا بن آدم أنا غني لا أفتقر ؛ أطعني ☜

١٣٣) وبالجملة، السلطنة التي أعطاها خلاَّق العالم لكلِّ إنسان صحيح المشاعر من إحداث الصور الخياليَّة في عالم خياله، أعطى نظيره ـ أو ما هو أعلى منه ـ لعباده الخواصّ من الأنبياء والأولياء في هذا العالم ولأكثر ـ أو جميع ـ أهل الجنَّة في الجنَّة، في إحداث وإيجاد الأعيان الخارجيَّة بإذن الله.

١٣٤) وأهل المعرفة يقولون إنَّ معجزات الأنبياء وأئمَّة الدين من هذا القبيل(١).

١٣٥) والإنسان لو نظر في كلِّ مطلب بعقله ليرى أنَّ درجات وحدود كلِّ شيء في محلِّه منطبق مع ما يقرِّره العقل، وبصرف النظر عن العقل تصير الحكمة باطلة ولايبقى فرق بين النور والظلمة والحُسن والقبح والوضيع والشريف.

١٣٦) فهذا المقدار كافٍ في معرفة شرافة هذا المطلب والمطلوبات الأُخر، ولو أردت أن تتصوَّر شيئاً من اللذَّة والبهجة التي لهذا المطلوب، فعليك بماقاله بعض أهل المعرفة ووصَفَ درجة من لذَّات ذلك العالم فقال(٢): «ذلك المقام دار الحيوان والحياة الحقيقيَّة، كأنَّه حياة تغلي وتفور».

☜ فيما أمرتك أجعلك غنيّاً لاتفتقر، يا بن آدم أنا حيّ لا أموت أطعني فيما أمرتك أجعلك حيّاً لاتموت، يا بن آدم أنا أقول للشيء: «كن» فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول لشيء: «كُنْ» فَيَكُون». عنه بحارالأنوار: ٩٣/٣٧٦.

راجع أيضا ما ورد في مستدرك الوسائل (١١/٢٥٨، ح١٢٩٢٨) عن ارشاد القلوب.

وفي الفتوحات المكيّة (٣/٢٩٥، الباب ٣٦١): «وورد الخبر في أهل الجنّة أن الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن في الدخول عليهم فإذا دخل ناولهم كتابا من عند الله بعد أن يسلّم عليهم من الله فإذا في الكتاب لكلّ إنسان يخاطب به من الحيّ القيّوم الذي لا يموت إلى الحيّ القيّوم الذي لا يموت، أمّا بعد فإني أقول للشي: «كن» فيكون وقد جعلتك تقول للشي: «كن» فيكون، فقال ﷺ: فلا يقول أحد من أهل الجنّة للشي: «كن» إلاّ ويكون».

١) راجع الشواهد الربوبيّة: ٣٩٩، الإشراق الثاني من الشاهد الأوّل من المشهد الخامس.

٢) أثولوجيا (٩٤، الميمر الثالث): «إنّ العالم العقلي الأعلى هو الحيّ التامّ الذي فيه جميع الأشياء أُبدع من المبدع الأوّل التامّ، ففيه كلّ نفس وكلّ عقل، وليس هناك فقرّ ولاحاجة ألبتّة، لأنّ الأشياء التي هناك كلّها مملوّة غنى وحياة، كأنّها حياة تغلي وتفور».

١٣٧) وفي ذلك الحال جميع أنواع اللذّات تحصل لأهله في لحظة واحدة، دون أن يتداخل بعضها في بعض أويكسر بعضها بعضاً وتتغيّر كيفيّتها، مثل أنّه يحصل جميع لذّات أنواع المطعومات والمرئيّات والمسموعات والمشمومات والملموسات في كلّ آنٍ لأحد، دون أن يؤثّرواحد منها في آخرأويبطل أثره .

١٣٨) وهذه اللذّات من قبيل لذّات العوالم الحسّيّة في جنّة النعيم، ولو قِستَ بها لذّات وبهجات أنوار الجمال والجلال لحضرة الجميل والجليل تعالى، يكفيك في البعث إلى بذل كلّ الجدّ والجهد والطاقة في هذا الطريق .

١٣٩) وقد ورد في روايات الأئمّة إشارات إلى هذه العوالم، فقد ورد[1] أنّ في الجنّة ماء فيه طعم جميع المشروبات والمطعومات، وقد مضى في حديث المعراج[2] ما قاله في جواب الله جلّ جلاله لما قال : «هذه جنّتي فتبحبح فيها» فقال : «لمّا عرّفتني نفسَك استغنيتُ من كلّ شيء» .

١٤٠) ومضى في حديث الضيافة[3] أنّهم يصعقون من تجلّي حضرة الحقّ تعالى صعقة لايفيقون منها حتّى تشكوا من ذلك الحورالعين، فيفيقهم الله تعالى .

١٤١) **عزيزي** ، فاجهد أن تؤمن بالله ورسوله والأئمّة عليهم السلام والثواب والعقاب والجنّة والنار، ولاتتوهّم القربَ والبُعدَ مثل ملاحدة الزمان أمراً موهوماً .

---

١) الكافي (الروضة : ١٣٩/٨، ضمن ح ١٠٣، حديث عيسى بن مريم) جاء في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله : «... له حوض أكبر من بكّة إلى مطلع الشمس من رحيق مختوم فيه آنيةٌ مثل نجوم السماء و أكواب مثل مدر الأرض عذب فيه من كلّ شراب وطعم كلّ ثمار في الجنّة» وفي الدرّ المنثور (٣٧٤/٢، آل عمران/١٦٩) : «أرواح الشهداء في قباب بيض من قباب الجنة، في كلّ قبة زوجتان، رزقهم في كلّ يوم ثور وحوت، فأمّا الثور ففيه طعم كلّ ثمرة في الجنّة، وأمّا الحوت ففيه طعم كلّ شراب في الجنّة» .

٢) مضى في الرقم ١٠٦ .

٣) مضى في الرقم ١٢٢ .

١٤٢) وما قلنا لك إلى الآن مَّا يخطر على قلب البشر، فقس به «ولاخطَرَ على قلب بشر»(١)

١٤٣) «تجنِّنه ثمَّ تعطيه العالمين

١٤٤) ماذا يفعل مجنونك بالعالمين»(٢)

---

١٤٥) «لا ترسلني - يا إلهي - من بابك إلى الجنَّة
فقَد كفانا أوّل زقاقك من الكون والمكان»(٣)

---

١٤٦) «ترابُ بابِك جنَّتي، حبٌّ وجهك طينتي
عشقُك سجلِّي، و رضاك راحتي»(٤)

١٤٧) «ماعَبدتُكَ خوفاً منْ نارِكَ ولا طمعاً في جنَّتِك، بل وجدتُكَ أهلاً للعبادةِ فعبدتُكَ»(٥).

---

١) إشارة إلى الحديث القدسي المعروف: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أُذن سمعت ولاخطر على قلب بشر». مسلم: ٢١٧٤/٤، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، ح٢. بحارالأنوار: ٩٢/٨. عوالي اللآلي: ٤١٠١، ح١٤٨.

٢) من رباعيّات جلال الدين الرومي صاحب المثنوي في ديوانه المعروف بشمس التبريزي:
آن كَس كه تورا شِناخْت جان را چِه كُند * فَرْزَند و عيال وخانمان را چِه كُند؟
ديوانِه كُنى هَر دو جَهانَش بَخْشى * ديوانِهِ تُو هَر دُو جَهان را چِه كُند؟

٣) من أشعار الشاعر الفارسي الحافظ الشيرازي (ديوانه: ١٨٢):
از دَرِ خويشْ - خُدايا - به بهشْتَم مَفِرسْت * كِه سَر كوىِ تُو از كون و مكان مَا را بَس

٤) من أشعار الشاعر الفارسي الحافظ الشيرازي (ديوانه: ٢٨٤):
خاكِ دَرَتْ بهشْتِ مَن، مِهر رُخَت سِرشتِ مَن
عِشقِ تو سَرنوشتِ مَن، راحتِ مَن رِضاىِ تُو

٥) الكلام منسوب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، راجع نهج الحق: ٢٤٨. بحارالأنوار: ١٤/٤١ و١٨٦/٧٠. عوالي اللآلي: ١١/٢، ح١٨.

١٤٨) وقد سمعتَ في حديث الشعيب[١] ـ على نبيِّنا وعليه السلام ـ أنـّه قال : «لا أبكي من خوف النار أو حبِّ الجنَّة، ولكن أبكي من البُعد منك وأصبر حتَّى أصل إلى لقائك» .

١٤٩) وسمعتَ في دعاءالكميل قول سيِّد العارفين ورئيس المناجين[٢] : «وهَبْني صبرتُ على عذابكَ فكيفَ أصبرُ على فراقكَ» .

[إلى متى الغفلة !]

١٥٠) فيا نفس الكاتب ـ اللاحياء لها ـ ويا سامع ـ اللامالك لشيء ـ إن كنت قاطعاً بهذه العوالم، فأين أثرُها ؟! فما لي أراك مرتاحاً ساكناً ؟! ولما ذا لاتلجأ إلى رؤوس الجبال، ولما ذا لاتفرُّ إلى الصحاري ! ولماذا ليس وِرد يومك وليلتك : ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر/٥٦] .

١٥١) وحتى لو كان لك اعتقادٌ ظنِّيٌ بها، فلِمَ لاتموت من الحزن ؟! ولو كان فيك احتمال هذا أيضاً فلابدَّ أن ينغِّض عليك عيشك، ويقطع لذَّتك من أعراض هذه الدنيَّة، فاصرخ : «واحسرتاه واحسرتاه واحسرتاه، واثبوراه، واحيرتاه، ياويلي، يا دماري، يا عولي، يا شقوتي» .

١٥٢) بلى، الإيمان ضعيف، والقلوب من محبَّة الدنيا مريضة، ولولاه لكفى الشكُّ والاحتمال في ذلك من اليقين أيضاً .

١٥٣) نعوذُ باللهِ و المشتكى إلى اللهِ وإلى حضرةِ رسولِ اللهِ وحضرةِ أميرالمؤمنينَ و آلهما الطّاهرينَ، لاسيَّما إلى خليفة عصرنا وإمام زماننا وسلطاننا وسيِّدنا ومعاذنا وملاذنا وعصمتنا ونُورنا وحياتِنا وغاية آمالنا، أرواحُنا وأرْواحُ العالمينَ فداهمْ ـ صلواتُ الله عليهم أجمعين .

---

١) مضى في الرقم ٨٢ .

٢) دعاء الكميل معروف .

[بدء الرجوع]

١٥٤) فالمخلص أنَّ الإنسان بعد ما تعيَّن مقصَده فعليه أن يشمِّر ذيل الهمَّة ويقول:

١٥٥) «لا أجلس عن الطلب دون تحصيل مرادي
إمَّا أن تصل الروح إلى المحبوب أو تخرج من البدن»[١]

١٥٦) فيتوب توبة صحيحة من ماضيه؛ وللتوبة مراتب حسب مراتب التائبين.

[التوبة ومراتبها][٢]

١٥٧) قال في مصباح الشريعة[٣]: «التوبةُ حبْلُ اللهِ ومددُ عنايتهِ ولابدَّ للعبدِ من مداومةِ التوبةِ على كلِّ حال؛ وكلُّ فرقةٍ منَ العِبادِ له توبةٌ؛ فتوبةُ الأنبياءِ من اضطرابِ السرِّ وتوبةُ الأولياءِ من تلوُّثِ الخطراتِ وتوبةُ الأصفياءِ من التنفيس وتوبةُ الخاصِّ من الاشتغالِ بغيرِ الله وتوبةُ العامِّ من الذنوبِ».

١٥٨) والتوبة اللازمة للعوام تلك التي قال أمير مملكة الولاية في معنى استغفارها[٤]:

١٥٩) «هو اسمٌ واقعٌ على ستَّة معانٍ: أوَّلها الندم على ما مضى»

١٦٠) ـ وذلك الندم علاج لأشياء كثيرة، ولاسيَّما عوض وبدلٌ من الندم عند الموت وبعد الموت الذي لايتمكَّن الإنسان من تصوُّر عظم الندم الذي

---

١) من أشعار الشاعر المعروف الفارسي الحافظ الشيرازي (ديوانه: ١٥٧):
دست از طلب ندارم تا كام من برآيد ❊ يا جان رسد به جانان يا جان ز تن درآيد

٢) فصّل المؤلّف ـ قده ـ الكلام في التوبة في كتابه «أسرار الصلاة» ص٤٩ـ٨٣ أيضا، فراجع.

٣) مصباح الشريعة: الباب التاسع والسبعون في التوبة.

٤) نهج البلاغة: الحكمة رقم ٤١٧. عنه وسائل الشيعة: ١٦/ ٧٧، ح٢١٠٢٨.

يستقبله من لم يتُب، فمادام هو في الدنيا لا يتمكَّن من تصوُّر أنَّ هذه المصيبات أيَّ سعادات وبهجات وأنوار وسلطنة له بدَّلها إلى الشقاوات والزحمات والظلمات والمقهوريَّة، فلايمكن له تصوُّرها حتَّى يتصوَّر درجة ندامته في الآخرة ـ

١٦١) «والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً .

١٦٢) والثالث أن تؤدِّي إلى المخلوقين حقوقَهم حتى تلقى اللهَ عَجَلَ أملس، ليس عليك تبعة .

١٦٣) والرابع أن تعمد إلى كلِّ فريضة عليك ضيَّعتَها فتؤدِّي حقَّها .

١٦٤) والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبَتَ على السحت فتذيبَه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد .

١٦٥) والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية» .

١٦٦) **وتفصيل هذا الإجمال** أنَّ الإنسان لو حصل له معرفة واقعيَّة بحقيقة آثار المعاصي وشناعتها، ومثلاً حينما يأكل مال اليتيم اعتقد أنَّه يأكل ناراً وأنَّها ليست النار المعهودة، فلاتطفئ بالأكل، بل تبقى وتقوى بعد الموت وتحرق العروق والأعماق، وكلَّما نضج ما أحرق يبدَّل بأُخرى، فلو اعتقد بهذا المعنى، يندم بلا اختيار بقدر ما أورد على نفسه من اللطمات، ولابدَّ أنَّه يتحرَّك إلى مايدفعها به ولاسيَّما لواعتقد أنَّه بدفع هذه النار تحصل له لذائذ وكرامات وشرافة عظيمة؛ فيكون شوقه بدفع هذه النار أيضاً بقدر مايحصل له من الكرامات ويتحمَّل بشوق تامّ كلَّ عمل شاقّ لحصول هذا الدفع .

١٦٧) **وإن قلت** : ماذا في التوبة من اللذّة والشرافة غير علاج المعصية ؟

١٦٨) أقـــول : ألا تـعـلـم أنَّ الله «مبدِّل السيِّآت بأضعافـها من الحسنات»[١] ولم تـسمع الكرامـة والبـشارة العظمـى في الكتـاب المجيـد : ﴿إنَّ اللهَ يحِـبُّ التـوَّابِينَ﴾ [البقـرة : ٢٢٢/٢] أو لم تتـصوَّر مقـام محبَّـة الله تعـالى ؟ يقـول أهـل الحقيقة ـ و العهدة عليهم ـ أنَّ محبَّة الله لعبده كشفه الحجُب له و إكرامه بجواره وقربه ولقائه .

١٦٩) فلوحصلت هذه المقدَّمات العرفانيَّة للتائب، لكان مهيَّئاً لعلاج المعاصي بشراشر وجوده، وكلُّ ذرَّة من ذرَّات وجوده يقول متضرِّعا ومبتهلاً بتمام مراتبه وجهاته : «أتوبُ إلى اللهِ» وعند ذلك تحصل جميع المراتب الأُخر له بأكمل الوجوه بالضرورة .

١٧٠) فانظر إلى الموارد التي حصلت لصاحب المعصية معرفة عرفانيَّة حقيقيَّة بشناعة معصيته، حتَّى ترى أيَّة حالات حصلت لصاحبها، وتذكَّر ما ورَد في حديث الشابِّ النبَّاش، وتأمَّل هل عرَّفه أحدٌ أن يعمل بهذه الأعمال ؟ أو المعرفة الحاصلة له ـ في الجملة ـ بكِبر جنايته صارت سبباً لما صدر منه من الوقائع ؛ بلى، هل شوهد من علَّم الثكلى النياحةَ على ولده الفائت، أو سائر الناس يتعلَّمون النياحةَ منها ؟

١٧١) فينبغي لنا أن نذكر الآن حديث توبة هذا النبَّاش ـ وهو من أوساط الناس ـ ثمَّ نردفه بما ورد من توبة بعض الأولياء، ثمَّ توبة بعض الأنبياء ونحكي من كلٍّ منها حكاية كنموذج، لعلها تؤثِّر قطرة المطر في ذلك الحجر الصلد .

---

١) في الدعاء الثاني والرابع والعشرون من أدعية الصحيفة السجاديّة ـ على منشئها آلاف السلام والتحية ـ : «يا مبدّل السيّآت بأضعافها من الحسنات» .

[توبة بهلول النبّاش]

١٧٢) جاء في كتاب تفسير الصافي في شأن نزول الكريمة ﴿وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾[آل عمران/١٣٥]عن مجالس الصدوق عن الصادق عليه السلام[1] قال «دخل معاذ بن جبل على رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً فسلّم، فردّه ثمّ قال صلى الله عليه وآله : «مايُبكيكَ يامعاذ»؟ فقال : «يارسول الله، إنَّ بالباب شابّاً طريَّ الخدِّ نقيَّ اللون حسَنَ الصورة، يبكي ـ على شبابه ـ بكاءَ الثَكلى على ولدها، يريد الدخول عليك . فقال النبي صلى الله عليه وآله : «أدخِل عليَّ الشابَّ يامعاذ» .

١٧٣) فأدخله عليه، فسلَّم، فردَّ عليه السلام، ثمَّ قال : «ما يُبكيك ياشابُّ» ؟ قال : «كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله ببعضها أدخلني نارَ جهنَّم، ولا أراني إلاَّ سيأخذني بها، ولا يغفر لي أبداً» .

١٧٤) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «هل أشركتَ بالله شيئاً» . قال : «أعوذ بالله أن أُشركَ بربِّي شيئاً» .

١٧٥) قال : «أقتلتَ النفس التي حرَّم الله» قال : «لا» . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله : «يغفر الله لك ذنوبك و إن كانت مثل الجبال الرواسيّ» . قال الشابُّ : «فإنهّا أعظم من الجبال الرواسيّ» .

١٧٦) فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله : «يغفرالله لك ذنوبَك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخَلق» . قال : «فإنهَّا أعظم من

---

١) أمالي الصدوق ـ قده ـ : ٧٩، المجلس الحادي عشر، ح٣. وحكاه الفيض الكاشاني فى تفسير الصافي : ١/٣٥٣ـ٣٥٥، تفسير الآية [آل عمران/١٣٥]، وقد أتينا في تعريبه بالنصّ من المصدر وإن كان فيه بعض الاختلافات اليسيرة مع المنقول في النصّ الفارسي للمؤلف ـ قده .

الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق» .

١٧٧) فقال النبيُّ ﷺ : «يغفر اللهُ لك وإن كانت ذنوبك مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي» . قال : «فإنَّها أعظمُ من ذلك» .

١٧٨) ـ قال :ـ فنظر النبيُّ ﷺ كهيأة الغضبان، ثمَّ قال : «ويحك يا شابّ، ذنوبُك أعظمُ أم ربُّك» فخرَّ الشابُّ لوجهه وهويقول : «سبحان ربي، ما من شيء أعظم من ربي، ربي أعظم ـ يانبيّ الله ـ من كلّ عظيم» .

١٧٩) فقال النبيُّ ﷺ : «فهل يغفر الذنبَ العظيم إلاّ الربّ العظيم» ؟ قال الشابُّ : «لاوالله ـ يا رسول الله»، ثمَّ سكت الشابُّ .

١٨٠) فقال النبيُّ ﷺ : «ويحك ياشابّ، ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك».

١٨١) قال : «بلى أُخبرك؛ إني كنت أنبشُ القبورَ سبع سنين، أُخرج الأموات وأنزع الأكفان، فماتت جاريةٌ من بعض بنات الأنصار، فلمَّا حُملت إلى قبرها ودُفنت وانصرف عنها أهلُها وجنَّ عليها الليل، أتيتُ قبرَها ونبشتُها، ثمَّ استخرجتُها ونزعتُ ما كان عليها من أكفانها وتركتُها مجرَّدة على شفير القبر فمضيتُ منصرفاً فأتاني الشيطانُ فأقبل يزيِّنها لي ويقول : «أما ترى بطنَها وبياضها ! أما ترى وركيها» ! فلم يزل يقول لي هذا حتَّى رجعتُ إليها ولم أملك نفسي حتّى جامعتُها وتركتُها مكانها؛ فإذا أنا بصوت من ورائي يقول : «ياشابُّ، ويل لك من ديَّان يوم الدين ويوم يقفني وإيَّاك، كما تركتني عريانة في عساكرالموتى، ونزعتني من حفرتي وسلبتني أكفاني وتركتني أقومُ جُنباً إلى حسابي؛ فويلٌ لشبابك من النار» فما أظنُّ أني أشمُّ رائحةَ الجنَّة أبداً، فما ترى لي يارسول الله» .

١٨٢) فقال النبيُّ ﷺ : «تنحّ عني يا فاسق، إني أخافُ أن أحترقَ بنارك، فما أقربك من النار» ثمَّ لم يزل يقول ويشير إليه حتَّى أمعن بين يديه .

١٨٣) فذهب فأتى المدينة فتزوَّد منها ، ثمَّ أتى بعضَ جبالها فتعبَّد فيها ، ولبس مِسحا[١] وغلَّ يديه جميعاً إلى عنقه، ونادى :

١٨٤) «ياربِّ هذا عبدُك بُهلول، بين يديك مغلولٌ، ياربِّ أنت الذي تعرفني وزلَّ منِّي ما تعلم، سيِّدي، ياربِّ، أصبحتُ من النادمين، وأتيتُ نبيَّك تائباً فطرَدَني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعِظَم سلطانك أن لاتخيِّب رجائي ـ سيِّدي ـ ولاتبطل دعائي، ولاتُقنطني من رحمتك» .

١٨٥) فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، ورفع يديه إلى السماء وقال : «اللهمَّ، ما فعلتَ في حاجتي إن كنتَ استجبتَ [دعائي] وغفرتَ خطيئتي فأوح إلى نبيِّك، فإن لم يُستجب دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردتَ عقوبتي، فعجِّل بنارٍ تُحرقني، أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلِّصني من فضيحة يوم القيامة» .

١٨٦) فأنزل الله على نبيِّه : ﴿وَ الَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أو ظَلَمُوا أنفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَ مَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ الله وَ لَم يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ هُم يَعلَمُون* أُولئكَ جَزَاؤُهُم مَغفِرَةٌ مِن رَّبِّهِم وَ جَنَّاتٌ تَجرى مِن تَحتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعمَ أجرُ العَامِلِينَ﴾[٢] [آل عمران/١٣٥ـ١٣٦] أتاك عبدي ـ يا محمَّد ـ تائباً فطردتَه، فأين يذهب وإلى مَن يقصد ومن يسأل أن يغفر له ذنبَه» ؟

١٨٧) ولمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسَّم فقال لأصحابه : «من يدلُّنا على ذلك الشابِّ التائب» ؟

١٨٨) قال معاذ : «يا رسول الله، بلغَنا أنَّه في موضع كذا وكذا» .

---

١) المِسح : كساء من الشَعر .

٢) في المصدر إضافات بين مقاطع الآيتين كالتفسير يشبه أنّه من إضافات الرواة .

١٨٩) فمضى رسولُ الله ﷺ بأصحابه حتَّى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعدوا إليه يطلبونه، فإذا هم بالشابِّ قائم بين الصخرتين، مغلولةً يداه إلى عُنقه، قد أسودَّ وجهُه وتساقطت أشفارُه من البكاء ويقول:

١٩٠) «سيِّدي، قد أحسنتَ خَلقي، وأحسنتَ صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي، في النار تُحرقني أو في جوارك تسكنني ؟ اللهمَّ إنَّك قد أكثرتَ الإحسان إليَّ، فانعمتَ عليَّ، فليت شِعري فماذا يكون آخرأمري، إلى الجنَّة تزفُّني أم إلى النارتسوقني؟ أللهمّ إنَّ خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيِّك الواسع وعرشِك العظيم، فليت شِعري تغفرخطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة» ؟

١٩١) فلم يزل يقول نحو هذا وهو يحثُّ الترابَ على رأسه وقد أحاطت به السباع وصفَّت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه.

١٩٢) فدنى رسولُ الله ﷺ فأطلق يديه من عُنقه ونَفضَ الترابَ عن رأسه وقال: «أبشر فإنَّك عتيق الله من النار» ثمَّ قال لأصحابه:

«هكذا تداركوا الذنوب كماتداركها بهلول» ثمَّ تلا عليه ما أنزل الله ﷻ فيه وبشَّره بالجنَّة.

[توبة النبى داود عليه السلام]

١٩٣) و أمَّا توبة الأنبياء عليهم السلام فيكفيك منها مابلغك من توبة داود النبي ـ صلوات الله وسلامه على نبيّنا وآله وعليه ـ وقد روي[1] أنَّه لما علم بعد نزول الملكين أنَّهما نزلا لتنبيهه، سجد أربعين يوماً ولم يرفع رأسه من السجدة إلاَّ لحاجة وصلاة، ولم يأكل في هذه الأيام ولم يشرب وكان يداوم في البكاء، ونبَتَ

---

١) بحارالأنوار: ٢٩/١٤، نقلا عن عرائس البيان للثعلبي.

حولَ رأسه من دموع عينيه النبت، وكان يدعو الله بألسنةٍ محرقة للقلوب ويتوب، وكان ممَّا يقول :

١٩٤) «سبحان خالق النور، جُرح الجبين وفنيت الدموعُ وتناثر الدودُ من ركبتي، وخطيئتي ألزم بي من جلدي» .

١٩٥) فنودي : «يا داود، أجائعٌ أنت فأطعمك، أم عطشان فأسقيك، أم مظلوم فأنصرك» ؟ ولم يذكر شيئاً من معصيته، فصرخ وقال : «معصيتي التي ارتكبتها» .

١٩٦) فنودي : «ارفع رأسَكَ، فقد غفرت لك» . ومع ذلك لم يرفع رأسه حتى جاء جبرئيل ورفع رأسه .

١٩٧) وفي بعض الروايات[١] أنَّه كان ينوح على معصيته بعد قبول توبته أيضاً، وكان حرق نوحه إلى حدّ يُهلك المستمعين من استماعه، وهو يصعق ويسقط على الأرض[٢] .

[مايلزم التائب من الأحوال]

١٩٨) وبالجملة؛ يلزم أن يكون الندم والتضرُّع والابتهال والبكاء في التوبة كمّاً وكيفاً مناسبة لعظمة الذنب وكثرته، والأولى أن يدعو الله عند استغفاره بأسمائه وصفاته التي تناسب مقام التوبة، بل تناسب ذنبه الذى منه التوبة ـ إن كانت من الذنب المخصوص ـ وأن يكون من الحال والهيأة واللباس والحركات على ما هوأجلب للرحمة والعطوفة ـ من إظهار الملق والاستكانة والمخافة .

١٩٩) ويدخل من الأبواب التي يليق بحاله أن يدخل منها ولو لم يمكنه الدخول

---

١) راجع بحار الأنوار : ٢٧/١٤.

٢) راجع بحار الأنوار : ١٧/١٤ .

من تلك الأبواب، فلامحالة يدخل من باب عدم القنوط ـ وهو الباب الذي دخل منه إبليس ـ فيدخل ويقول: «يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس حيث استنظره، لاتحرمني من إجابتك».

٢٠٠) وليعلم أنَّ باب التوبة مفتوح ما لم يعاين الموت[1]، ولو كان ذنوبه أكثر من أن تحصى.

٢٠١) وليعلم أنَّ اليأس من رحمة الله من أسوء الذنوب ولانعلم ذنباً أكبر منه، فأتجاسر وأقول: «إنَّ اليأس من رحمة الله أسوءمن قتل الأنبياء من وجه»[2].

[منع الشيطان مريد التوبة منها وكيفيَّة رفعه]

٢٠٢) فمن أهمّ المهمَّات أن يعلم السالكُ أنَّ الشيطان جمَعَ همَّته لأن يمنع الإنسان من طريق الله في أيّ حال من حالاته، فإن لم يتمكَّن من طرقه المعمولة ـ من هوى النفس ـ يدخل من الأبواب المموَّهة الشرعيَّة والعقليَّة، وإن لميتمكَّن بالغلبة منهايقول: «قد مضى أمرك، وإنَّك لاتتمكَّن من التوبة الحقيقيَّة، للتوبة الحقيقيَّة شرائط، فأين أنت منها ؟! ولو لم تعمل بشرائطها فعدم التوبة خير من التوبة الكاذبة» و يقول الملعون: «إنَّك أكثرت من المعاصي إلى حدّ سقطت قابليَّتُك للتوبة وقبولها».

---

١) يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧/٤ـ١٨] وقد روي عن رسول الله ﷺ (من لايحضره الفقيه: ١٣٣/١، ح٣٥١): «منْ تابَ وقد بلغتْ نفْسه هذه ـ وأهوى بيده إلى حلْقه ـ تاب الله عليه».
راجع أيضا بحارالأنوار: ١٨/٦ـ١٩.

٢) سيذكر المؤلف ـ قده ـ (الرقم ٢١٦) الحديث المرويّ عن رسول الله ﷺ: «لوأنّ أحداً تاب بعد ما قتل سبعين نبيّاً يقبل توبته».

٢٠٣) ولوقبل السالكُ هذه التمويهات منه فمادام لم يتب صار مغلوباً للشيطان وظفر الملعون بماأراد؛ ولو ردَّ السالك مقالته وأجابه وقال: «أوّلاً عظمة رحمة الله لايمكن أن تتخيَّل، فرحمتُه رحمةٌ لم تؤيسك [ياملعون] واستجاب دعاءك؛ وثانياً: فلو لم أتمكّن من التوبة الحقيقيَّة فإني عامل بما أمكن منها، فلعلَّ الله الرحيم يوفِّقني بهذا المقدار من التوبة لدرجة أعلى منها، فأتوب توبةً أكمل منها، وهكذا حتى يوصلني إلى توبة كاملة، فقد جرت عادة الله بذلك؛ ولوقبلتُ قولَك هذا فهلاكي مقطوع به ولاطريق إلى النجاة، ونفس هذا القنوط واليأس من الكبائر الموبقة، ولعلَّها تكون سبباً في تعجيل العذاب وشدَّتها وخسران الدنيا والآخرة».

[قبول التوبة حتى ممن قتل سبعين نبيّاً]

٢٠٤) فلاتيأس ولاتترك التوبة ولوأنَّك ـ العياذ بالله ـ قتلتَ سبعين نبيّاً، ففي اليأس وترك التوبة الهلاك قطعاً، وإنَّها سبب شدَّة العذاب، ولكن في التوبة احتمال النجاة الكلِّي والخلاص القطعي، ولا أقلّ الخلاص من عقاب اليأس وترك التوبة.

٢٠٥) على أنَّ الجواب الشافي لوسوسة الخبيث الملعون أن يقول: «تقول لي أني لاأتمكَّن من التوبة الصحيحة؛ بلى لولم تكن عناية الله لي فإني لاأتمكَّن من التوبة الناقصة أيضاً ـ فضلاً من التوبة الصحيحة ـ ولكنَّه لوشملتني عنايتُه جَلَّ جَلالُه سأتمكَّن من الوصول إلى درجة ومقام عال لايمكن تخيُّلها لعلوِّه».

٢٠٦) ولو قال: «فمن أين علمتَ وصول هذه العناية إليك» **قل**: «فمن أين أنَّها لاتصل إليَّ».

٢٠٧) وإن **قال لك**: «العنايةُ أيضاً لمن له أهليَّةٌ واستعداد» **قل**: «فمن أين أتى

الكبراء بالأهليَّة والاستعداد ؟ أما كان ذلك من هبته تعالى وعطائه ؟ فإني أيضاً آخذ منه» .

٢٠٨) **وإن قال** : «فأين أنت من القابليَّة لهذا الكرم ؟ وبأيّ عمل من أعمالك تتمني هذه ؟ أما ترى أنَّ القابليَّة لايعطونها لكلِّ أحد» ؟ ! **فأجبه** : «إني أطلبُها بالتكدِّي، فالمتكدِّي طالبٌ بالمجَّان» .

٢٠٩) **ولو قال** : «لايعطون المحسنون أيضاً كلَّ شيء» . قل : «فلعلَّ ليس لهم جدٌّ في السؤال» .

٢١٠) **وإن قال** : «أنت عاصٍ، وحكم سلطنة الله الجليل ردُّك» . قل : «ليس يجب في حكم السلطنة والقهاريَّة الغضب على كلِّ عاص وردُّه» .

٢١١) **فإن قال** : «فأين يظهرقهَّاريَّةُ الله تعالى»؟ **قل** «في أمثالك الذين يعاندون الله الجليل ويمنعون عباده ـ خلافاً لدعوته تعالى ـ من بابه ويقنِّطونهم من رحمته» .

٢١٢) **وإن قال** : «استحقاقك للعقاب مقطوعٌ به والوعد بالعذاب على المعاصي متيقَّنٌ، ولكنَّ الإجابة والعطاء لتكدِّيك هذا من المحتمل» . فقل : «إنَّك في غفلة وغلط من الوعد في إجابته وقبوله تعالى، فلوأنَّ السلطان أخلفَ وعيده لايستقبح ولكن لايحتمل خلفَ الوعد أحدٌ على الله تعالى» .

٢١٣) **وإن قال** : «أبهذا الوجه الأسود من المعصية والحال السيِّءتريد بابَه» ؟! **قل** : «إن كان وجهي أسود، فأُريد بابَه بالأنوارالمشرقة من وجوه أوليائه» .

٢١٤) **وإن قال** : «ليس فيك قابليَّة التوسُّل بهم أيضاً» . قل : «أتوسَّل إليهم أيضاً بواسطة أحبَّائهم» .

٢١٥) **فالحذار والحذار** ! من أن يغرّك الخبيث ويؤيسك من رحمة الله الواسعة **وقل في جوابه** : «لو ردُّوني من هذا الباب ألف مرَّة لا آيس منها أبداً، على

أنَّ هذا الباب بابٌ لم يُسمع إلى الآن أن يردَّ منه متكدِّياً قصَدها بالضراعة والسؤال، كما أنَّ فرعون كذا تكدَّى ليلة ولم ييأس[١]، وأنت ـ الشيطان الخبيث ـ أُجبت إلى مسألتك .

٢١٦) والمخلص : «لو رددتني من هذا الباب سأدخل عليك من باب آخر» .

[رحمة الله تعالى لانفاد لها]

٢١٧) وقد روي عن النبيِّ[٢] ﷺ : «لو أنَّ أحداً تاب بعد ما قتل سبعين نبيّاً يقبل توبتُه» .

٢١٨) فقد قبلوا توبةَ الوحشيِّ قاتل حمزة سيِّد الشهداء[٣] مع عظم ما أورده على قلبه المبارك ـ وهوقلب الله الواعية ـ أما سمعتَ ماقاله لكليمه عليه السلام[٤] : «سأغفرُ كلَّ أحد إلاَّ قاتل الحسين عليه السلام» .

---

١) روى الصدوق ـ قده ـ في علل الشرايع (٥٨/١) بإسناده عن عبد الله بن عمر قال : «غار النيل على عهد فرعون ، فأتاه أهل مملكته فقالوا : «أيّها الملك، أجر لنا النيل» . قال : «إني لم أرض عنكم» ثمّ ذهبوا فأتوه فقالوا : «أيّها الملك، تموت البهايم وهلكت ولئن لم تجر لنا النيل لنتخذنّ إلهاً غيرك». قال : «اخرجوا إلى الصعيد» فخرجوا، فتنحّى عنهم حيث لايرونه ولايسمعون كلامه، فالصق خدّه بالأرض وأشار بالسبّابة وقال : «اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيّده وإني أعلم أنّك تعلم أنّه لايقدر على إجرائه أحد غيرك، فأجره»؛ قال : فجرى النيل جرياً لم يجر مثله، فأتاهم فقال لهم : «إني قد أجريت لكم النيل» فخرّوا له سجّداً...» .
عنه بحار الأنوار : ١٣٢/١٣، ح٣٧ .

٢) جاء في جامع الأخبار(ص٢٢٦ـ٢٢٧، ح٥٧٧) : «عن جابربن عبد الله الأنصاري، قال : جاءت امرأة إلى النبيّ ﷺ فقالت : «يا نبيّ الله، امرأة قتلت ولدَها، هل لها من توبة» ؟ فقال ﷺ لها : «والذي نفس محمّد بيده، لو أنها قتلت سبعين نبيّاً ثمّ تابت وندمت، ويعرف الله من قلبها أنها لاترجع إلى المعصية أبداً، يقبل الله توبتها وعفا عنها، فإنّ باب التوبة مفتوح ما بين المشرق والمغرب، وإنّ التائب كمن لاذنب له» .

٣) راجع ما جاء في البخاري (١٢٨/٥ـ١٢٩، باب قتل حمزة رضي الله عنه) .

٤) في عيون أخبارالرضا عليه السلام (٤٧/٢، باب ٣١، ح١٧٩) : «قال رسول الله ﷺ : إنَّ موسى بن ☜

٢١٩) وخلاصة الكلام أن لو لم تكن توبة صحيحة ولاناقصة، فبقدر ذرَّة من الخير ـ كلمة خير، أو تسبيح، أو حمد، أو تهليل واحدة ـ ففعل ذلك مفيدٌ ألبتَّة وتركه ضرر، وكلُّ خاطر ساق الإنسان إلى ترك هذا الخير الجزئيِّ فذلك من الشيطان قطعاً، والشيطان لايريد خيراً للإنسان أبداً .

٢٢٠) وقد تكون أحياناً كلمةُ خيرسبباً لنجاة الإنسان، لأنَّ في هذا الخيرالجزئيِّ نورٌ قطعاً، وهذا النور يكون سبباً لخير آخر، وذلك الآخرأيضاً يوفِّق الإنسان لخير بعده، وهلمَّ جرّاً... ويصل الإنسان إلى عالم النور، وذلك قانون لايُنكر أبداً، وأغلب المؤمنين أيضاً نالوا عوالي مقامات التوبة بالتدريج ولذلك فإنَّ للتوبة أيضاً مراتب مثل سائر مقامات الدين .

[كيفيَّة عمل التوبة المرويَّة عن رسول الله ﷺ]

٢٢١) فالعبد الطالب وسالك الطريق إلى الله تلزمه التوبة في الخطوة الأُولى، والأحسن في ذلك العمل بما أورده السيِّد الجليل في الإقبال ضمن أعمال شهر ذي القعدة[1] .

٢٢٢) وتفصيله أنَّه خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد ـ ثاني شهرذي القعدة ـ فقال «يا أيها الناس من كان منكم يريد التوبة» ؟ قلنا : «كلُّنا نريدُ التوبة يارسول الله» .

٢٢٣) فقال عليه السلام : «اغتسلوا وتوضؤوا وصلُّوا أربع ركعات، واقرؤوا في كلِّ

☜ عمران عليه السلام سأل ربّه فقال : «يا ربّ إنّ هارون أخي مات فاغفر له» . فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : «ياموسى لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام، فإني أنتقم من قاتله» .

١) إقبال الأعمال : ٣٠٨، أعمال شهر ذي القعدة، الفصل الخامس، وجئنا بالنصّ من المصدر .

ركعة فاتحةَ الكتاب مرَّة و﴿قل هو الله أحد ...﴾ ثلاث مرَّات والمعوَّذتين مرَّة، ثمَّ استغفروا سبعين مرَّة، ثمَّ اختموا بـ«لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم»[١]، ثمَّ قولوا: «يا عزيز يا غفَّار، اغفر لي ذنوبي وذنوبَ جميع المؤمنين والمؤمنات، فإنَّه لايغفر الذنوب إلاَّ أنت».

٢٢٤) ثمَّ قال عليه السلام: «مامن أُمَّتي فعَل هذا إلاَّ نودي من السماء: «يا عبد الله استأنف العمل فإنَّك مقبول التوبة مغفور الذنب». وينادي ملك من تحت العرش: «أيُّها العبد، بورك عليك وعلى أهلك وذرِّيَّتك». وينادي مناد آخر: «أيُّها العبد ترضى خصماؤك يوم القيامة». وينادي ملك آخر: «أيُّها العبد، تموت على الإيمان ولايسلب منك الدين ويفسح في قبرك وينوَّر فيه». وينادي مناد آخر: «أيُّها العبد، يرضى أبواك وإن كانا ساخطين، وغُفر لأبويك ذلك ولذرِّيَّتك وأنت في سعة من الرزق في الدنيا والآخرة». وينادي جبرئيل عليه السلام: «أنا الذى آتيك مع ملك الموت أن يرفق بك و لايخدشك أثر الموت، إنما تخرج الروح من جسدك سلاًّ».

٢٢٥) قلنا: «يارسول الله، لو أنَّ عبدا يقول في غير الشهر»؟ فقال عليه السلام: «مثل ماوصفتُ، وإنَّما علَّمني جبرئيل عليه السلام هذه الكلمات أيَّام أُسري بي».

[ماينبغي لمريد التوبة من المقدَّمات]

٢٢٦) والأحسن لمريد التوبة أن يأخذ كتاباً لنفسه قبل ثلاثة أيَّام من عمل التوبة وينظر في هذه الأيَّام في أحواله الماضية من حال صِغره إلى يومه هذا، ويكتب فيه كلَّ ما ابتلي به من حقوق الناس وصار في ذمَّته ـ فإنَّ الضمان في الأموال موجود للصغير أيضاً ـ وبعد ذلك ينظر فيما بعد تكليفه ويثبت

---

١) في بعض نسخ المصدر: يقول ذلك أيضا سبع مرّات.

فيه كلَّ ما ضيَّع من حدود الله، من عباداته وسائر فرائضه من الأفعال والتروك .

٢٢٧) والأحسن للمداقَّة أن يضع جدولاً لكلِّ عضو من أعضائه، ويتفكَّر في كلِّ حقّ واجبة على ذلك العضو، فيضع جداول لكلٍّ منها تحت ذلك الجدول الأوَّل، ويتعمَّق في الفكر حول كلٍّ منها فيما مضى، فما تذكَّر من التقصير الواقع لكل من الجداول يثبت فيه .

٢٢٨) مثلاً يضع جدولاً لعينه، ويضع تحته جداول للمعاصي التي تجيء من ناحية هذا العضو؛ مثل النظر إلى الأجنبيَّة، والنظر إلى الشابِّ الجميل، والنظر إلى عورة مؤمن، والنظر إلى داخل بيوت المؤمنين، والنظر إلى مكتوب شخص لا يرضى به، والنظرة لإخافة مؤمن، والنظر الغاضبة إلى الوالدين أوإلى الأرحام أوإلى العلماء أوإلى أيِّ مؤمن- بلارجحان شرعيّ - والنظر بطريق الاستهزاء أوالتعيير أوالإهانة أوالتكبُّر، ونظرٌ يراد فيه إراءة عيب المؤمن أو كشف ما سترَه من ظالم يريد أخذَ ماله أو القبض عليه، فقد يكون النظر أحياناً علَّةً تامَّة لقتل نفسٍ أو نفوس أو غصب أموال، فيثبت الضمان على الناظر؛ ويكون قبال عينه قول الله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر/١٩] .

٢٢٩) وهكذا حقوق عدم النظروغمض العين ومثل ذلك حقوق سائرالأعضاء سيَّما اللسان الذي لاحصر لحقوقه .

٢٣٠) فيتدارك ما كان من الحقوق الماليَّة بالردِّ والاستحلال، والحقوقِ العمليَّة بالقضاء، والاستغفاريَّةِ بالاستغفار، وماكان تداركه خارجاً من قدرته فيعمل لصواحب الحقوق من أعمال الخير مايناسب حقَّه، وما يجب عليه الكفارة والقصاص فيعمل بها، وما كان من الشبهات التي لايمكن الخروج من عهدتها يعالجه بمعونة حاكم الشرع .

٢٣١) وبعدذلك يعمل بالعمل الشريف المرويِّ في الإقبال ويقرء دعاءَ الصحيفة السجاديَّة[١]؛ وما يتذكَّر من المعاصي الكبيرة يسمِّيها ويضمّ إليها ذكر النعم الخاصَّة التي أنعمها ـ جلَّت آلاؤه ـ ويذكرقدرته بأخذه لوقوع هذه الوقاحات الصادرة من العاصي في حضرة الجلال في حالٍ كان متوغّلا في بحر إنعاماته من آلاف الوجوه، فيثير التراب والرماد على رأسه ويتمرَّغ في التراب، بل يشدُّ يمينه على رقبته ويلصق يساره على صدره ويُشبه بذلك نفسَه بأهل العذاب ـ فإنَّهم يُشدُّ يمينُهم على رقائبهم ويُدخل يسارهم من صدورهم ويخرج من قفائهم ويعطَى كتبَهم بأيديهم كذلك[٢]، ولعلَّ ذلك معنى قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق/ ١٠] ـ

٢٣٢) فيتذكَّر أحياناً خوف العذاب وشدَّة نار جهنَّم، وأحياناً حيَّاتها وعقاربها، وأحياناً سلاسلها وأغلالها ؛ وقد ورد في حديث تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ فى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة/٣٢] أنَّ طول كلّ ذراع من تلك الذراعات قدر فراسخ من فراسخ الدنيا ـ ويُدخلونها من رأسه ويخرجونها من دُبره[٣].

---

١) الدعاء الثاني عشر من أدعية الصحيفة السجَّاديَّة عليه السلام، أوله : «اللَّهُمَّ إِنَّهُ يَحْجُبُنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلالٌ ثَلاثٌ، وَ تَحْدُونِي عَلَيْهَا خلَّةٌ وَاحِدَة ...» .

٢) جاء في تفسير قوله تعالى ﴿وأمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ في تفسير القرطبي : «قال قتادة ومقاتل : يفكّ ألواح صدره وعظامه ثمّ تدخل يده وتخرج من ظهره ، فيأخذ كتابه كذلك» . وفي مجمع البيان في تفسير الآية : «لأنّ يمينه مغلولة إلى عنقه، وتكون يده اليسرى خلف ظهره، عن الكلبي . وقيل : تخلع يده اليسرى خلف ظهره ، عن مقاتل» .

٣) راجع تفسير التبيان ومجمع البيان وتفسير الطبري في تفسير الآية .

روى الطبري (جامع البيان : تفسير الآية) عن نوف البكالي : «الذراع سبعون باعاً ، الباع أبعد مابينك وبين مكة» . وعن ابن عباس : «قوله : ﴿في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِراعاً فاسْلكُوه﴾ قال : «بذراع الملك» فاسلكوه قال : «تسلك في دبره حتى تخرج من منخريه، حتى لايقوم على رجليه» .

٢٣٣) ويتذكّر أحياناً شدَّة ملائكة الغلاظ والشداد وعظمتها وهيآتها، وطعام جهنَّم وشرابها من الزقُّوم والضريع والغِسْلِين[1]، ويتفكَّر في قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج/٢٠] ويتصوَّر ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [المعارج/١٦] وأعلى من كلِّ ذلك يتفهَّم الكلام الذي يقال في الجحيم بعد ألف من السنين[2]: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاتُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون/١٠٨] فيقول بقلب محروق:

[مناجاة المؤلّف]

٢٣٤) يا أرحم الرّاحمين ـ آه ـ ارحمني إذا خرج من الزَّبانيَّةِ من ينادي: «أيْنَ جَوَادُ بْنُ الشَّفيع، المُسوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المُضَيِّع عُمره في سوءِ العمَل»؟ فَيُبادرونَ بمَقامع من حديد ويستقبلونني بعظائم التهديد ويَسوقونَني إلى العذابِ الشَّديد ويَنكسونني في قعْرالجحيم ويقولون: ﴿ذُقْ إنَّكَ أنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان/٤٩] فاسكنوني داراً يَخلُدُ فيها الأسير ويُوقِدُ فيها السَّعير، شَرابي فيها الحَميمُ ومُستقرِّي الجحيم! الزبانيةُ تقمعني والحاويةُ تجمعني، أُمنيَّتي فيها الهَلاكُ ومالي منها فِكاكٌ؛ قد شُدَّتِ الأقدامُ بِالنواصي

١) ﴿أذلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم * إنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الصافات/٦٢ـ٦٦].
﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم * طَعَامُ الأثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ * كَغَلْى الْحَمِيمِ﴾ [الدخان/٤٣ـ٤٦]
﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ﴾ [٨٨/٦ـ٧].
﴿وَ لاطَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأكُلُهُ إلاَّ الخَاطِئُونَ﴾ [الحاقّة/٣٦ـ٣٧].

٢) المستدرك على الصحيحين (٢/٤٤٨) عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: مكث عنهم ألف سنة ثم ﴿قَالَ إنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾. وفيه (٤/٥٩٨) عن عبد الله بن عمر: «يخلّى عنهم أربعين عاما لايجيبهم، ثمّ أجابهم: ﴿إنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾؛ فيقولون ﴿رَبَّنَا أخْرِجْنَا مِنْهَا فَإنْ عُدْنَا فَإنَّا ظَالِمُونَ﴾ قال فيخلّى عنهم مثل الدنيا ثمّ أجابهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاتُكَلِّمُونِ﴾.

واسودَّتِ الوجُوهُ من ظُلمة المعاصي، نادي من أطرافِها ونصيح من حواليها وأكنافِها :

٢٣٥) «يا مالك قد حَقَّ علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديدُ، يا مالك قد نَضِجَتْ منَّا الجلودُ، يا مالك أخْرجنا مِنْها فإنَّا لا نَعودُ» .

٢٣٦) فنجاب : «هيهات ! لاتَ حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان، فَاخْسؤوا فيهَا وَلا تُكلِّمون، ولو أُخرجتُم منها لَكُنتُم إلى ما نُهيتُم عَنه تعودونَ» .

٢٣٧) فَعِند ذلكَ يحصلُ القنوطُ البَتّ ويجيء الأسفُ العظيمُ والنَّدمُ الأليمُ؛ فنكبُّ على وجوهنا في النار، النارمن فوقنا والنارمن تحتنا والنارمن أيماننا والنارعن شمائلنا، فنكون غَرقى في النار؛ طعامنا النار، شرابنا النار، فراشنا النار، لباسنا النار، مهادنا النار؛ فنبقى في مقطَّعات النِّيران وسَرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السّلاسل، نتجلجل في مضايقها ونتحطَّم ونحتطم في دركاتها، تغلي بنا النار كغلي القدور ونهتف بالويل والثُّبور ولنا مقامع من حديد، تهشم بها جباهنا ويتفجَّر الصديد من أفواهنا ويتقطَّع من العطش أكبادنا وتسيل على الخدود أحداقنا وتسقط من الوَجَنات لحومها ويتمعَّط من الأطراف شُعورها وجلودها، وكُلَّما نَضِجتْ جُلودُنا بَدَّلونا جُلوداً غيرها؛ قد عُريتِ العظامُ مِنَ اللُّحوم وما بقي من الدّسوم رسومٌ؛ فبقيت الأرواح منوطة بالعُروق ومعَ ذلك نتمنَّى الموتَ ونَقُولُ : ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول : ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف/٧٧] .

[عود إلى كيفيَّة التوبة]

٢٣٨) والمخلص أنَّه يجمع كلَّ مافي قدرته من مراتب العجزوالمسكنة والانكسار ـ قولاً وهيأةً ولباساً ـ فإنَّ لكل من ذلك تأثيراً في قلب الإنسان، وذلك

التأثُّر القلبيُّ سبب تموُّج بحارالرحمة الإلهيَّة ـ جلَّت آلاؤه . ولو أردت تأييد ذلك فانظر إلى أعمال الكبراء من الأولياء في مقام المناجاة والاستغفار وأنَّهم بأيِّ صورة يصوِّرون أنفسهم، مثل أنَّهم يعلِّقون السلاسل على أعناقهم ويجلسون على التراب ويدخلون القبور ويتبصبصون ويأخذون بلحاياهم .

[توبة قوم يونس]

٢٣٩) وهكذا فانظر في حال توبة قوم يونس- على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ وماعلَّمهم روبيل الحكيم الذي كان من متعلّمي حضرة النبوَّة، فجعل القوم هيآتهم على ما علَّمهم و ردُّوا عن أنفسهم بذلك البلاء النازل(١) مع أنَّه لم يشاهد إلى ذلك الزمان رجوع البلاء بعد نزوله، ولكنَّ روبيل علَّمهم أن يبعِّدوا الأطفال من أمّهاتهم وصغار الحيوانات من أمّهاتها، وساقوا الأُمّهات إلى فوق الجبال ووضعوا الأطفال في المنحدَر، والرجال لبسوا المسوح وألقوا أنفسهم على التراب ونثروا التراب على رؤوسهم؛ فأُمّهات الحيوانات تصرخون لسبب الانفصال عن أولادها وأنَّهم لايجدن مايأكلن، وأولادها الجوعى يصحن طلباً لأُمّهاتها وأنَّهم يردن اللبن وكذلك أطفال الناس يبكون ويطلبون الأُمّهات والناس من خوف العذاب وشدَّة الهول ـ وماكانوا يرون من طلائع أرياح السوداء والصفراء واصفرارالشمس- ينوحون بنوائح محرقة للقلوب : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/٢٣] وعند ذلك يصل نداء «يا أرحم الراحمين» إلى الفلك

---

١) راجع قصة قوم يونس في التفاسير، تفسير الآية : [يونس/٩٨] :
﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمَانُهَا إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ﴾.

وهيَّؤوا صورةً أرجعوا بها أثردعاء نبيِّهم عليهم والعذاب النازل بذلك عنهم، إذتحرَّك طيَّارات بحررحمة أرحم الراحمين وصدرالأمرإلى إسرافيل أن «أدرك قوم يونس فإني قد غفرتُ لهم، فاردد العذاب عنهم واصرفه إلى الجبال» .

٢٤٠) فيا أخي - عادة الله في عباده على وتيرة واحدة، فلي ولك الفرصة، والبلاء لم ينزل بعد على مايظهر، ونحن في سعة من أن نأخذ حظَّنا من بحر رحمة أرحم الراحمين، ونطفئ تلك النيران الملهبة .

[أحوال بعض التائبين]

٢٤١) فأيَّام كنَّا مشرَّفاً في النجف مشغولاً بالتحصيل، العالم الجليل والحكيم الكبير بلابديل حضرة الآخوند المولى حسينقلي الهمداني - قدَّس الله روحه - لقَّن أحداً من طلاَّب الآخرة عملَ التوبة، فغاب الطالب يومين أو ثلاثة لأجل العمل المأمور به، ولمَّا جاء بعد ذلك المدَّة رأينا الذي كان قبل تلك الأيَّام سميناً ونشيطاً مصفَّى اللون، صار الآن نحيفاً صفر اللون سيِّء الحال، ولم يكن ذلك متوقَّعاً أن يصير الإنسان كذلك لرياضة يوم أو يومين، ولكن علمنا بعدُ أنَّه قام بما أمرَ به جدّاً .

٢٤٢) وسمعنا آخراً من التائبين أنَّه كان مشغولاً بالبكاء في مجلس توبته ستَّ ساعات .

[علامات البكاء الحقيقيَّة]

٢٤٣) والمخلص أنَّك لو تريد جدّاً من الأمر فلا يُنال بلاجدّ ولا يمكن الوصول إلى المقصد بالهوى والهوسات ؛ وصدقاً أقول أنَّ بكاءنا أيضاً ليست بكاء حقيقة، لأنَّ البكاء ما أخرجه حرقة القلب، وإلاّ فليس كلُّ ماء خرج من العين بكاء .

٢٤٤) ولكن الفضيحة ـ كلَّ الفضيحة ـ خلوُّنا من هذه البكاء الكاذبة أيضاً، فإنَّ الإنسان لو داوم على هذا البكاء الكاذب سيؤثِّر فيه وينجرُّ بالأخرة إلى البكاء الحقيقيِّ.

٢٤٥) وفذلكة البحث أنَّ العبد لو عمل بهذه التوبة، فالمرجوُّ صيرورتها علَّة تامَّة لوصوله إلى المقصد، لأنَّ صريح الآية الوافي بالهداية: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [٢/٢٢٢].

٢٤٦) ومضى ما حكينا من قولهم: «إنَّ محبَّة الله لعبده عبارة عن كشف الحجُب» وهذا هو المقصود الأصلي؛ فيا لها من درجة ما أعظمها وأعلاها، ومن مقام ما أسناه وأبقاه، ومن حالٍ ما ألذَّها وأبهجها!

[ما يلزم السالك بعد التوبة]

٢٤٧) ويلزم السالك إلى الله بعد التوبة المشارطة والمراقبة والمحاسبة:

٢٤٨) ففي صباح كلِّ يوم يشارط نفسه كشريك وسهيم في أعزّ وأنفس رأس مال لتمام اليوم إلى وقت النوم.

٢٤٩) وقبل النوم يلزمه محاسبة كاملة، محاسبة كلِّ ما صرف في هذه المدَّة من وقته وقواه الظاهرة والباطنة والنعم الإلهيَّة، أو ما أهمل منها؛ يعمل في كلِّ ذلك على قرار ما كتبه علماء الأخلاق، و التفصيل فيها مذكور في كتبهم ـ وقد أحسنوا في ذلك وفصَّلوا ـ ولكن نشير هنا إلى الأهمّ منها:

[نوم السالك]

٢٥٠) فعند النوم يحاسب الإنسانُ نفسَه، ويعالج خيانات نفسه على نفسه جدّاً، ويعمل بما أمكن من التوبة والتدارك على الفور، ومايلزمه التأخير يعزم جدّاً

على العمل به، ويتيقّن أنَّ نومَه هذا أخوالموت بصريح الآية الشريفة: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر/٤٢].

٢٥١) فيلزمه أن يستعدَّ للموت في الجملة، من تجديد العهد للإيمان والكون على الطهارة والنوم إلى القبلة والتوجُّه القلبيِّ إلى القبلة الحقيقيَّة[1] والعمل باسم الله للأعمال الواردة قبل النوم بقدر القدرة، ويسلّم روحه ونفسه إلى الله جَلَّ جَلالُهُ ولايترك من الأعمال قبل النوم مهمَّاتها:

٢٥٢) فأوّلاً يقول عند الدخول في الفراش ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2] من قلبه ولسانه ويقرأ الآية المباركة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾[3] والآية المباركة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ...﴾[4] بتدبُّروتسبيح الزهراء عليها السلام

١) روى السيّد بن الطاووس (فلاح السائل: ٤٨٥، ح٣٣١) بإسناده عن الإمام الهادي عليه السلام: «لنا أهل البيت عند نومنا عشر خصال: الطهارة وتوسّد اليمين وتسبيح الله ثلاثاً وثلاثين مرّة وتحميده ثلاثاً وثلاثين وتكبيره أربعاً وثلاثين ونستقبل القبلة بوجهنا ونقرء فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله أنّه لا إله إلاّ هو إلى آخرها؛ فمن فعل ذلك فقد أخذ بحظّه من ليلته».

٢) قال الكفعمي في المصباح (هامش ٤٧): «روي أنّه من قال عند نومه: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين» كتب الله له ألف حسنة ومحى عنه ألف سيّئة ورفع له ألف درجة».

٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَ لايُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/١١٠]. (ثواب الأعمال: ١٣٤) عَنْ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقْرَأُ ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ إلى آخِرِ السُّورَةِ إلاَّ كَانَ لَهُ نُورٌ مِنْ مَضْجَعِهِ إلى بَيْتِ اللهِ الحَرَام فَإنَّ كَانَ من أهل بيْتِ اللهِ الحَرَام كَانَ لَهُ نُورٌ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ».

٤) أورده السيّد ابن طاووس ـ قده ـ في فلاح السائل (٤٨٣): ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاتُحَمِّلْنَا مَا لاطَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/٢٨٥ـ٢٨٦].

وآية الكرسي[١] وثلاث أو إحدى عشر مرَّة سورة ﴿قُلْ هُو اللهُ أحَدٌ ...﴾[٢] وثلاث مرَّات ﴿يَفْعَلُ اللهُ مَايَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ بِعِزَّتِهِ﴾[٣] ويقرأ الآية المباركة : ﴿شَهِدَ اللهُ...﴾[٤] ولوقرء الاستغفارات المرويَّة أومطلق الاستغفار[٥] فذلك أيضاً حسَن .

[انكشاف بعض المعارف للسالك في نومه]

٢٥٣) ويلتفت أنَّه يمكن أن يشمل عنايات الله الجواد له في هذا النوم، كما أنَّه شمل الأنبياءَ والأولياءَ والمؤمنين ووهبهم عنايات عظيمة، حتى أني أعرف من الناس من نيل في نومه وسط النهار بمعرفة النفس، ورأى كأنَّ العالم مرفوعٌ وحقيقة نفسه قد طلع، وكأنَّه متَّحدٌ مع حقيقة ملك الموت، فانتبه من عظمة هذه الرؤيا ورأى كأنَّ حقيقة نفسه تجذب بدنه، فأوحش من ذلك ونبَّه

---

١) الكافي (٥٣٦/٢، كتاب الدعاء، باب الدعاء عند النوم والانتباه، ح٦) عن الصادق : «تسبيح فاطمة الزهراء اذا أخذت مضجعك فكبِّر الله أربعاً وثلاثين وأحمده ثلاثاً وثلاثين وسبِّحه ثلاثاً وثلاثين، وتقرء آية الكرسي والمعوِّذتين وعشر آيات من أوّل الصافات وعشراً من آخرها» .

٢) فلاح السائل (٤٧٨، ح٣٢٥) عن الصادق : «من قرء ﴿قُلْ هُوَ اللهُ﴾ إحدى عشرة مرة حين يأوي إلى فراشه غفر له ذنبه وشفِّع في جيرانه، فإن قرأها مائة مرّة غفر ذنبه فيما يستقبل خمسين سنة» راجع أيضاً ص٤٨٣، ح٣٢٩ منه .

٣) روى الكفعمي (هامش المصباح : ٤٧) والبلدالأمين (ص٣٤) :«إنّ النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام : «مافعلت البارحة يا أبا الحسن» ؟ فقال : «صلّيتُ ألف ركعة قبل أن أنام» . فقال النبي : «وكيف ذاك» ؟ فقال علي : «سمعتك يا رسول الله تقول : «من قال عند نومه ثلاثاً : «يفعل الله ما يشاء بقدرته ويحكم مايريد بعزّته» فقد صلّى ألف ركعة» . فقال : صدقت ياعلي» .

٤) أوردالطبرسي قده (مجمع البيان : ٤٢١/٢، الآية ١٨/٣) عن النبي ﷺ :«من قرء شهد الله ـ الآية ـ عند منامه خلق الله منها سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة» . ﴿شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لا إلَهَ إلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إلَهَ إلاهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/١٨] .

٥) في ثواب الأعمال (ص١٩٧) عن الصادق : «من استغفر الله مائة مرّة حين ينام بات وقد تحاتّ الذنوب كلّها عنه كما يتحاتّ الورق من الشجر، ويصبح وليس عليه ذنب» .

حليلته من النوم بلا اختيار وناداه : «لِمَ أني أصير كذلك» حتى كُشف عنه هذه الحالة[١].

٢٥٤) وكم من المعارف انكشف في الرؤيا للسالكين، وكم من المقامات ورؤية الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام وكبراء الدين شُرِّف بها ؛ فقد وردت رواية في تفسير ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فى الآخِرَةِ﴾ [يونس/٦٤] بأنَّ البشرى في الدنيا عبارة عن المبشِّرات[٢] التي يراها العبد لنفسه أو تُرى في شأنه .

[المبشّرات التى رآها المؤلف قدس سره]

٢٥٥) وهذا العبد ـ الذليل ـ أكثررجائه ببعض المنامات التي زارفيها الحضرات المعصومين عليهم السلام وشملته ألطافهم الكبيرة، وكثيراً كنت أنام بلذَّة تلك المنامات رجاءَ تكرارها ونيلها ؛ وقد قال لي البعض في ذلك : «لاترى إلاَّ ولعل في الأحلام» ولو أنَّه أحسَنَ فيما قال، ولكنِّي راج لذلك أيضاً .

٢٥٦) أنام بذكرك المطرب ، أراك في الحُلُم
وإذ قمتُ من منامي فأنت أوّل خاطري[٣]

---

١) قال ـ قدّس سرّه ـ في كتابه «أسرارالصلاة» أيضا : «وأُشهد بالله أني أعرف من زار بعض الأئمّة في الرؤيا، وسأله عن بعض المعارف الجليلة والأسرار الخفيّة، وأُجيب بما قرّت به عينه . ومن انكشف له في الرؤيا عن حقيقة نفسه، ورأى كأنّه قد تلاشت العوالم وطلع مكانها روحه ونفسه، ورأى كأنّ نفسه متّحدة بحقيقة ملك الموت، وانتبه من نومته، وهو على هذه الحال، ورأى بعد الانتباه أنّ روحه كأنّها تجذب بدنه إليها، وهاله ذلك، ونادى ضجيعه : يا فلانة، يا فلانة حتّى ذهب عنه هذه الحال وسكن؛ وهذه الحال هو عبارة عن معرفة النفس التي هي طريقة إلى معرفة الربّ كما في الأخبار المستفيضة» .

ولايخفى أنَّ المؤلّف يريد في أمثال هذه الموارد نفسه، وإنما لم يصرّح بذلك خوفاً عن الرياء .

٢)المبشِّرات جمع المبشِّرة، وهي الرؤيا الصادقة التي يراها الإنسان .

٣) بايادِ خُوشَت خُسبَم درخَوابِ خُوشَت بينَم * از خَواب چُو بَرخِيزَم اوّل تو بِه ياد آئى

٢٥٧) والمخلص أنَّه بعد قراءة هذه الآية لو عرض عليه فكرٌ فينام متفكّراً، فذلك الكرامة، وإلاَّ فيشتغل بذكر من الأذكار حتى ينام، ولو ألقى الذِّكر في نفَسه، حتى أنَّه يقول بين النوم و اليقظة ـ و اللسان ساكن والنفَس يقول ـ : «يا الله» أو «الله» فقط، فذلك حسَنٌ جدّاً، فإنَّه لو نام في هذه الحال فكثيرا مَّا يكون نائماً والنفْس مشتغل بالذكر بالوضوح، حتى يسمعه من عنده من اليقظى.

[السالك بعد انتباهه من النوم]

٢٥٨) فيسلِّم نفسه بشراشر وجوده إلى حضرته ﷻ وبعد الانتباه من النوم يتذكَّر أوَّلا أنَّ إعادة الروح هذه إلى بدنه كالإحياء بعد الموت، وهذه نعمة جديدة، فإنَّ آلاف الأشخاص مثله ناموا معه ولم ينتبهوا إلاَّ في القبر، في حالة صارت نعمة الاقتدارعلى العمل مسلوبة عنهم وكانت مقالتهم: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون/٩٩ـ١٠٠] وسمعوا الجواب: ﴿كَلاَّ إِنهَّا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾؛ فيسجد لذلك سجدة شكر ويخاطب نفسه ويقول: فأنت لم تُجب بـ«كلاّ»، بل أرجَعوك، فتتمكَّن في هذه اليقظة عن علاج تمام ما سبق منك وتدارك مافات، حتّى تجعل نفسك من المقرَّبين.

٢٥٩) وتتَّجر في يوم ما تربح به سلطنة الدنيا والآخرة، ويكون ربح تجارتك قرب الله الجليل والجميل تعالى ﷻ ولو أنّك أُعطيت الآن رأس مالٍ كهذا، إلاّ أنهَّا يسلب منك عن قريب، فاجمع همَّك في هذه المهلة في طلب رضاه ﷻ، ولو كان لك همَّة الرجال فاغمض العين عمَّا سواه وارفض الدنيا والآخرة و﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام/٩١] فوجِّه جميع فكرك وذكرك إليه، ولاتطلب منه تعالى غير فضله، وقل: «إنـَّا لانطلبُ منكَ سواكَ».

[توجيه الهمّة إلى الله تعالى ومنعها عن التوجّه إلى الدنيا]

٢٦٠) الحذار من استيلاء فكر الدنيا وهمٍّ المعاش على قلبك، وإبعادك من المطلوب الحقيقي، فإنَّ هذه أخسر الخسارة ومضادٌّ لحقِّ العبوديَّة، فإنَّ عبيد سادات الدنيا أيضاً لو أهمَّهم فكرُ طعامهم ففضولٌ منهم ويسيء ذلك سيِّدَهم، على أنَّ كون همَّة الشخص فكر البطن والفرج والمال وجاه هذه الدنيا الكاذبة، من خُلق الأراذل والسفَلة وذوي الهمم السافلة.

٢٦١) أليس خسارة أن يصرف الإنسان رأس مالٍ يمكن له بها نيل عالم يكون فيه من مقرِّبي حضرت ملك الملوك جَلَّ جَلالُه، فيصرفه في تحصيل هذه الدنيا الدنيَّة الفانية اللاشيء، ولاسيَّما أنَّ النصَّ والتجربة يحكمان بأنَّ الوصول إلى متاع الدنيا أيضاً ليس بالسعي والعمل، بل يصل إليه ماهو المقدَّر له ولو فرَّ منه[١]، ولو كان طريق الوصول إلى الأغراض الدنيويَّة أيضاً سعي صاحبه فلابدَّ أن يجيء هذا أيضاً من طريق الله تعالى، يعني من طريق التوكُّل، فإنَّ أحسن طرق العافية التوكُّل، لا الجدُّ والجهد؛ فلايبقى للإنسان بعد الجدِّ والجهد في أُمور الدنيا إلاَّ الخزي والخسران.

٢٦٢) وقد ورد في الروايات: «إنَّ من أصبح وأكبر همِّه الدنيا سيبتلى»[٢].

٢٦٣) والمخلص أنَّك لو لم ترفض الدنيا في الوصول إلى الحبيب، فلا أقلَّ من

---

١) في الكافي (٥٧/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين، ح٢) عن الصادق عليه السلام: «من صحّة يقين المرء المسلم أن لايُرضي الناس بسخط الله ولايلومهم على مالم يؤته الله، فإنّ الرزق لايسوقه حرص حريص ولايردّه كراهيّة كاره ولو أنَّ أحدكم فَرَّ من رزقه كما يفرُّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت».

٢) الكافي (٣١٩/٢، الإيمان والكفر، باب حبّ الدنيا، ح١٥) عن الصادق عليه السلام: «من أصبح و أمسى والدُّنيا أكبرهمّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتَّت أمره ولم ينل الدنيا إلا ما قسِّم له».

أن تكون في تحصيل الدنيا سالكاً طريقه، ولا تنتخب لنفسك ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ﴾ [الحج/١١] وقل:

٢٦٤) «إذ لايتيسّرالأمر بالجدِّ والجهد * فالأحسن توكيل مصالحك إلى الله تعالى»[1]

[التوكل على الله تعالى]

٢٦٥) وقد ورد في الأحاديث الصحيحة[2] «أنَّ مَن توكَّل على الله فلايكله الله إلى الأسباب».

٢٦٦) وفي الحديث القدسي ـ الذي رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي[3] عن الصادق عليه السلام ـ أنَّهُ قَرَأَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: «إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقولُ: وعزَّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأُقطِّعنَّ أملَ كلِّ مؤمِّلٍ غيري باليأسِ ولأكسُونَّه ثوبَ المذلَّةِ عندَ النّاس ولأُنحِّيَنَّهُ عن قربي أو لأُبعِّدنَّه من وصلي، أيؤمِّلُ غيري في الشدائدِ والشدائدُ بيدي؟ ويرجُو غيري ويقرعُ بالفكرِ باب غيري وبيدي مفاتيحُ الأبوابِ وهي مُغلَّقةٌ وبابي مفتوحٌ لمن دَعاني؟ فمن ذا الذي أمَّلني لنوائبهِ فقطعتهُ دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظمةٍ فقطعتُ رجاءهُ منِّي؟ جعلتُ آمالَ عبادي عندي محفوظةً فلمْ يرضوا بحفظِي وملأتُ سماواتي مِمَّن لا يملُّ منْ تسبِيحي وأمرتُهم أن لايُغلقُوا الأبوابَ بيني وبينَ عبادي، فلمْ يثقُوا بقولي، ألم يعلمْ أنَّ من طرقتْهُ نائبةٌ من نوائبي أنَّهُ لا يملكُ كشفَها أحدٌ غيري إلاَّ من بعدِ إذني، فما لي أراهُ لاهياً عنِّي، أعطيتهُ

---

١) الشعر من الشاعر الفارسى المعروف الحافظ الشيرازى:

بهْ جِدّ وجَهد چُو كارى نمى رَوَد از پيش * به كِردِگار رَها كَردِه بهْ مصالح خِويش

٢) أمالي الطوسي (٣٠٠/ المجلس ١١، ح٤٠): «الحمد لله الذي من توكّل عليه كفاه والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره».

٣) الكافي: ٦٦/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله تعالى والتوكّل عليه، ح٧.

بجُودي ما لَمْ يسألني ثمَّ انتزعتُهُ عنهُ فلم يسألني ردَّه وسألَ غيري؛ أفيراني أبدءُ بالعطاء قبلَ المسألة ثمَّ أُسألُ فلا أُجيبُ سائلي ؟! أبخيلٌ أنا فيُبَخِّلني عبدي أو ليسَ الجودُ والكرمُ لي، أوليسَ العفوُ والرحمةُ بيدي ؟ أوليسَ أنامحلَّ الآمالِ ؟ فمنْ يقْطعُها دوني ؟ أفلا يخشَى المُؤمِّلونَ أنْ يُؤمِّلوا غيري، فلو أنَّ أهلَ سَماواتي وأهلَ أرضي أمَّلوا جميعاً ثمَّ أعطيتُ كلَّ واحدٍ مِنهمْ مثلَ ما أمَّلَ الجميعُ ما انتقصَ من ملكي مثلَ عضوِ ذرَّةٍ وكيفَ ينقُصُ ملكٌ أنا قيِّمُهُ ؟! فيا بؤساً للقانطينَ من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولمْ يراقبْني !» .

٢٦٧) وأيضاً روى عنه عليه السلام[1] : «أوحى اللهُ عزّ وجلّ إلى داودَ : ما اعتصمَ بي عبدٌ من عبادي دونَ أحدٍ من خَلْقي، عرفتُ ذلكَ مِن نيَّتِه، ثمَّ تكيدُهُ السماواتُ والأرض ومن فيهنَّ إلاّ جعلتُ لهُ المخرجَ من بينهنَّ؛ وما اعتصمَ عبدٌ منْ عبادي بأحدٍ من خلقي، عرفتُ ذلكَ من نيَّتِهِ، إلاّ قطعتُ أسبابَ السَّماواتِ والأرضِ من يديهِ وأسْخَتُّ الأرْضَ منْ تحتِهِ ولم أُبال بأيِّ وادٍ هلكَ» .

٢٦٨) وقال[2] : «إنَّ الغنى والعزَّ يجولان، فإذا ظفرا بموطن التوكُّل أوطنا» .

٢٦٩) ولو لم يكن في هذا المجال إلاّ قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر/٣٦] لكفى أهل الإيمان أن يقولوا : «بلى، الله كافٍ» ويريحوا، ويكون همُّهم مقصور حضرته جلّ جلاله، ويشغلهم الحزن الدائم المستولي على قلوبهم من هذه الجهة، فإنَّ العبد مادام في الدنيا، فأيّ درجة من مقامات المعرفة والقرب حصلت له، يمكن تصوُّر ما هو فوقها، بلى قول : «لوكُشف الغطاء [ما ازددتُ يقيناً]» خاصٌّ لأمير مملكة الولاية[3] .

---

١) الكافي : ٦٣/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله تعالى والتوكّل عليه، ح١ .
٢) الكافي : ٦٥/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله تعالى والتوكّل عليه، ح٣ .
٣) مناقب ابن شهرآشوب : ٣٨/٢، باب في المسابقة بالعلم . بحارالأنوار : ١٥٣/٤٠و ١٣٥/٤٦ . ☜

٢٧٠) ولابدَّ أن يكون هذا الحزن دائماً للسالك، ويكون حزنه في قلبه وبُشره في وجهه[١]، حزنه في الباطن وبُشره في الظاهر .

٢٧١) وفي الرواية أنَّ هذا الحزن حبل الاتِّصال بين العبد وربِّه، ومادام العبد موجود فلاينقطع وسيلة اتِّصاله من حضرة المولى، ويكون في جميع أوقاته في الباطن متوسِّلاً بحضرة وجه الله وخليفة الله ونور الله الأنور وضياؤه الأزهر وحجَّته العظمى، خاتم الأوصياء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ومنتظراً ظهورَنوره المبارك وسلطنته العامَّة ـ أرواح العالمين له الفداء ـ ويداوم في تعقيبات صلواته بدعاء: «اللهم عرِّفني نفسك»[٢] وقراءة سورة الإخلاص ثلاث مرَّات نيابة عنه ولايترك دعاء العهد[٣] صباح كلِّ يوم .

٢٧٢) فإن ليس في وجهه قابليَّة التوجُّه إلى حضرة القدُّوس تعالى ـ لأنَّه خَلِقٌ

☜ شرح المقاصد : ٢١٢/٥، المبحث الأول من الفصل الثالث من المقصد السادس .

١) الكافي ٢٢٦/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح١، عن الصادق عليه السلام قال: «قام رجل يقال له: همّام ـ وكان عابداً، ناسكاً، مجتهداً ـ إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يخطب، فقال: يا أميرالمؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأنّنا ننظر إليه ؟ فقال: يا همّام المؤمن هو الكيِّس الفطن، بشره في وجهه وحزنه في قلبه...» .

٢) الكافي : ٣٣٧/١، باب في الغيبة، ح٥ و٣٤٢/١، نفس الباب، ح٢٩ .

٣) دعاء العهد : «اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا، حَيِّهِمْ وَمَيِّتِهِمْ وَعَنْ وَالِدَيَّ وَوُلْدِي وَعَنِّي، مِنَ الصَّلَوَاتِ وَ التَّحِيَّاتِ زِنَةَ عَرْشِ اللهِ وَ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ وَ مُنْتَهَى رِضَاهُ وَ عَدَدَ مَا أَحْصَاهُ كِتَابُهُ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ؛ اللَّهُمَّ إِنِي أُجَدِّدُ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي رَقَبَتِي اللَّهُمَّ فَكَمَا شَرَّفْتَنِي بِهَذَا التَّشْرِيفِ وَفَضَّلْتَنِي بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَخَصَصْتَنِي بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَصَلِّ عَلَى مَوْلايَ وَ سَيِّدِي صَاحِبِ الزَّمَانِ و اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ و أَشْيَاعِهِ و الذَّابِّينَ عَنْهُ و اجْعَلْنِي مِنَ الْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فِي الصَّفِّ الَّذِي نَعَتَّ أَهْلَهُ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتَ: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ عَلَى طَاعَتِكَ وَ طَاعَةِ رَسُولِكَ وَ آلِهِ عليهم السلام، اللَّهُمَّ هَذِهِ بَيْعَةٌ لَهُ فِي عُنُقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» . بحارالأنوار : ١١٠/١٠٢ نقلا عن مصباح الزائر .

من ظلمة المعصية والغفلة ـ يقول: «اللهمَّ إنَّ ذُنوبي قد أخلقَت وجهي، فأتوجَّه إليك بوجه خليفتك المُشرق عندك»[١].

[أهميّة حفظ اللسان]

٢٧٣) ويكون ذا جدّ في جميع الخيرات، سيَّما الاهتمام في تأديب لسانه، فليس أيّ واحد من الأعضاء لازم الرعاية وصعب التأديب والعلاج بدرجته[٢].

٢٧٤) وأمرُ اللسان صعبٌ ورعايته خطيرٌ وآفاته إلى حدٍّ رجَّح الأنبياءُ والأولياءُ والحكماءُ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ السكوت على الكلام وقالوا: «إن كان كلامُك من فضَّة فسكوتُك من ذهب»[٣] وذلك مع اليقين على أنَّ الكلام أشرف من الصمت والسكوت[٤]؛ ويكفيك في الاهتمام على السكوت ماسمعته في الحديث القدسي الماضي.

---

١) بحارالأنوار (٢٣١/١٢) عن الصادق عليه السلام يدعى للفرج: «اللَّهُمَّ إنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ أخْلَقَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ فَإِنِي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وعَلِيٍّ وفَاطِمَةَ والحسَنِ والحسَيْن والأئِمَّةِ عليهم السلام».

٢) الكافي (١١٤/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان، ح٧): قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «امسك لسانك فإنّها صدقة تتصدّق بها على نفسك» ثمّ قال: «ولايعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه» وسائل الشيعة (١٨٨/١٢، ح١٦٠٤٤) عن مجالس الطوسي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر، إنّه ما من شيء أحقّ بطول السجن من اللسان».

٣) الكافي (١١٤/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان، ح٦) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: «يا بنيّ إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة فإنّ السكوت من ذهب».
وسائل الشيعة (١٨٧/١٢، ح١٦٠٣٩) عن قرب الإسناد، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال داود لسليمان عليهما السلام: «يا بني عليك بطول الصمت، فإنّ الندامة على طول الصمت مرّة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرّات؛ يا بني لو أنّ الكلام كان من فضّة كان ينبغي الصمت أن يكون من ذهب».

٤) وسائل الشيعة (١٨٩/١٢، ح١٦٠٤٥) عن الاحتجاج للطبرسي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه ☜

٢٧٥) والملخَّص أنَّ متعلَّق الكلام لايختصُّ بموجود خاصٍّ، بل من الواجب تعالى إلى أخسِّ الممكنات يمكن أن يكون هدفاً للتكذيب والإساءة أو التصديق والثناء، وقد يعلو المتكلِّم بكلمتين من أسفل الدركات إلى أعلى علِّيين، كما أنَّه قد يسفل بذلك من أعلى علِّيين إلى أسفل الدركات، ويصير بكلمة واحدة كافراً ونجساً ومخلَّداً في العذاب . وفي درجات الفسق تتَّفق بكلمة واحدة عدَّةٌ من الكبائر ـ من الافتراء والغيبة وتعيير المؤمن وقتل الأُلوف من نفوس الأولياء والرياء والكبر وأمثال ذلك ـ وعمله سهل المؤنة على الإنسان ولكن آفاته لطيف دقيق، ومعرفتها محل اعتناء الكبراء .

٢٧٦) ولذلك ورد في الرواية أنَّ سيِّد الأنبياء ﷺ اجتمع مع الأنبياء الثلاثة وقال كلٌّ منهم كلمة في أنَّ من عمل بها قد عمل على ما في كتابي ، فقال ﷺ[1] : «من أصلح لسانه فقد عمل بما في القرآن» وهذه الجملة عند علماء الأخلاق من كلماته ﷺ الإعجازيَّة[2] .

☜ سئل عن الكلام والسكوت أيّهما أفضل ؟ فقال عليه السلام : «لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت» قيل : «وكيف ذاك يابن رسول الله» ؟ فقال : «لأنّ الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، إنّما بعثهم بالكلام، ولا استحقّت الجنّة بالسكوت، ولااستوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وقيت النار بالسكوت، ولا تجنّب سخط الله بالسكوت؛ إنّما ذلك كلّه بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنّك لتصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت» .

١) لم أعثرعليه ولكن ورد في جامع الأخبار (٥٠٨/الفصل ١٤١، في النوادر) كلمات عن الأنبياء عليهم السلام من دون إشارة إلى اجتماع، جاء فيها : «قال موسى عليه السلام من قطع قرين السوء فكأنّماعمل بالتوراة وقال داوود عليه السلام : من منع نفسه عن الشهوات فكأنّه عمل بالزبور، وقال عيسى عليه السلام : من رضي بقسمة الله فكأنّما عمل بالإنجيل، وقال النبيّ ﷺ : من حفظ لسانه فكأنّما عمل بالقرآن» .

٢) ذكر بعض الفضلاء ـ وفّقه الله لمرضاته ـ أنّه سأل العلامة الطباطبائي ـ قدّس سرّه ـ عن معنى كلام الشيخ الملكي«أنّه من الكلمات الاعجازيّة» ؟ فأجاب :«وجهه أنّه اقتصرعلى كلام الله☜

٢٧٧) ويكفي في معرفة لزوم التزام الصمت أن يضمَّ إلى هذا المجمل ما مضى في حديث المعراج[١].

[أدب الأكل والنوم]

٢٧٨) وأمَّا مسألة أدب الأكل والنوم، فمن اللازم رعاية ذلك أيضاً بجدّه:

٢٧٩) ففي الأكل من جهة الكيفيَّة يكون تمام جدِّه في تطهير مأكوله من الحرام والشبهات[٢]، ثمَّ بعد ذلك يمنع نفسه من أكل التنقُّلات وأكل المأكولات اللذيذة منعاً مَّا، والأصل في هذا أن لايأكل شيئاً للذَّته، بل يأكل لما فيه من القوَّة، كما أنَّ هذا أيضاً ملاكٌ في قلَّة الأكل؛ والتوسُّط في هذا الأمر أن لايعتاد نفسه بأكل التنقُّلات ويجتنب من الإفراط في أكل اللحوم، فإنَّ الإفراط فيها تورث القساوة[٣] وتفريطها تورث شدَّة القوَّة الغضبيَّة[٤] والطريق

☜ وحقائق القرآن ولم يضف من نفسه شيئاً، وذلك في الواقع هو الصمت، كتاب رسول الله ﷺ القرآن والقرآن كلام الله تعالى، فمن اعتمد على القرآن ولم يضف إليه شيئاً من نفسه فهو في الحقيقة صامت قبال الحقّ، والصامت من لايقول شيئاً ويقدّم كلام الله تعالى، والحقّ ما يقوله الله تعالى وكلام الله تعالى هو القرآن». فقال السائل: «هذا المعنى لايفهم من هذا الحديث».

فأجاب العلامة ـ قدّس سرّه ـ: «ولامعنى له غير هذا أيضا».

١) مضى في الرقم ٩٩.

٢) قال ابن فهد الحلي (عدّة الداعي: ١٢٨): الدعاء مع أكل الحرام لايستجاب وفي الحديث القدسي: «فمنك الدعاء وعليّ الإجابة فلا تحتجب عني دعوة إلاّ دعوة آكل الحرام». وعن النبي ﷺ: «من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطيّب مطعمه وكسبه». وقال عليه السلام لمن قال له: «أحبّ أن يستجاب دعائي». قال له: «طهّر مأكلك، ولاتدخل بطنك الحرام».

٣) مستدرك الوسائل (٣٤٧/١٦، ح٢٠١١٧) عن رسول الله ﷺ: «من أكل اللحم أربعين صباحاً قسا قلبه».

٤) الكافي (٣٠٩/٦، كتاب الأطعمة، باب أن من لم يأكل اللحم أربعين...، ح١) عن الصادق عليه السلام: «اللحم ينبت اللحم ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خُلقه ومن ساء خُلقه فأذّنوا في أُذنه».

الوسط أن لايترك أكل اللحم أكثر من ثلاثة أيّام[1] ولايأكله في اليوم والليلة مرّتين وبل يترك ذلك أحياناً في يومه وليلته .

٢٨٠) وأمّا كمًّا : فالوسط فيه أن لاتصير قلّة أكله سبباً للضعف والجوع وتفرُّق الخاطر، ولاتكون كثرة أكله إلى حدّ يُشعر بثقل الطعام؛ وحدّد ذلك علماء الأخلاق بأن يأكل بعد اشتهاء كامل ويكفّ عن الأكل قبل الشبع[2]، ولوراعى المبتدي في أوّل الأمر طرف الجوع قدرا مّا كان أحسن، لاسيمّا لوكان صائماً .

٢٨١) وأمّا النوم : ففي رياضة ذلك كان المرحوم الآخند الأُستاد ـ جعل الله مكانه في العلّيين ـ يقول : «يقلّل من مقدار نومه في اليوم والليلة مقدار ساعة مّما هومعمول في علم الطبّ، وكان يقول المقدار الطبّي للنوم سبع ساعات، فيجعل النوم في اليوم والليلة ستّ ساعات، ولكن يعيّن أوقات نومه بصورة يكون يقظاناً في آخر ليله، فإنّه كان يقول ـ قدّس سرُّه ـ : «الذين وصلوا إلى مقامات الدين كانوا كلُّهم من القائمين في الليل، ولم يُسمع من غيرهم من يكون واصلاً» .

---

١) المحاسن (٢/٤٧٠، كتاب المآكل، ح٤٥٥ـ٤٥٦) بإسناده عن عمّارالساباطي : سألت أباعبدالله عليه السلام من شراء اللحم ، فقال : في ثلاث . قلت : لنا أضياف وقوم ينزلون بنا وليس يقع منهم موقع اللحم شيء. فقال : «في كلّ ثلاث» قلت : «لانجد شيئاً أحضر منه، لوائتدموا بغيره لم يعدوه شيئاً» . فقال : «في كلّ ثلاث» . وعن إدريس بن عبد الله، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر اللحم، فقال : «كُلْ يوماً بلحم ويوماً بلبن ويوماً بشيء آخر» .

٢) الخصال (١/٢٢٩، باب الأربعة، ح٦٧) عن أميرالمؤمنين عليه السلام : «لاتجلس على الطعام إلاّ وأنت جائع ولا تقم عن الطعام إلاّ وأنت تشتهيه وجوّد المضغ وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء؛ فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب» .

[التهجُّد وقيام الليل][1]

٢٨٢) ولو أردت معرفة فضل التهجُّد وقيام الليل والبكاء والفزع خوفاً من الله وشوقاً إلى لقائه جَلَّ جلاله وفضل صلاة الليل يكفيك لذلك الروايات والأحاديث الواردة في هذا الباب؛[2] وأنا أذكر شطراً منها تذكرةً لمن أراد أن يتذكَّر :

٢٨٣) منها ما روي عن الباقر عليه السلام[3] أنَّهُ كانَ مِمَّا أوْحَى اللهُ تعالى إلى موسى بن عمران : «كَذِبَ مَن زعمَ أنَّه يحِبُّني وإذا جنَّه الليلُ نامَ عنِّي؛ يابنَ عمران، لو رأيتَ الذينَ [يقومُونَ] لي في الدجا وقد مُثِّلَتْ نفْسي بينَ أعيُنهم يُخاطِبوني وقد جللتُ عن المشاهدَةِ ويكلِّموني وقد عززتُ عن الحضورِ؛ يابنَ عمران، هبْ لي مِن عينكَ الدموعَ ومنْ قلبكَ الخشوعَ ومن بدنكَ الخضوعَ ثمَّ ادْعني في ظُلَم الليالي تجدني قريباً مجِيباً» .

٢٨٤) روي عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[4] : «إنَّ شرفَ المؤمنِ صلاتُهُ بالليلِ» .

٢٨٥) و روي[5] : «إذا جمعَ اللهُ الأوَّلينَ والآخرينَ نادى منادٍ : «لِيَقُم الذينَ تتجافى جنُوبُهم عن المضاجِعِ يدْعونَ ربَّهمْ خوفاً وطمعاً» فيقومونَ وهم قليلٌ، ثمَّ يحاسبُ الناسُ من بعدهم» .

---

١) أورد المؤلف ـ قده ـ فصلاً مشبعاً حول صلاة الليل أيضا في كتابه أسرارالصلاة : ٣٨٦ـ٤٢٠ .

٢) إلى هنا كتب المؤلف ـ قدس سره ـ الكتاب بالفارسية إلا القليل من العبارات وكان التعريب منّا ومن هنا إلى الآخر كتبه بالعربية فنأتي بنصّ ما كتبه المؤلف بلاتغيير .

٣) رواه ابن فهد الحلي (عدة الداعي : ١٩٣) عن الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام . وقد روى الصدوق (أمالي الصدوق : ٤٣٨، المجلس ٥٧، ح١) مايقرب منه مع الاختلاف في بعض الألفاظ عن الصادق عليه السلام أيضا . عنه بحار الأنوار : ٣٢٩/١٣، ح٧ .

٤) الكافي : ٤٨٨/٣، باب النوادر ؛ ٩ . من لايحضره الفقيه : ٤٧٢/١، ح١٣٦٠. بحارالأنوار : ١٤١/٨٧، ح١٠ و١١.

٥) مستدرك الوسائل : ٣٣٩/٦، ح٦٩٥٢، مع بعض الاختلاف .

٢٨٦) وفي الصحيح عنه ﷺ[1] : «إنَّ في جنَّةِ عدنٍ شجرةً تخرجُ منها خيلٌ أبلق مسرَّجةٌ بالياقوتِ والزبرجدِ ذوات أجنحةٍ، لاتروثُ ولا تبُولُ، يركبها أولياءُ الله فتطيرُ بِهم في الجنَّةِ حيثُ شاؤوا ـ قال :ـ فيناديهم أهلُ الجنَّةِ : «يا إخواننا، ما أنصفتُمونا» ثمَّ يقولون : «ربَّنا بماذا نالَ عبادُكَ منكَ هذهِ الكرامة الجميلة دوننا»؟ فيُناديهم مَلَكٌ من بطنان العرش : «إنَّهم كانوا يقومونَ الليلَ وكنتُمْ تنامُونَ وكانوا يصومونَ وكنتُمْ تأكلونَ وكانوا يتصدَّقونَ بمالِهم لوجهِ الله تعالى وأنتمْ تبخلونَ وكانوا يذكرُونَ اللهَ كثيراً لا يفترونَ وكانوا يبكونَ مِنْ خَشيةِ ربِّهم وهم مشفقونَ» .

٢٨٧) وروي أنَّه كان ممَّاناجى الله به داود عليه السلام[2] :«ياداودُ، وعليكَ بالاستغفار في دَلَج الليلِ إلى الأسحارِ؛ يا داودُ، إذا جنَّ عليكَ الليلُ فانظرْ إلى ارتفاع النجوم في السماءِ وسبِّحني وأكثِرْمن ذكري حتى أذكركَ؛ يا داودُ، إنَّ المتَّقينَ لا ينامونَ ليلَهم إلاّ بصلاتهم لي ولا يقطعونَ نهارهم إلاّ بذكري؛ يا داودُ، إنَّ العارفينَ كحَّلوا أعينهمْ بمروَدِ السهرِ وقاموا ليلهم [يسهرونَ] يطلبُونَ بذلكَ مرضاتي؛ ياداودُ؛ إنَّه من يصلِّي بالليلِ والناسُ نيامٌ يريدُ بذلكَ وجهي، فإني آمرُملائكتي أنْ يستغفروا لهُ وتشتاق إليهِ جنَّتي ويدعوَ له كلُّ رطبٍ ويابِس».

٢٨٨) وعن ابنمسعود، قال رسول الله ﷺ[3] : «حسب الرجل منَ الخيبةِ أن

---

١) الحديث رواه صاحب إرشاد القلوب : ١٧٣/١، الباب الثالث والعشرون . وجاء ما يقرب منه عن أميرالمؤمنين عليه السلام في أمالي الصدوق : ٣٦٦، المجلس ٨٤، ح١٤ . بحارالأنوار : ١٣٩/٨٧، ح٧ .

٢) رواه صاحب إرشاد القلوب : ١٧٤/١، الباب الثالث والعشرون .

٣) إرشاد القلوب : ١٧٨، الباب الثالث والعشرون .

وجاء في المسند (٤٢٨/١) : «ذكر لرسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال : ذاك رجل بال الشيطان في أُذنه ـ أوأُذنيه» ومايقرب منه فيه : ٢٦٠/٢ و٤٢٧/٢ .

راجع أيضا كنز العمال : ٢٠٤/٨، ح٢٠٣٤٠٩ـ٢٣٤١١ .

يبيتَ ليله لا يصلّي فيها ركعتينِ ولايذكرُ اللهَ فيها حتّى يصبحَ» وقيل : «يا رسول الله ﷺ ، إنَّ فلاناً نامَ البارحةَ عن وِردهِ حتّى أصبحَ» قال : «ذلك رجلٌ بالَ الشيطانُ في أذُنِه فلمْ يستَيقظْ» .

٢٨٩) ورُويَ عنهُ ﷺ[١] : «ومَا نامَ الليلَ كلَّهُ أحدٌ إلاّ بالَ الشيطانُ في أُذنيهِ وجاءَ يومَ القيامةِ مُفلِساً، ومَا من أحدٍ إلاّ ولهُ ملَكٌ يوقظه من نومِه كلَّ ليلةٍ مرَّتينِ يقولُ : «يا عبد اللهِ، أقعُدْ لتذكرَ ربَّكَ» ففي الثالثةِ إن لم ينْتبِه يبُولُ الشيطانُ في أُذُنهِ» .

٢٩٠) ورِويَ[٢] أنَّ البيُوتَ التي يُصلَّى فيها بالليلِ ويُتلى فيها القرآن، تضيءُ لأهلِ السماءِ كما يُضيءُ الكواكبُ الدرِّي لأهلِ الأرضِ» .

٢٩١) وإنَّه قال في وصيَّتِه لأميرالمؤمنين ـ عليهما الصلاةُ والسلام ـ[٣] : «وعليكَ بصلاةِ الليلِ» وكرَّرَ ذلك ثلاثاً .

٢٩٢) وقال ﷺ[٤] : «ألاترونَ إلى المصلِّينَ بالليل وهم أحسنُ الناس وجوهاً، لأنَّهم خلوا بالليلِ للهِ سبحانه فكساهم مِن نورِه» .

---

١) إرشاد القلوب : ١/١٨١، الباب الثالث والعشرون . راجع أيضا ما أوردناه في التعليقة السابقة عن المسند . وفي المحاسن (٨٦، كتاب عقاب الأعمال، باب ١٠ ، ح٢٥) عن الصادق عليه السلام : مامن عبد إلا وهويستيقظ مرّة أومرّتين في الليل ـ أومرارا ـ فإن قام، وإلاّ فحجّ الشيطان فبال في أُذنه، ألا يرى أحدكم إذا كان منه ذلك قام ثقيلاً كسلان» .

٢) الأظهر أنّه تلفيق بين الروايتين في صلاة الليل وقراءة القرآن، فقد ورد الأوّل في من لايحضره الفقيه (١/٢٢٩ ح٧٢١) والثاني فيه : ١/٤٧٣ ، ١٣٦٧ والكافي : ٢/٦١٠ ، باب البيوت التي يقرء فيها القرآن، ح٢ـ٣ . وجاء في أعلام الدين (٢٦٢ ، باب في فضل قيام الليل) : «إنّ البيوت التي يصلّى فيها بالليل بتلاوة القرآن لتضيء لأهل السماءكماتضيء نجوم أهل السماء لأهل الأرض»

٣) من لايحضره الفقيه : ١/٤٨٤ ، ح١٣٩٩ و٤/١٨٨ ،ح٥٤٣٢ . التهذيب : ٩/١٧٦ ، ح٧١٥ . دعائم الإسلام : ٢/٣٤٨ ، ح١٢٩٦ . الكافي : ٨/٧٩ ، ح٣٣ بغير تكرار .

٤) إرشاد القلوب : ١/١٨٢ ، الباب ٣٣ . وجاء في أمالي الطوسي (٦٨٢ ، المجلس ٨٣ ، ح٥) عن ☜

٢٩٣) وسُئلَ الباقر ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن وقتِ صلاةِ الليل، فقالَ[١] : «هو الوقت الذي جاء عن جدِّي رسولِ الله ﷺ أنّه قال : «إنَّ لله تعالى منادياً ينادي في السحر هل من داع فأُجيبه؟ هل من مُستغفرٍ فأغفر له؟ هل من طالبٍ فأُعطيه»؟ ثمَّ قال : «هو الوقت الذي وَعدَ فيهِ يعقوبُ بنيهِ أن يستغفرَلهم وهوالذي مدح فيهِ المستغفرينَ [فقال : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران/١٢٧]] إنَّ صلاةَ الليلِ في آخرهِ أفضلُ منْ أوَّلهِ وهو وقتُ الإجابة والصلاةُ فيه هديَّةُ المؤمن إلى ربِّه، فأحسنوا هداياكمْ إلى ربِّكم يحسنُ اللهُ جوائزكم فإنَّهُ لا يُواظبُ عليها إلاّ مؤمنٌ صدِّيقٌ» .

٢٩٤) وروي[٢] أنَّه تعالى أوحى إلى بعض الصدِّيقين : «أنَّ لي عباداً من عبادي يحبُّوني فأُحِبُّهم ويشتاقون إليَّ فأشتاق إليهم ويذكرُونني وأذكرُهم وينظُرون إليَّ وأنظرُ إليهم وإنْ حذَوتَ طريقَهم أحبَبتُكَ وإنْ عدَلتَ عنهم مقتُّك» . قالَ : «يا ربِّ وما علامتهم»؟ قال : «يُراعون الظلال بالنهارِ كما يُراعي الراعي الشفيق غنمَه ويحنُّون إلى غروب الشمس كما يحِنُّ الطيرُ إلى وكره عند الغروبِ، فإذا جَنَّهمُ الليلُ واختَلطَ الظلامُ وفُرشت الفُروشُ ونُصبَتِ الأسِرَّةُ وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، نصبوا إليَّ أقدامَهم وافترَشوا إليَّ وجوهَهم

☜ الصادق عليه السلام بلفظ : «إنّه سئل : ما بال المتهجِّدين من أحسن الناس وجهاً ؟ فقال : لأنَّهم خلوا بالله سبحانه فكساهم من نوره» .

وجاء مثله عن السجّاد عليه السلام أيضا في علل الشرايع : ٣٦٥، الباب ٨٧، ح١ . وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/٢٨٢، الباب ٢٨، ح٢٩ .

١) رواه الديلمي في إرشاد القلوب : ١/١٨٢، الباب الثالث والعشرون . وأعلام الدين : ٢٦٢، فصل في فضل قيام الليل . بحارالأنوار : ٨٧/٢٢٢، ح٣٢ . ومع اختلاف في بعض الألفاظ في مستدرك الوسائل (٣/١٥٠، ح٣٢٣٩) عن دعائم الإسلام : ١/١٤٠ .

٢) الجواهر السنيّة : ٣٥٧_٣٥٨، عن كتاب مسكّن الفؤاد للشهيد الثاني ـ قده .

وناجوني بكلامي وتملّقوا إليَّ بإنعامي، فبين صارخ وباكٍ ومُتأوِّهٍ وشاكٍ وبينَ قاعدٍ وقائم وراكع وساجدٍ؛ بعيني مايتحمَّلون منْ أجْلي وبسمعي ما يشتكونَ من حبِّي؛ أوَّلُ ما أُعطيهم ثلاث : أقذِفُ مِن نوري في قلوبهِمْ فيُخبرونَ عنِّي كما أخْبرُ عنهم؛ والثانية : لوكانتِ السَّماواتُ والأرضُ ومافيها في موازينهم لأستقللتُها لهم؛ والثالثةُ : أقبِلُ بوجهي عليهم فتَرى مَن أقبَلتُ بوَجهي عليه يعلمُ أحدٌ ما أُريدُ أنْ أُعطيه» ؟

٢٩٥) وروي عن بعض العابدين[1] يقول : «رأيت في منامي كأني على شاطىء نهر يجري بالمسك الأذفر وعلى حافيته شجر من اللؤلؤ وقصب الذهَب وإذا بجوار مزيِّنات لابسات ثياب السندس، كانَّ وجوههنَّ الأقمار، وهُنَّ يقلن : «سبحان المسبَّح بكلِّ لسان سبحانه، سبحان الموجود في كلِّ مكان سبحانه، سبحان الدائم في كلِّ الأزمان سبحانه» فقلتُ : «مَنْ أنتنَّ»؟ فقلن :

ذرأنا إلهُ الناس رَبُّ مُحَمَّدٍ * لقوم على الأطرافِ بالليلِ قُوَّمٌ
يُناجونَ رَبَّ العالمينَ إلهَهُمْ * وتسري همول القوم والنّاسُ نُوَّم

فقلتُ : «بَخٍّ بَخٍّ لهؤلاء القوم، مَنْ هُمْ»؟

٢٩٦) فقلن : «هؤلاء المتهجِّدون بالليل بتلاوة القرآن، والذاكرون الله كثيراً في السرِّ والإعلان، المنفقين المستغفرين بالأسحار» .

٢٩٧) فانظر - يا أخي - إلى ماورد[2] في أنَّ لله تعالى مَلَكاً يقال له «الداعي» فإذا دخلَ شهرُ رجب يُنادي هذا المَلكُ كلَّ ليلةٍ منه إلى الصباح : «طُوبى

---

١) إرشاد القلوب : ١/١٧٩ .

٢) إقبال الأعمال : ٦٢٨، أعمال أوّل ليلة من رجب . بحارالأنوار : ٩٥/٣٧٧ . مستدرك الوسائل : ٨/٥٣٥، ح٨٨٣٣ .

لِلذَّاكرينَ، طُوبى لِلطائعينَ، يقولُ اللهُ تعالى : أنا جليسُ مَن جالَسني، مطيعُ مَن أطاعني وغافرُ مَن استَغفرني » .

٢٩٨) **فانظر** - أيُّها الإنسان المسكينُ - إلى حالك إذا كنتَ مطيعاً لربِّكَ، كيف تترقَّى إلى المقام الأسنى والدرجةِ العليا التي يعجز اللسانُ عن تعبيره، بل يتحيَّر العقلُ عن تصويره، إذ تصير به إماماً للملائكةِ وجليساً لربِّ العالمينَ، بل مُطاعاً لمِلكِ الملوك تعالى ﷻ، و إن كنتَ عاصياً لهُ ومُستخفّاً لأمرِهِ بالتهجُّد ومهوِّناً لدعوتِهِ إلى مناجاته تكونُ مَبالاً للشيطانِ ؛ فما أفضح حالُك والتذاذك بالنوم عن ربِّ العالمين، حيث أزالك عن درجة المقرَّبين وأبهى مقام الأكرمين وألحقك إلى أسفل السافلين وسفلى دركات الأرذلين.

٢٩٩) ألستَ أنت الذى تتنافس في صحبة أشراف الدنيا وتسعى -كلَّ سعيك- في تحصيل شرف صحبتهم، بل تبذلُ لذلك مالَك واستراحَتَك، بل تلقي نفسك في خطرالموت في تحصيل شرف مصاحبة سلطان زمانك ؟

٣٠٠) فأينَ أنتَ - أيُّها المسكينُ الطالبُ لتحصيل الشَّرَف والباذل مهجته في الوصول إلى التشرُّف بصحبة السلاطين - فما هذا التواني والتّسامح في إجابة دعوة هذا السلطان الحقيقي الذي لا يُقاس سلطنةُ جَميع السلاطين بعضو ذرَّة من سلطنته العظيمة، بل وكلُّ ما يوجد من السلطنة في المخلوقين إنَّما هو أثر من آثار سلطنتِهِ الْعُظمى وظِلٌّ من ظِلال جلال سلطانه الأعلى؛ ومع أنَّه وليُّ نعمك بالنّعَم التي لا تقدرُ على إحصائها أنت، بل ولا قدر على ذلك أحدٌ من المخلوقين .

٣٠١) فما أخسرك في معاملتك مع هذا السلطان العظيم بهذه المعاملة التي لايعاملها قطعاً مع سلطان وقتك [عبد] من عبيده - بل ولا مع وزرائه وخُدَّامه، بل ولامع أقرانك - إذا أرسلَ إليك رسولاً كريماً يدعوك بهذه

الألسنة اللطيفة [و] واعدك بهذه المواعد الجسيمة الخطيرة ؟ بل ولا مع عبيدك وخُدَّامك؛ بل ولا مع أعدائك؛ فإنَّ الإنسان يستحيي أن يردَّ دعوة أعدائه إلى مجلس الأُنس والتوادِّ، لاسيَّما إذا أرسل إليه رسولاً عزيزاً شريفاً كريماً يلاطف في دعوته بهذه التعبيرات والتكريمات ؟ !

٣٠٢) فسبحانه ما أكرمه؟ ! وأحلمه؟ ! وألطفه؟ !

٣٠٣) و لَعمري إنَّ حقَّ الانسان أن يبذل تمام الدنيا والآخرة ويفديهما بصنوف نعمها وشرفها ولذَّاتها وبهجتها كلَّها لقدوم هذا الداعي، بل ويبذل روحَه وتمام العالمين بحرف من حروف كلمات هذه الدعوة، ولايرى ممَّا فعَله خطراً، بل يكون عليه خجل القاصرين في أداء حقِّ شكره .

٣٠٤) كيف لا ! وهذه كلُّها محدودةٌ حقيرةٌ في جنب علوِّ هذا التشريف، ومع ذلك فهي أيضاً نعمةٌ من نِعمه ومِنَنه عليك، كما أنَّ بَذلَك وفداءَك أيضاً مِن نعَمه؛ فيا سبحان هذا الربّ الكريم الذي تحيَّرت العقول في كرامته ومعاملته مع عبيده، فإنَّه جلَّت الآؤه لم يقنع في منَّته بهذه التشريفات على هذا العبد المسكين، حتّى وعَد على قبوله بهذه التكريمات من المثوبات والخلع والعطايا ما يعجز عن وصفه ألسُن البلغاء، بل واستعجمت عن فهمه ومعرفته فُهوم العلماء، بل ولاخطَرَ على قلب بشر؛ وقال ـ عزَّ مِن قائل ـ : ﴿وَمِنْ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ [نَافِلَةً لَكَ عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا]﴾[1] [الإسراء/٧٩] . فما أجهَلنا بمعرفة كُنه المقام المحمود وتصويره .

٣٠٥) فتدبَّر يا أخي فيما أسلفتُ لك أنَّ الانسان إذا لاحَظ الأشياء بالعقل، فالعقل لا يرضى أن يسوِّي بين الحقير والخطير، بل ولايسوِّي بين فَردين من

---

١) كتب المؤلف بدلاً عما في المعقفتين : «اه» .

حقيقة واحدة لو وجد بينهما فرق يسير من جهة من الجهات؛ فكيف يمكن التسوية في حكمه بين شرف تكريم الله جَلَّ جَلالُه لعبده مع ساير الشرافات ولذَّة مناجاته وقربه والنظر إلى نوره ووجهه مع سائر اللذّات، إذ كلُّ ما يتعلّق به ـ من الشّرف والكرامة والعادة ـ لا منتهى لها ولا أمَد ولا عدد ولا حدَّ، وغيرها كلُّها مقصورة محدودة بحدودها ولانسبة بين المحدود وغيرالمحدود أبداً.

[عظم قبح الجفاء مع الله تعالى]

٣٠٦) وبالجملة؛ يجب على السالك أن يختبر حاله إن كان نفسه تتأثُّر من عوالم الإنسانيَّة ومخالفة الصفات الكريمة، يتلوعليهامن قُبح استقبال هذه التشريفات بفَضائح تلك المناقضات والمخالفات، ويتصوَّر في فضاحة الجفاء في قبال هذه المعاملات الكريمة من مثل هذا المنعم العظيم الشأن؛ فإنَّ الجفاء يتفاوت قبحه مع الأشخاص؛ فإنَّ الجفاء على المنعِم يشتدُّ عند العقلاء منه على غير المنعِم، وكلَّما زاد الإنعام يزيد فى الاشتداد، وهكذا يشتدُّ إذا كان المنعِم عظيماً، ويزيد اشتداده بزيادة العظمة .

٣٠٧) مثلاً إذا أهدى إلى الإنسان حاكم البَلَد بفاكهة، يقبح عندالعقل أن يقابله الإنسان بعدم الاعتناء، ويزيد القبح إذا أدام هذه الهديَّة في كلِّ يوم ويزيد إذا زاده في الهديَّة بغير الفاكهة أيضاً، إلى أن يهدى إليه دائماً جميعَ مايحتاج إليه في معيشته، بل جميعَ مامنه وجودُه وبقاؤه ولوازمه وفواضله وجميع هذه الهدايا بكلِّ ما يتعلَّق به ومن يتعلَّق به من جميع الوجوه حتى يصير بحيث لايقدر هو بإحصاء كليَّات نعَمه وهداياه ـ فضلاً عن إحصاء جزئيَّاته ـ بل يكون جميع ما في داخل بدنه وقُواه وخياله ونفسه وقلبه وروحه وعقله، بل وجميع ما في عالم الإمكان من الوجودات كلّها ـ من جهة ارتباط الموجودات بعضها ببعض ـ نعمة عليه، فلامحالة إذا بلغت النعَمُ هذا المبلغ يبلغ قبح الجفا وسوء

المعاملة في قبالها غاية يجوزحدَّ الحصر وإذا فرض هذه كلُّها مع سلطان المملكة يعظم القبح عند العقل بقدر عظمة درجة السُّلطان على الحاكم وكلَّمافرض زيادة في عظمة سلطان هذا المنعم لابدَّ من الحكم بزيادة القبح، إلى أن يبلغ الأمر في العظمة بما يعجز الألسن عن وصفها ويحار العقل والعقلاء في تصويركُنهها، فعند ذلك يكون القبح أيضاًغيرمحدود من جهتين.

٣٠٨) هذا كلُّه إذا لُوحظَ أيسر مراتب الجفاء، فكلَّما زيد في الجفاء يزيد في القبح إلى أن يبلغ الجفاء إلى حدّ لايجوِّزه العقل مع الأعداء، فإنَّ النفوس الكريمة لا يجوِّزون إظهار العداوة حضوراً و لو على الأعداء ، لاسيَّما إذا لم يكن العدوُّ مُظهراً للعداوة، بل كان مُظهراً للوداد، إلى أن يصير الإظهار إلى درجة إظهار الشوق، بل إظهار المحبَّة في أعلى مراتبها .

٣٠٩) فإن كنتَ في ريب من ذلك فَانظُرْإلى ماورد في قوله[1] : «لَوْعَلِمَ الْمُدبِرونَ عنِّي كيفَ اشتياقي لهم وانتظاري إلى توبتهم لماتُوا شوقاً إليَّ ولقُطِّعَتْ أوصالهُم» .

٣١٠) و إلى ما روي في فرحه تعالى إلى توبة العبد[2] و قوله في الحديث

---

١) في الرسالة القشيريّة (٤٦٢، باب الشوق) : «أوحى الله ﷻ إلى داود : لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم، لماتوا شوقا إليّ وانقطعت أوصالهم من محبّتي...» . ومثله في إحياء علوم الدين : ٤٧٢/٤، كتاب المحبّة والشوق، بيان معنى الشوق إلى الله تعالى . والمستطرف : ٢٩١/٢، الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار .

٢)أخرج مسلم (٢١٠٣/٤، كتاب التوبة، ح٣) عن رسول الله ﷺ : «لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دويَّة مهلكة معه راحلته عليهاطعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه؛ فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده» . وفي الباب أحاديث أُخر يقرب منه .

وفي الكافي (٤٣٥/٢ ،كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح٨) عن الباقر عليه السلام : «إن الله أشدّ☜

القدسي[1] : «يابْنَ آدمَ وحقِّكَ عَليَّ أني أُحِبُّكَ فبِحقِّي عليكَ أحِبَّني» .

٣١١) وقوله إلى نبيِّه وكلمته عيسى بن مريم عليهما السلام[2] : «ياعيسى، كَمْ أُطيلُ النظرَ وأُحسنُ الطلَبَ والقَومُ لايرجعونَ» ؟

٣١٢) فوا أسفاه وواسوأتاه وياغوثاه ! من عظمة هذه الكلمات وعظم مواقعها عند العقلاء، وسبحان الله، ما أفضحَنا وأجفانا وأقبحَنا، فوَعزَّته وجلاله وجماله لوكنَّا إنساناً ذا حياء[3] ـ بل لووُجد فينا مثقال ذرَّة من الحياء والعقل ـ لمقتنا أنفسَنا مقتاً لا يتصوَّر فوقه مقت، ورضينا لأن يعذِّبنا ربُّنا بالعذاب الأليم أبد الآبدين ودهرالدّاهرين، بل وسألناه ذلك تمام عمرنا، مقتاً على أنفسنا، كيف عصتْه حضوراً بعد هذه المعاملات اللطيفة وجليل هذه التكريمات الجميلة !

☜ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء، فوجدها، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها» .

وفي الزهد للأهوازي (٧٣، ح١٩٤) عن الباقر عليه السلام : «الله أفرح بتوبة عبده ـ حين يتوب ـ عن رجل ظلت راحلته في أرض قفراء، وعليها طعامه وشرابه ، فبيناهوكذلك لايدري مايصنع ولا أين يتوجّه، حتى وضع رأسه لينام، فأتاه آت فقال : يا هذا، هل لك في راحلتك قال : نعم . قال : هو ذه فاقبضها، فقام إليها فقبضها فقال أبوجعفر عليه السلام : والله أفرح بتوبة عبده حين يتوب من ذلك الرجل حين وجد راحلته» . بحارالأنوار : ٣٨/٦ .

١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : (٧٩/١١، شرح الخطبة ٢٠٧) : «قال أبوعلي الدقاق : إنَّ في بعض الكتب المنزلة : عبدي، أنا ـ وحقك ـ لك محبّ، فبحقّي عليك كن لي محبّاً» . وفي تفسيرالفخرالرازي (١٨٥/٤، تفسير البقرة/١٦٥) : «وفي بعض الكتب : عبدي أنا ـ وحقّك ـ لك محبّ، فبحقّي عليك كن لي محبّا» . وفي الفتوحات المكية (٣٢٢/٢، الباب ١٧٨) : «ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة : يابن آدم إني وحقّي لك محبّ، فبحقّي عليك كن لي محبّا»

٢) الكافي : ١٣٤/٨، الروضة، حديث عيسى ، وفيه : «... والقوم في غفلة لايرجعون» راجع أيضا أمالي الصدوق ـ قده ـ : ٦٠٩، المجلس الثامن والسبعون، ح١. عنهما بحارالأنوار : ٢٩١/١٤ .

٣) نسخة بدلا عن «ذاحياء» : وأحياء .

٣١٣) ومن أجل معرفة هذه العوالم ترى الأئمّة - صلوات الله عليهم - يقولون في مناجاتهم[١] : «إلهي، لوْ كانَ لي جَلَدٌ على انتقامِكَ وعذابِكَ لما سألتُكَ العفوَ عنِّي وسألتُكَ الصبرَ عليهِ مَقتاً على نفْسي كيفَ عصَتكَ» .

٣١٤) ومن هذا الباب قول السجّاد عليه السلام[٢] :«إلهي، لوبَكيتُ إليكَ حتَّى انتفى[٣] عيْني وانتَحبْتُ حتَّى ينقَطعَ صوتي وقمتُ لكَ حتَّى تتنَشَّرَ قَدَماي وركعْتُ لكَ حتَّى ينخلِعَ صُلبي وسجدتُ لكَ حتَّى تتفقَّأ حدَقَتايَ وأكلتُ ترابَ الأرْض طولَ عمري وشربتُ ماءَ الرمادِ آخرَ دهري وذكرتكَ في خِلالِ ذلِكَ حتَّى يكلَّ لساني ، ثمَّ لم أرفعْ طرْفي إلى آفاقِ السماءِ استحياءً منكَ، مَااستوجبتُ بِذلك محوَ سيِّئةٍ [واحدةٍ] مِن سيِّآتي» .

٣١٥) ومن أجْل ذلك قال الصادق - عليه الصلاة والسلام - في مصباح الشريعة[٤] : «لو لم يكنْ في الحسابِ مَهْوَلَةٌ إلاّ حَياءُ العرض على اللهِ تعالى وفضيحةُ هَتكِ الستْرِ على المَخفيّاتِ، يَحِقُّ للمرءِ أنْ لايهبطَ مِن رؤوس الجبالِ ولايأوِي إلى عمران ولايأكلَ ولايشربَ ولاينامَ إلاَّ عن اضطرار مُتَّصل[٥] بالَتلف» .

[التفكّر في حبِّ الله تعالى]

٣١٦) وهذا المقدار من التفكُّر لمثل هذا السالك المتأثّر نفسه من جهة صفات

---

١) ورد هذا المقطع مع بعض الاختلاف في اللفظ ضمن الزيارة الثانية عشرة من الزيارات الجامعة التي رواها المجلسي - قده - في بحار الأنوار : ١٠٢/٢٠٣ .

٢) الصحيفة السجاديّة عليه السلام : الدعاء السادس عشر .

٣) المصدر : حتى تَسقطَ أشفارُ عيني .

٤) مصباح الشريعة : الباب ٨٤، في الحساب .

٥) نسخ : مستقبل .

الإنسانيَّة كافٍ لكمال الجدِّ والاجتهاد؛ وإن كان تأثُّر نفسه من جهة المحبَّة والشوق أكثر، فعليه بالتفكُّر فيما مضى من الأخبار الواردة في إظهار لطفه تعالى على المتهجِّدين وإراءة وجهه وإلقاء نوره على بصائر قلوبهم ودعوته إيَّاهم إلى مجلس أُنسه ومحفل قُربه، ولو لم يكن في هذا الباب إلاّ تعبيره ﷻ في كتابه العزيز بقوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [السجدة/١٦] كان في التعبير عن ذكر قيامهم بما يدلُّ على ذكر ترك لذَّتهم في ذاته والتعبير بلفظ «ربِّهم» كفاية للعارفين المدَّعين لِحُبِّه، وهكذا في قوله تعالى لداود[١]: «وبعيني ما يتحمَّلون مِن أجلي وبسمعي ما يشتكونَ مِن حبِّي» فوق الكفاية، وهكذا قوله لِكليمه[٢]: «كذبَ مَن زعمَ أنَّه يحبُّني وإذا جنَّه الليلُ نامَ عنِّي».

[ثواب البكاء من خشية الله تعالى]

٣١٧) وإن كان تأثُّر نفسه من خوف النار والرغبة في الجنَّة فلينظر إلى ما ورد في ثواب صلاة الليل والبكاء من خشية الله:

٣١٨) روى الديلمي في الإرشاد[٣] عن النبيِّ ﷺ أنَّه: «ما مِن مؤمنٍ يخرُجُ مِن عينه مِثل ريش الذُّباب مِن الدمُوع فيصيب وَجهَهُ إلاَّ حرَّمهُ اللهُ على النارِ».

٣١٩) وقال ﷺ[٤]: «لا تَرَى النارَ عينٌ بكَت منْ خشيةِ اللهِ».

---

١) مضى في الرقم: ٢٩٥.

٢) مضى في الرقم: ٢٨٤.

٣) إرشاد القلوب: ١٩١/١. مستدرك الوسائل: ٢٤٦/١١، ح١٢٨٨٧. ومع فرق في كنزالعمّال: ١٤٢/٣، ح٥٨٨٢. إحياء علوم الدين: ٢٣٨/٤، كتاب الخوف والرجاء، بيان فضيلة الخوف.

٤) إرشاد القلوب: ١٩١/١، عن رسول الله ﷺ وتمامه: «ولا عين سهرت في طاعة الله ولاعين☜

٣٢٠) وقال ﷺ[1] : «ما مِن قطرةٍ أحبُّ إلى الله مِن قطرة دَمْع خرَجتْ مِن خشية الله ومِن قطرةِ دم سفكتْ في سبيل الله، وما مِن عبدٍ بكى من خشيةِ الله إلاّ سقاهُ اللهُ مِن رحيقِ رحمتِه وأبدَلهُ اللهُ ضِحكاً وسُروراً في الجنَّة ورَحمَ اللهُ مَن حولهِ ولو كانوا عشرينَ ألفاً، وما اغرَورقَتْ عينٌ في خشية الله إلاّ حرَّمَ اللهُ جسدَه على النارِ وإنْ أصابَ وجْهه لمْ يُرهقهُ قتَرٌ ولا ذلّةٌ ولو بكى عبدٌ في أُمَّةٍ لَنجَى اللهُ تلكَ الأُمَّةَ ببكائه» .

٣٢١) وقال ﷺ[2] : «مَن بكى مِن ذنْبٍ غُفرَ لهُ ومَن بكى خوفَ النارِ أعاذهُ اللهُ منها ومَن بكى شوقاً إلى الجنَّةِ أسكنهُ اللهُ فيها وكتبَ لهُ أماناً مِن الفزع الأكبر ومَن بكى مِن خشيةِ اللهِ حشرهُ اللهُ معَ النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشُّهداء والصالحين وحسُن أُولئك رفيقاً» .

٣٢٢) وقال[3] : «البكاءُ مِن خشيةِ اللهِ مفتاحُ الرحمةِ وعلامةُ القبولِ وبابُ الإجابةِ» .

٣٢٣) وقال[4] : «إذا بكى العبدُ مِن خشيةِ اللهِ تتحاتّ عنهُ الذنوبُ كما يتحاتّ الورقُ، فيبْقى كيوم ولدَتْه أُمُّه» .

☜ غضت عن محارم الله» . عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٦/١١، ح١٢٨٨٨ . وفي جامع الأخبار (٢٤٥/١١، الفصل الرابع والخمسون في الخوف، ح٢٢) عن أميرالمؤمنين عليه السلام : «حرّمت النار على عين بكت من خشية الله» . عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٥/١١، ح١٢٨٨٠ .

١) إرشاد القلوب : ١٩١/١ . عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٦/١١، ح١٢٨٨٩ .
ويظهر أنّ الحديث ملتقط من عدة أحاديث، فقد ورد مقاطعه في أحاديث مفردة .

٢) إرشاد القلوب : ١٩٢/١ . عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٧/١١، ح١٢٨٩٠ .

٣) إرشاد القلوب : ١٩٢/١ . عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٥/١١، ح١٢٨٩١ . و٢٠٧/٥، ح٥٧٠٧.

٤) إرشاد القلوب : ١٩٢/١ . عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٥/١١، ح١٢٨٩٢ .

٣٢٤) قال الصادق [١] : «إذا اقْشعَرَّ جِلْدُكَ ودمعَتْ عيناكَ ووَجِلَ قلبُكَ فَدُونكَ دُونكَ، فَقَد قصدَ قَصدَكَ [٢] » .

٣٢٥) روي في عُدَّة الداعي عن النبيّ ﷺ [٣] : «إذا أحَبَّ اللهُ عبداً نَصَبَ في قلبِه نائحةً مِن الحزنِ فإنَّ اللهَ يُحِبُّ كلَّ قلبٍ حزينٍ وإنَّه لا يدْخلُ النّارَ مَن بكى مِن خشيةِ اللهِ حتَّى يعودَ اللبَنُ إلى الضرع» .

٣٢٦) وروي في وصاياه جَلَّ جَلالُه لعيسى [٤] : «ياعيسى، هَبْ لي مِن عينيكَ الدموعَ ومِن قلبِكَ الخشيةَ وقُم على قبورِ الأموات فنادِهم بالصوتِ الرفيع لعلَّكَ تأخذ موعظتَكَ منهمْ وقلْ : «إني لاحقٌ في اللاَّحقينَ»؛ يا عيسى، صبّ لي مِن عينيكَ الدمُوعَ فَاخشَعْ لي بقلبِكَ؛ يا عيسى، استَغِثْ بي في حالاتِ الشدَّة، فإني أُغيث المَكروبينَ وأُجيبُ المُضطرِّينَ وأنا أرحمُ الراحمينَ» .

٣٢٧) وكان فيما أُوحي إلى الكليم [٥] : «وأمِتْ قلبكَ بالخشيَةِ وكُن خَلِق الثيابِ

---

١) الخصال : ٨١، باب الثلاثة، ح٦ . الكافي : ٤٧٨/٢، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها الإجابة، ح٨، وليس فيه : «ووجل قلبك» .

٢) قال المازندراني (شرح اصول الكافي : ٢٤٨/١٠) : «قصد قصدك، أي اعتدل قصدك إيّاه واستقام وفيه حثّ على طلب الحاجات منه حينئذ» .

ويحتمل قراءة «قُصِد» مبنيّاً للمفعول، فيكون المعنى : فقد قصد الله قصدك وأقبل بعنايته إليك، وهذا التفسير ألطف .

٣) عدّة الداعي : ١٥٥، القسم الثاني من الباب الرابع . عنه وسائل الشيعة : ٧٦/٧/ ح٨٧٧١ . إرشاد القلوب : ١٨٩ ـ ١٩٠، عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٥/١١، ح١٢٨٨٥ .

٤) عدّة الداعي : ١٥٥، القسم الثاني من الباب الرابع . عنه بحار الأنوار : ٣٠٥/٩٣، ضمن ح١ .

والحديث تراه في أمالي المفيد (٢٣٦، المجلس ٣٧، ح٧) وأمالي الطوسي (١٢، المجلس الأوّل، ح١٥) مع بعض الاختلافات .

٥) الكافي : ٤٢/٨، حديث موسى، الروضة، ضمن ح٨ . عدّة الداعي : ١٥٦، القسم الثاني من الباب الرابع . عنه بحارالأنوار : ٣٠٥/٩٣، ضمن ح١. ورواه الحرّاني في تحف العقول : ٤٩٠.

جديدَ القلبِ، تخفى على أهلِ الأرضِ وتُعْرفُ في أهلِ السماءِ، جليس البيوت[١]، مصباحَ الليل؛ واقنُتْ بينَ يديَّ قنوتَ الصابرينَ وصِحْ إليَّ مِن كثرَةِ الذنوبِ صياحَ الهاربِ مِن عدُوِّه واستعنْ بي على ذلكَ فإني نِعمَ العَونُ ونعمَ المستعانُ» .

٣٢٨) ورُوِي[٢] «إنَّ بينَ الجنَّةِ والنارِ عقبةٌ لايجوزُها إلاّ البَكّاؤونَ مِن خشيةِ اللهِ» .

٣٢٩) ورويَ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله[٣] ـ قال :ـ «إنَّ رَبي خبَّرني فقال : وعزَّتي وجلالي ما أدركَ العابدونَ درْكَ البكاءِ عندي شيئاً وإني لأبنِي لهم في الرفيقِ الأعلى قصراً لا يُشاركُهم فيهِ غيرهم» .

٣٣٠) وكان ممَّا أوحى [اللهُ] إلى موسى عليه السلام[٤] : «و ابْكِ على نفْسكَ ما دُمْتَ في الدنيا وخوَّف العطَبَ والمهالِكَ ولا تَغُرَّنَّكَ زينةُ الدنيا وزَهْرَتُها» .

٣٣١) وإلى عيسى ـ على نَبِيِّنا وآلِهِ وعليه السلام[٥] ـ : «ياعيسى ابن البكْرِ البتُولِ، ابْكِ على نفْسكَ بكاءَ مَن قد ودَّعَ الأهلَ وقلا الدنيا وتَركَها لأهلها وصارتْ رَغبتهُ فيما عندَ اللهِ» .

---

١) الكافي ونسخة في عدّة الداعي : حلس البيوت .

٢) عدّة الداعي : ١٥٦، القسم الثاني من الباب الرابع . وسائل الشيعة : ٧٦/٧، ح٨٧٧٣ .

٣) عدّة الداعي : ١٥٦، القسم الثاني من الباب الرابع . وسائل الشيعة : ٧٦/٧، ح٨٧٧٤ .
وجاء في أمالي الطوسي : ٥٣٢، المجلس ١٩، ضمن ح١، وفيه : «... لايشاركهم فيه أحد» . عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٥/١١، ح١٢٨٨٣ .

٤) الكافي : ٤٨/٨، حديث موسى، الروضة، ضمن ح٨ . عدّة الداعي : ١٥٦، القسم الثاني من الباب الرابع .

٥) الكافي : ١٣٢/٨، حديث عيسى بن مريم عليه السلام، الروضة، ضمن ح١٠٣ . أمالي الصدوق : ٦٠٧، المجلس ٧٨، ضمن ح١ . عدّة الداعي : ١٥٦، القسم الثاني من الباب الرابع . وسائل الشيعة : ٢٢٤/١٥، ح٢٠٣٣٤ . بحارالأنوار : ٢٩٠/١٤، ضمن ح١٤ .

٣٣٢) عن أميرالمؤمنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ[١] : «لَمّا كلَّمَ اللهُ موسى قال : يا إلهي ما جزاءُ مَن دَمعَتْ عيناهُ مِن خشيتكَ؟ قال : يا موسى، أقي وَجهَهُ مِن حَرِّ النارِ وآمِنُه يومَ الفَزَعِ الأكبرِ» .

٣٣٣) وقال الصادق عليه السلام[٢] : «كلُّ عينٍ باكيةٌ يومَ القيامةِ إلاّ ثلاثُ [أعيُنٍ] : عينٌ غضَّتْ عن مَحارمِ اللهِ وعينٌ سهرتْ في طاعةِ اللهِ وعينٌ بكتْ في جوفِ الليلِ مِن خشيته» .

٣٣٤) وعنهُ عليه السلام[٣] : «مامِن شيءٍ إلاّ وله كَيلٌ أو وزنٌ إلاّ الدموع، فإنَّ القطرةَ منهُ يطفيء بحاراً من النار؛ فإذا اغرَورَقتِ العينُ بمائها لم يرهقْ وجهَه قترٌ ولا ذلَّةٌ، وإذا فاضتْ حَرَّمهُ اللهُ على النارِ، ولو أنَّ باكياً بكى في أُمَّةٍ لَرُحِمُوا» .

٣٣٥) وعنه عليه السلام[٤] : «مامِن عينٍ إلاّ وهي باكيةٌ يومَ القيامةِ إلاّ عينٌ بكتْ مِن خوفِ اللهِ، وما اغرورَقتْ عينٌ بمائها مِن خشيةِ اللهِ إلاّ حرَّمَ اللهُ سائرَجسده على النار، ولو فاضتْ على خدِّهِ فما رَهقَ ذلكَ الوجهَ قترٌ ولا ذلَّةٌ وما مِن

---

١) عدّة الداعي : ١٥٧، القسم الثاني من الباب الرابع، عن أميرالمؤمنين عليه السلام . ولكن الرواية في أمالي الصدوق عن عليّ بن محمد الهادي عليه السلام : ٢٧٧، المجلس ٣٧، ضمن ح٨ . عنه مستدرك الوسائل : ٢٣٨/١١، ح١٢٨٤٩ . بحارالأنوار : ٣٢٨/١٣، ح٤ .

٢) الكافي : ٤٨٢/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح٤ . عنه وسائل الشيعة : ٢٢٨/١٥، ح٢٠٣٤٦. الزهد : ٧٧، ح٢٠٦، باب البكاء من خشية الله تعالى . عنه بحارالأنوار : ٣٣٢/٩٣، ح٢١ . عدّة الداعي : ١٥٧، القسم الثاني من الباب الرابع . ومع فرق يسير في الخصال : ٩٨/ باب الثلاثة، ح٤٦ .

٣) الكافي : ٤٨١/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح٥ . من لايحضره الفقيه : ٢٠٨/١، ح٩٤٢ . وسائل الشيعة : ٢٢٧/١٥، ح٢٠٣٤٣ . عدّة الداعي : ١٥٧، القسم الثاني من الباب الرابع .

٤) الكافي : ٤٨٢/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح٢، مع فرق يسير لفظي . أمالي الشيخ المفيد : ١٤٣، المجلس ١٨، ح١، مع بعض الفروق اللفظية . عنه مستدرك الوسائل : ٢٣٩/١١، ح١٢٨٥٣ . عدّة الداعي : ١٥٧، القسم الثاني من الباب الرابع .

شيءٍ إلاَّ وله كيلٌ أو وزنٌ إلاَّ الدمعَة فإنَّ اللهَ يُطفئُ باليسيرِ منهُ البحار مِن النارِ ولو أنَّ عبداً بكى في أُمَّةٍ لَيرحمُ اللهُ تلكَ الأُمَّةَ بِبُكاءِ ذلكَ العبدِ».

٣٣٦) ورُوي عن معاوية بن عمَّار قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول[1]: «كانَ في وصيَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله لعليّ أنَّه قال: ياعلي، أُوصيكَ في نفْسكَ بخصالٍ فاحفَظها» ـ ثمَّ قال صلى الله عليه وآله :ـ «أللهمَّ أعِنهُ» و عَدَّ خِصالاً والرَّابعة: «كثرةُ البُكاءِ مِن خشيةِ الله عزّ وجلّ، يُبْنى لكَ بكلِّ دَمعةٍ ألْفُ بيتٍ في الجنَّةِ».

٣٣٧) وروى أبوحمزة عن أبي‌جعفر عليه السلام[2]: «مامِن قطرةٍ أحبُّ إلى اللهِ من قطرةِ دمُوعٍ في سواد الليلِ مخافةً من اللهِ، لا يُراد بها غيره».

٣٣٨) وروى ابن أبي عُميرعن رجل من أصحابه ـقال:ـ قال أبوعبدالله عليه السلام[3]: «أوحَى اللهُ إلى موسى ـ على نبيِّنا وآله وعليه الصلوة والسلام ـ : إنَّ عِبادي لَمْ يَتقَرَّبوا إليَّ بشيءٍ أحَبّ إليَّ عن ثلاثِ خصالٍ. قال موسى عليه السلام: يا ربِّ، وما هُنَّ؟ قال: يا موسى، الزهدُ في الدنيا والورعُ عن المعاصي والبكاءُ من خشيَتي. قال موسى: يا ربِّ، فما لمن صنَعَ ذا؟ فأوحى اللهُ عزّ وجلّ إليه: ياموسى، أمَّا الزاهدونَ في الدنيا ففي الجنَّةِ، وأمَّا البكَّاؤونَ من خشيَتي ففي الرفيع الأعلى

---

١) الكافي: الروضة، ٧٩، ح٣٣. التهذيب: ١٧٥/٩، ح٧١٣. دعائم الإسلام: ٣٤٧/٢، ح١٢٩٦. عدّة الداعي: ١٥٨، القسم الثاني من الباب الرابع.
وجاء في من لايحضره الفقيه: ١٨٩/٤، ح٥٤٣٢، بلفظ: «بكل دمعة بيت في الجنّة». ومثله في المحاسن: ١٧/١، ح٤٨. وسائل الشيعة: ١٨١/١٥، ح٢٠٢٢٨.

٢) الكافي: ٤٨٢/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح٣. عدّة الداعي: ١٥٨، القسم الثاني من الباب الرابع. وسائل الشيعة: ٢٢٨/١٥، ح٢٠٣٤٥.

٣) الكافي: ٤٨٢/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح٦. وسائل الشيعة: ٢٢٨/١٥، ح٢٠٣٤٧. عدّة الداعي: ١٥٨، القسم الثاني من الباب الرابع. ومع بعض الفروق في الزهد: ٧٧، ح٢٠٧، باب البكاء من خشية الله تعالى.

لا يُشاركهم فيه أحدٌ، وأمَّا الوَرِعونَ عن المعاصي فإني أفتِّشُ الناسَ ولاأفتِّشُهم».

٣٣٩) وفي خطبة الوداع لرسول الله ﷺ(١) : «ومن ذَرفتْ عيناهُ من خشيةِ الله كانَ لهُ بكلِّ قطرةٍ من دمُوعهِ مثلُ جبلِ أُحُدٍ يكونُ في ميزانهِ مِن الأجرِ، وكانَ لهُ بكلِّ قطرةٍ عينٌ مِن الجنَّةِ على حافَّتيها من المدائنِ والقصورِ ما لاعينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ ولاخطَر على قلبِ بَشرٍ».

٣٤٠) وعن أبي جعفرٍ عليه السلام(٢) : «إنَّ إبراهيم النبيَّ قال : إلهي ما لعبدٍ بلَّ وجههُ مِن الدموع مِن مخافتِك؟ قال تعالى : جزاؤهُ مغفرتي ورضواني يومَ القيامةِ».

٣٤١) وروى إسحاق بن عمَّار ـ قال :ـ قلتُ لأبي عبدالله ـعليه الصلاة والسلام ـ(٣) : «أكونُ أدعُو وأشتهي البكاءَ ولايجيئُني، وربما ذكرتُ مَن ماتَ مِن بعض أهلي فأرقُّ فأبكي؛ فهلْ يجوزُ ذلك»؟ قال : «نعَم، تذكرهمْ فإذا رقَقْتَ فابكِ لربِّكَ تبارك وتعالى».

٣٤٢) وعن سعيد بن يسار قال : قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام(٤) : «أتباكي في الدعاء وليسَ لي بكاءٌ»؟ قال : «نَعمْ، ولو مثلَ رأسِ الذبابِ».

---

١) ثواب الأعمال : ٣٤٤، مع فرق يسير ضمن حديث طويل في باب يجمع عقوبات الأعمال وهو آخر أبواب الكتاب. عدّة الداعي : ١٥٩، القسم الثاني من الباب الرابع. عنه بحارالأنوار : ٣٣٤/٩٣، ضمن ح٢٥. مستدرك الوسائل : ٢٤٢/١١، ح١٢٨٧.

٢) الجعفريّات : ٢٤٠. عنه مستدرك الوسائل : ٢٤٢/١١ـ٢٤٣، ح١٢٨٧١. عدّة الداعي : ١٦٠، القسم الثاني من الباب الرابع. عنه بحار الأنوار : ٣٣٤/٩٣، ضمن ح٢٥.

٣) الكافي : ٤٨٣/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح ٧. عنه وسائل الشيعة : ٧٤/٧، ح٨٧٦٤. عدّة الداعي : ١٦٠، القسم الثاني من الباب الرابع. عنه بحارالأنوار : ٣٣٤/٩٣، ضمن ح٢٥.

٤) الكافي : ٤٨٣/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح ٩. عنه وسائل الشيعة : ٧٤/٧، ح٨٧٦٦. عدّة الداعي : ١٦٠، القسم الثاني من الباب الرابع. عنه بحارالأنوار : ٣٣٤/٩٣، ضمن ح٢٥.

٣٤٣) وعن أبي‌حمزة، قال: قال أبوعبد الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأبي بصير[1]: «إنْ خِفتَ أمراً يكونُ أو حاجةً تُريدُها فابدَء بالله فَمَجِّدهُ وأثنِ عليهِ كما هوَ أهلهُ وصَلِّ على النبيِّ ﷺ وتَباكِ ـ ولو مِثلَ رأسِ الذبابِ ـ إنَّ أبي كان يقولُ: أقرَبُ ما يكونُ العبدُ مِن الربِّ وهو ساجدٌ يبكي».

٣٤٤) وعنه عليه السلام[2]: «إنْ لم يَجئكَ البكاءُ فتَباكِ، فإنْ خرجَ منكَ مثْلَ رأسِ الذبابِ فبَخٍ بَخٍ».

[بكاء يحيى بن زكريّا]

٣٤٥) يا نفْسي، اذْكُري البكّائينَ فتعلَّمي منهمُ البكاءَ؛ إنَّ آدمَ صفيَّ الله ـ أبا البشَر ـ بكى حتّى صار في خدَّيه أمثال الأودية، و بكى يحيى نبيُّ الله ـ الذي عصمَهُ الله من الذنبِ ـ من خوف الله حتّى ذهب لحمُ خدَّيهِ.

٣٤٦) في البحار عن الأمالي[3]، بإسناده عن رسول الله ﷺ: «إنَّ يحيى أتى بيت المقدس فنظَر إلى المجتهدين من الأحبار والرُّهبان، عليهم مدارع الشَّعر وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدُّوها إلى سواري المسجد؛ فلمَّا نظَر إلى ذلك أتى أُمَّه فقال: «يا أُمَّاه، انسجي لي مدرعةً من الشعر وبُرنُساً من صوف حتّى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرُّهبان».

١) الكافي: ٤٨٣/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح ١٠. عنه وسائل الشيعة: ٧٤/٧، ح٨٧٦٧. عدّة الداعي: ١٦١، القسم الثاني من الباب الرابع. عنه بحارالأنوار: ٣٣٤/٩٣، ضمن ح٢٥.
٢) الكافي: ٤٨٤/٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح ١١. عنه وسائل الشيعة: ٧٥/٧، ح٨٧٦٩. عدّة الداعي: ١٦١، القسم الثاني من الباب الرابع. عنه بحارالأنوار: ٣٣٤/٩٣، ضمن ح٢٥.
٣) أمالي الصدوق: ٨٠، المجلس الثامن، ح٣. عنه بحار الأنوار: ١٦٥/١٤، ح٤. راجع أيضا تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٢٨٠.

٣٤٧) فقالت له أُمُّه : «حتَّى يأتي نبيُّ الله وأُوامره في ذلك» .

٣٤٨) فلمَّا دخل زكريَّا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى، فقال له : «يا بُنيّ، ما يدعوك إلى هذا، وإنَّما أنت صبيٌّ صغيرٌ» ؟ فقال له : «يا أبه، أما رأيت مَن هو أصغر سِنّاً منِّي قد ذاق الموت» ؟ قال : «بلى» . ثمَّ قال لأُمِّه : «انسجي له مدرعةً من شَعرٍ وبرنساً من صوف»؛ ففعلت .

٣٤٩) فتدرَّع المِدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه، ثمَّ أتى بيت المقدس، فأقبلَ يعبد الله تعالى مع الأحبار حتَّى أكلت المدرعةُ لحمَه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من بدنه فبكى، فأوحى الله عزّ وجلّ : «يايحيى أتبكي ممَّا قد نحل من جسمك؛ وعزَّتي وجلالي لو اطَّلعتَ إلى النار إطِّلاعةً لتدرَّعتَ مدرعة الحديد ـ فضلاً عن المنسوج» فبكى حتَّى أكلت الدموعُ لحمَ خدَّيه وبدا للناظرين أضراسُه . فبلغ ذلك أُمَّه، فدخلت عليه وأقبل زكريَّا واجتمع الأحبار والرُّهبان، فأخبروه بذهاب لحم خدَّيه، فقال : «ما شعَرتُ بذلك» .

٣٥٠) فقال زكريَّا عليه السلام : «يا بُنيَّ، ما يدعوك بذلك ؟ إنَّما سألتُ ربي أن يهبَك لي فتقرَّ عيني بك». قال : «أنت أمَرتَني بذلك يا أبه» .

٣٥١) قال : «ومتى ذلك، يا بُنيَّ» ؟ قال : ألستَ القائل : «إنَّ بين الجنَّة والنار لعقبةٌ لايجوزها إلاَّ البكَّاؤون من خشية الله» ؟ قال : «بلى، فجدَّ واجتهد، وشأنك غير شأني» .

٣٥٢) فقام يحيى، فنفض مدرعته، فأخذته أُمُّه، فقالت : «أتأذن لي أن أتَّخذ لك قطعتي لُبود[1] تواريان أضراسك وتنشِّفان دموعك» ؟ فقال لها : «شأنك» فاتخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشِّفان دموعه، [فبكى] حتَّى

---

١) اللِبد : كلّ شَعر أو صوف متلبّد سمّي به للصوق بعضه ببعض، جمعه ألباد ولُبُود .

ابتلَّتا من دموع عينيه، فحسر عن ذراعيه، ثمَّ أخذهما يعصرهما، فيحدَّر الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريًّا إلى ابنه وإلى دموع عينيه، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «أللّهمَّ إنَّ هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الرّاحمين».

٣٥٣) وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل التفت يميناً وشمالاً، فإنْ رأى يحيى عليه السلام لم يذكر جنَّةً وناراً، فجلس ذات يوم يعظ الناس وأقبل يحيى قد لفَّ رأسه بعباءة، فجلس في غمار الناس والتفت زكريًّا عليه السلام يميناً وشمالاً فلم يرَ يحيى، فأنشأ يقول: «حدَّثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنَّ في جهنَّم جبلاً يقال له السكران، في أصل ذلك الجبل وادٍ يقال له الغضبان، [يغضب] لغضب الرّحمان - تبارك وتعالى - في ذلك الوادي جبٌّ قامته مائة عام، في ذلك الجبّ توابيت من نارٍ، في ذلك التوابيت صناديق من نارٍ، وثيابٌ من نارٍ وسلاسل من نارٍ وأغلالٌ من نارٍ».

٣٥٤) فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال: «وا غفلتاه من السّكران». ثمَّ أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريًّا عليه السلام من مجلسه فدخل على أُمِّ يحيى، فقال لها: «قومي فاطلبي يحيى، فإني قد تخوَّفت أن لانراه إلاَّ وقد ذاق الموت».

٣٥٥) فقامت فخرجت في طلبه حتَّى مرَّت بفتيان من بني إسرائيل، فقالوا لها: «يا أُمَّ يحيى، أين تريدين»؟ قالت: «أريد أن أطلب ولدي يحيى، ذُكرتْ النار بين يديه فهام على وجهه».

٣٥٦) فمضت أُمُّ يحيى والفتيةُ معها حتَّى مرَّت براعي غنم، فقالت له: «يا راعي، هل رأيت شابّاً من صفته كذا وكذا»؟

٣٥٧) فقال لها: «لعلَّك تريدين يحيى بن زكريًّا»؟

٣٥٨) قالت: «نعم، ذاك ولدي، ذُكرت النّار بين يديه فهام على وجهه».

٣٥٩) فقال : «إني تركته الساعة على عقبة ثنيَّة كذا وكذا، ناقعاً قدميه في الماء رافعاً بصره إلى السماء، يقول : وعزَّتك مولاي، لا ذُقتُ باردَ الشراب حتَّى أنظر إلى منزلتي منك» .

٣٦٠) فأقبلتْ أُمُّه، فلمَّا رأته دنت منه، فأخذت برأسه فوضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل، فانطلق معها حتَّى أتى المنزل، فقالت له : «هل لك أن تخلع مدرعة الشَّعر وتلبس مدرعة الصوف، فإنَّه ألين» ففعل وطبخت له عدساً، فأكل واستوفى فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه : «يا يحيى بن زكريَّا، أردتَ داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري» ؟فاستيقظ فقام وقال : «يا ربِّ اقِلني عَثرتي، إلهي فوعزَّتك لا أستظلُّ بظلٍّ سوى بيت المقدس» وقال لأُمِّه : «ناوليني مدرعة الشَّعر، فقد علمتُ أنَّكما ستورداني المهالك» .

٣٦١) فتقدَّمت أُمُّه فدفعت إليه المدرعة وتعلَّقت به، فقال لها زكريَّا : «دَعيه فإنَّ ولدي قد كُشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش» .

٣٦٢) فقام يحيى فلبس مدرعتَه ولبس البرنس على رأسه، ثمَّ أتى بيتالمقدس، فجعل يعبدُ الله ﷻ مع الأحبار، حتَّى كان من أمره ماكان» .

[عود إلى مخاطبة القارئ]

٣٦٣) فتفكَّر يا أخي في هذه الأخبار و اختر لنفسك منها عدَّةً ليوم فقرك وفاقتِك بل لحال ابتلائك وبلائك، وإن لم يساعدك حالك للبكاء فلا محالة من التّباكي، فإن منعك القساوة منه أيضاً فاعلم أنَّه قد أمرضتك الذُّنوب وأفسد قلبَك اكدارُ العيوب ، لاسيَّما الاغترار بزينة هذه الدّنيا الدنيَّة وزخارفها وزهرتها وألف هذه العادات الرديَّة من التنعُّم بلذَّاتها وحظوظها،

فإنَّ حبَّها ـ كما ورد في الأخبار[1] ـ رأس كلّ خطيئةٍ مهلكةٍ ولم يدع في قلبك محلاً لذكرالله وفكر الآخرة .

٣٦٤) هذه نبذةٌ ممَّا وردفي فضل البكاء .

[فضل صلاة الليل والتهجُّد]

٣٦٥) وأمَّا ماورد في فضل صلاة الليل والتهجُّد فهي كثيرةٌ، ظنّي أنَّ من تفكَّر فيها وكان مؤمناً بها ـ ولو بأقلّ درجات الإيمان ـ وكان صحيح الجسم، لايمنعه لذَّة الرقاد عنها ولايرضى أن يحرِّم نفسَه هذه الفضائل ويدنِّسها بما في تركها من الخسَّة والخيبة والخسر والرذائل .

٣٦٦) كيف يرضى العاقل أن يهبط درجته عن إمامة الملائكة الأطهار ويكون مَبالاً للشيطان بنوم ساعةٍ، بل أن يفوِّت عن نفسه العزيزة شرف مناجاة الملك الجبَّار ولذَّة اُنسه وبهاء نوره وكرامة مجالسته براحة ساعاتٍ من ليله ويكون جيفةً بالليل وبطَّالاً بالنهار .

٣٦٧) وبالجملة؛ قد وردت في أخبارآل النبيِّ ـ صلّى الله عليهم وسلّم ـ في فضيلة التهجُّد وصلاة الليل ما يبهر منه العقول ويعسر الإيمان به والتصديق له، من عظمة هذه الفضائل وكثرة هذه الفواضل .

٣٦٨) وإن شئت تصديق ذلك فراجع إلى ماسمعت[2] في حديث بعض الصدِّيقين أنَّه تعالى قال في علامة أحبَّائه الذين ﴿يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَه﴾ [المائدة/٥٤] ويشتاق إليهم ويشتاقون إليه وينظر إليهم وينظرون إليه «إنَّهم يسجدون له في ظُلَم

---

١) الكافي ١٣١/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا، ح١١. و :٣١٥/٢، باب حب الدنيا، ح١ . و٣١٧/٢، الباب المذكور ح٨ . والحديث مرويّ في كثير من المصادر الروائيّة .

٢) مضى في الرقم ٢٨٤.

الليالي ويناجونه ويبكون ويشتكون من حبِّه»؛ فإنَّ فيه كفاية ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق/٣٧] .

٣٦٩) وروي في معاني الأخبار[١] بإسناده عن أبي عبدالله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : قال أميرالمؤمنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «إنَّ الله إذا رأى أهل قريةٍ قدأسرفوا في المعاصي وفيها ثلاثة نفرٍ من المؤمنين ناداهم جَلَّ جَلالُهُ : يا أهلَ معصيتي، لولا ما فيكم من المؤمنين ـ المتحابِّين بجلالي، العامرين بصلواتهم أرضي ومساجدي، المستغفرين بالأسحار خوفاً منِّي ـ لأنزلتُ بكم عذابي ثمَّ لا أُبالي» .

٣٧٠) وروي عن مجالس الصّدوق[٢] بإسناده عن ابن عبّاس ـ قال :ـ قال رسول‌الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «مَن رُزق صلاةُ الليل ـ من عبدٍ أو أمَةٍ ـ قام لله عَزَّ وَجَلَّ مخلصاً فتوضَّأ وضوءً سابغاً وصلَّى لله بنيَّةٍ صادقةٍ وقلبٍ سليم وبدن خاضع وعينٍ دامعةٍ، جعَل اللهُ خلفَه تسعةَ صفوفٍ من الملائكة، في كلِّ صفٍّ مالايحصي عددهم إلاَّ الله تعالى، أحد طرفي كلِّ صفٍّ بالمشرق والأُخرى بالمغرب، فإذا فرغ كتب له بعددهم درجات» .

٣٧١) وروي عنه بإسناده عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عليه الصلاة والسلام[٣] : «إنَّ العبد إذا تخلَّى بسيِّده في جوف الليل المظلم وناجاه، أثبت اللهُ النورَ في قلبه،

---

١) لم أعثر عليه في معاني الأخبار والأظهر أنّه من سهوالقلم، فقد رواه الصدوق ـ قده ـ في أماليه : ٢٦٧، المجلس ٣٦، ح١٠ . وعلل الشرايع : ٥٢٢، الباب ٢٩٨، ح٣ . وعنه بحارالأنوار : ٣٨١/٧٣، ح٣. وسائل الشيعة : ٩٢/١٦، ٢١٠٦٧ .

٢) أمالي الصدوق : ١٢٥، المجلس ١٦، ضمن الحديث ٢ . عنه وسائل الشيعة : ١٥٥/٨، ح١٠٢٩٠. بحارالأنوار : ٢٠٣/٨٢، ح٣ .

٣) أمالي الصدوق : ٣٥٤، المجلس ٤٧، ح٩ . بحارالأنوار : ٩٩/٣٨، ح١٨ . مستدرك الوسائل : ٢٠٧/٥، ح٥٧٠٨ . و٣٣٨/٦، ح٦٩٥٠ .

فإذا قال : «يا ربِّ يا ربِّ» ناداه الجليل جَلَّ جَلالُهُ : «لبَّيك عبدي، سلني أعطك وتوكَّل عليَّ أكفك» ثمَّ يقول جَلَّ جَلالُهُ للملائكة : أنظروا إلى عبدي، فقد تخلَّى بي في جوف هذا الليل المظلَم، والبطَّالون لاهون، والغافلون نيامٌ؛ إشهدوا أني قد غفرت له» .

٣٧٢) وروي عن مجالس ابن الشيخ[1] عن الصادق ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «إنَّ من روح الله ثلاثةٌ : التهجُّد بالليل وإفطار الصائم ولقاء الإخوان» .

٣٧٣) وعن ثواب الأعمال[2] عن أميرالمؤمنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال :ـ «صلاة الليل مصحَّةٌ للبدن ومرضاة للربِّ عَزَّ وَجَلَّ وعرُّضٌ للرحمة وتمسُّكٌ بأخلاق النبيِّين» .

٣٧٤) وعن العلل[3]، عن جابرٍ ـ قال :ـ سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول : «ما اتَّخذ اللهُ إبراهيمَ خليلاً إلاَّ بإطعام الطَّعام والصّلاة باللّيل والنّاسُ نيامٌ» .

٣٧٥) وعن العلل[4] « عن أبي عبد الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : في قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود/١١٤] قال : «صلاة المؤمن باللّيل تذهب بما عمل من ذنبِ النهار» .

---

١) أمالي الطوسي : ١٧٢، المجلس ٦، ح٤٣ . وسائل الشيعة : ١٥٢/٨، ح١٠٢٨٢ و١٤/٥٨٧، ح١٩٨٧٤ . بحارالأنوار : ٣٥٣/٧٤، ح٢٧.

٢) ثواب الأعمال : ٦٤، باب ثواب من صلّى صلاة الليل، ح٦، وفيه : «قيام الليل مصحّة للبدن ورضاء الرب...» . الخصال : ٦١٢، ضمن حديث الأربعمائة . المحاسن : ٥٣، ح٧٩ . بحارالأنوار : ١٤٤/٨٧، ح١٧ .

٣) علل الشرايع : ٣٥/١، الباب ٣١، ح٤ . وسائل الشيعة : ١٥٦/٨، ح١٠٢٩١ . بحارالأنوار : ٤/١٢، ح١٠ .

٤) الكافي : ٢٦٦/٣، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة، ح١٠ . من لايحضره الفقيه : ٤٧٣/١، ح١٣٦٨ . وسائل الشيعة : ١٤٦/٨، ح١٠٢٦٥ . علل الشرايع : ٣٦٣/٢، الباب ٨٤، ح٧، بلفظ : «صلاة المؤمن بالليل يذهبن بما عمل من ذنب بالنهار» .

٣٧٦) وعن ثواب الأعمال[١]، عن أبي عبدالله عليه السلام : «صلاة الليل تحسِّن الوجه وتحسن الخلق وتطيب الريح وتدرُّ الرزق وتقضي الدين وتذهب بالهمِّ وتجلو البصر» .

٣٧٧) وعن مجمع البيان[٢] عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال : «إذا أيقظ الرجلُ أهلَه وصلَّيا من الليل كُتبا من الذاكرين الله [كثيراً] والذاكرات» .

٣٧٨) وعن مشكاة الأنوار[٣] من كتاب المحاسن[٤] عن الصادق ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل : إن أحببتَ أن تلقاني في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً غريباً مهموماً محزوناً مستوحشاً من الناس، بمنزلة الطير الذي يطير في الأرض القفار ويأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء العيون، فإذا كان الليل أوكر وحده واستأنس بربِّه واستوحش من الطيور» .

٣٧٩) وعن الباقر ـ عليه الصلاة والسلام ـ[٥] : «إنَّ الله يحبُّ»ـ وذكر أشياء ـ وقال في آخرها :ـ «الساهر بالصلاة» .

---

١) ثواب الأعمال : ٦٥، ثواب من صلّى صلاة الليل، ح٩ . وسائل الشيعة : ١٥١/٨، ١٠٢٧٨ . بحارالأنوار : ٢٦٨/٦٢، ح٥٠ .

٢) مجمع البيان : ٣٥٨/٤، تفسيرالآية الأحزاب/٣٥ . وسائل الشيعة : ٢٥٧/٧، ح٩٢٦٨ . مستدرك الوسائل : ٣٣٢/٦، ح٦٩٣٥. بحارالأنوار : ١٥٨/٨٧/ ح٤٤ . جوامع الجامع : ٦٤/٣.

٣) مشكاة الأنوار :١٧٣/٢،الباب ٦، الفصل ٤، ح٣، مع اختلاف يسير عنه بحارالأنوار : ١٥٨/٨٧، ح٤٥. مستدرك الوسائل : ٢٠٨/٥/ ح٥٧٠٩ .أمالي الصدوق : ٢٦٥، المجلس ٣٦، ح٥ .

٤) رواية المؤلّف حكاية ما في مستدرك الوسائل : ٢٠٨/٥، ح٥٨٠٩، و٣٣٣/٦، ح٦٩٣٧، عن مشكاة الأنوار، ولكن لم أعثرعلى الرواية في كتاب المحاسن للبرقي ولم ينقل عنه في غير مشكاة الأنوار وإن يظهر عماجاء في مشكاة الأنوار أنّه منقول منه؛ فلعله كان في نسخة الكتاب عنده .

٥) مشكاة الأنوار : ٣٢٨/١، الباب ٣، الفصل١٠، ح١١. مستدرك الوسائل : ٣٣٣/٦، ح٦٩٣٨ . وتمام الحديث : «إنّ الله تبارك وتعالى يحب المداعب في الجماعة بلارفث، المتوحّد بالفكرة، ☜

٣٨٠) وعن كتاب الغايات[١] عن أبي عبدالله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : قلت له : «أخبرني ـ جعلتُ فداك ـ أيّ ساعةٍ يكون العبد أقرب إلى الله والله منه قريبٌ» ؟

٣٨١) قال : «إذا قام في آخر الليل والعيون هادئةٌ فيمشي إلى وضوءه حتَّى يتوضَّأ بأسبغ وضوءٍ، ثمَّ يجيء حتَّى يقوم في مسجده فيوجِّه وجهَه إلى الله ويصفَّ قدميه ويرفع صوتَه ويكبِّر وافتتح الصلاة فقرأ أجزاءً وصلَّى ركعتين قام ليعيد صلاته، ناداه منادٍ من عنان السماء عن يمين العرش : أيُّها العبد المنادي ربَّه، إنَّ البرَّ ليُنشر على رأسك من عنان السماء والملائكة لمحيطةٌ بك من لدن قدميك إلى عنان السماء والله ينادي : عبدي لو تعلم من تناجي إذاً ما انفتلت» .

٣٨٢) وقال[٢] : «أبغض الخلق إلى الله جيفةٌ بالليل وبطَّالٌ بالنهار» .

٣٨٣) وقال رسول‌الله ﷺ[٣] : «خياركم أُولو النُّهى» . قيل : «يا رسول الله، من أُولو النُّهى» ؟ فقال : «المتهجِّدون باللّيل والنّاس نيامٌ» .

٣٨٤) عن العيون[٤] ـ قال :ـ سئل عليٌّ بن الحسين ـصلوات الله وسلامه عليهماـ : «ما بال المتهجِّدون بالليل من أحسن الناس وجهاً» ؟ قال عليه السلام : «لأنَّهم خلوا بربِّهم فكساهم من نوره» .

☜ المتحلّي بالعبرة، الساهر بالصلاة» . من لايحضره الفقيه : ٤٧٤/١، ح١٣٧٢ . والرواية في المحاسن : ٢٩٣، مصابيح الظلم، ح٤٥٢ . وفيه : «... المتحلي بالصبر المتباهي بالصلاة» .

١) الغايات : ٨٠ . عنه بحارالأنوار : ١٥٨/٨٧، ح٤٦ . مستدرك الوسائل : ٣٣٣/٦، ح٦٩٣٩

٢) الغايات : ٨١ . عنه بحارالأنوار : ١٥٨/٨٧، ح٤٦ . مستدرك الوسائل : ٣٤٠/٦، ح٦٩٥٤ .

٣) الغايات : ٨٩ . عنه بحارالأنوار : ١٥٨/٨٧، ح٤٦ . مستدرك الوسائل : ٣٣٤/٦، ح٦٩٤٠ .

٤) عيون أخبارالرضا عليه السلام : ٢٨٢/١، الباب ٢٨، ح ٢٨ . علل الشرايع : ٣٦٥، ح١ . وسائل الشيعة : ١٥٨/٨، ١٠٢٩٣ . وفي أمالي الطوسي : ٦٨٢، المجلس ٣٨ ، ح٥، عن الصادق عليه السلام .

٣٨٥) وعن الصادق ـ عليه الصلاة والسلام ـ[1] : «صلاة الليل مرضاةٌ للربِّ وحبُّ الملائكة وسُنَّة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وراحة الأبدان وكراهة الشيطان وسلاحٌ على الأعداء وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركةٌ في الرزق وشفيعٌ بين صاحبها وبين ملك الموت وسراجٌ في قبره وفراشٌ تحت جنبه وجوابٌ على منكرٍ ونكيرٍ ومونسٌ وزائرٌ في قبره إلى يوم القيامة؛ فإذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلاًّ فوقه [و]تاجاً على رأسه ولباساً على بدنه ونوراً يسعى بين يديه وستراً بينه وبين النار وحجَّةً بينه وبين الله تعالى وثقلاً في الميزان وجوازاً على الصراط ومفتاحاً للجنَّة، لأنَّ الصلاة تكبيرٌ وتحميدٌ وتسبيحٌ وتمجيدٌ وتقديسٌ وتعظيمٌ وقراءةٌ ودعاءٌ» .

٣٨٦) وعن البلد الأمين[2] قال الصادق عليه السلام : «ليس من شيعتنا من لم يصلّ صلاة اللّيل» .

٣٨٧) عن ثواب الأعمال والمجالس للصّدوق[3] : «إنَّ رجلاً سأل أميرالمؤمنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن قيام الليل للقرآن . فقال له : «أبشر، من صلَّى من الليل عشرليلةٍ لله مخلصاً ابتغاء مرضاة الله، قال الله عزّ وجلّ لملائكته : أكتبوا لعبدي [هذا من الحسنات] عدد ما أنبت في الليل من حبَّةٍ وورقةٍ وشجرةٍ وعدد كلِّ قصبةٍ وخوط[4] ومرعى ؛ ومن صلَّى تسع ليلةٍ أعطاه الله عشر

---

١) بحار الأنوار : ١٦١/٨٧ ، ح٥٢ . مستدرك الوسائل : ٣٣٥/٦ ، ح٦٩٤٢ . عن مجموعة ورام .

٢) لم أعثر عليه في البلد الأمين. ورواه الشيخ المفيد ـ قده ـ في المقنعة : ١٩ . وسائل الشيعة : ١٦٣/٨ ، ١٠٣١٢ . بحار الأنوار : ١٦٢/٨٧ ، ح٥٣ .

٣) ثواب الأعمال : ٦٦ ، ثواب قيام الليل بالقرآن، ح١ ، مع بعض الاختلاف في اللفظ .
أمالي الصدوق : ٣٦٧ ، المجلس ٤٨ ، ح١٦ . من لايحضره الفقيه : ٤٧٥/١ ، ح١٣٧٤ .
بحار الأنوار : ١٧١/٨٤ . وسائل الشيعة : ١٣٩/٦ ، ٧٥٥٦ .

٤) الخوط : الغصن الناعم . وفي الفقيه : خوص ومرعى. والخوص ورق النخل .

دعواتٍ مستجاباتٍ وأعطاه كتابه بيمينه يوم القيامة؛ ومن صلَّى ثمن ليلةٍ [أعطاه الله ﷻ أجرشهيدٍ صابرٍ صادق النيَّة وشُفِّع في أهل بيته؛ ومن صلَّى سُبع ليلةٍ][(١)] خرج من قبره يوم يُبعث ووجهه كالقمر ليلة البدر حتَّى يمرَّ على الصراط مع الآمنين؛ ومن صلَّى سُدس ليلةٍ كتب من الأوَّابين وغُفر له ما تقدَّم من ذنبه؛ ومن صلَّى خُمس ليلةٍ زاحم إبراهيم الخليل في قبَّته؛ ومن صلَّى رُبع ليلةٍ كان في أوَّل الفائزين حتَّى يمرَّ على الصراط كالريح العاصف ويدخل الجنَّة بغير حسابٍ؛ ومن صلَّى ثُلث ليلةٍ لم يبق ملك إلاَّ غبطه بمنزلته من الله ﷻ وقيل له: «اُدخُل من أيِّ أبواب الجنَّة الثمانية شئت؛ ومن صلَّى نصف ليلةٍ فلواُعطي ملء الأرض ذهباً سبعين ألف مرَّة لم يعدل جزاءه وكان له ذلك أفضل من سبعين رقبةً يعتقها من ولد إسماعيل؛ ومن صلَّى ثُلثي ليلةٍ كان له من الحسنات قدر رملٍ عالج أدناها حسنةً أثقل من جبل اُحد عشر مرَّاتٍ.

ومن صلَّى ليلةً تامَّةً تالياً لكتاب الله ﷻ راكعاً وساجداً وذاكراً اُعطي من الثّواب ماأدناه أن يخرج من الذنوب كما ولدَتْه اُمُّه ويكتب له عدد ماخَلَق الله من الحسنات ومثلها درجاتٍ ويثبت النور في قبره وينزع الإثم والحسد من قلبه ونجا من عذاب القبر ويعطى براءةً من النّار ويبعث من الآمنين ويقول الربُّ تبارك وتعالى لملائكته: «ملائكتي، انظروا إلى عبدي، أحيا ليلةً ابتغاء مرضاتي، أسكنوه الفردوس وله فيها مائة ألف مدينةٍ، في كلِّ مدينةٍ جميع ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وما لايخطر على بالٍ، سوى ما أعددتُ له من الكرامة والمزيد والقربة».

---

١) إضافة من المصدر.

[تأمّل في نتائج ما مضى]

٣٨٨) هذا؛ وقد افتضحتِ - يا نفسي - بعد هذه المراتب ولو أتيتِ بعبادة الثقلين في قبال هذه الألطاف السنيَّة؛ وكيف، وأنت جيفةٌ بالليل بطّالٌ بالنّهار، بل وليت لم تقومي من نومتك ولم تستيقظي من رقدتك، فلعلّك تنتفعي من خجل عدم القيام أكثر من قيامك بهذه الحال وبهذا القلب المنكوس؛ بل ولو شرحت حقيقة قيامك - بل أشرف حالات قيامك الذي هو صلاتك - والتفتَّ بحقيقة عملك، لاستغفرت من صلواتك أكثر من استغفارك لذنوبك ؟! واستحييت منه جَلَّ جَلالُه حياءً عظيماً ؟!

[التقصير في أدب الحضور بين يدي الله تعالى]

٣٨٩) وإن شئت تصديق ذلك فاستمع لما أتلو عليك من أيسر تقصيرك [في] حق أدب الحضور بين يدى هذا السلطان العظيم الرحمان الرحيم، وهو غفلتك عن حضوره في صلواتك واشتغالك بقلبك إلى غيره؛ فإنَّك إذا تأمّلت في ذلك وما تتأدَّب به في حضور شخص جليل من حاكم بلدك وشريف من شرفاء قومك وقايسته بأدبك في صلاتك في حضور ملك الملوك تعالى ، تعرف كثرة تقصيرك وتهوينك لعظمة هذا السلطان العظيم - جلَّ سلطانه - لأنَّك لاترضى من نفسك أن تحضر بمحضر حاكم بلدك وتستدبره - وهو مواجهك - وتتواضع لغيره وهو يخاطبك؛ بل وتسجد لعدوِّه في حضوره وهو يناجيك؛ بل ولاترضى بذلك التهوين مع قرينك، بل ولا [مع] أحد من خدَّامك .

٣٩٠) فما أفضح عملُك وما أفظع حالُك في معاملة هذا الملك العظيم الشفيق! في صلاتك التى أكرمك بإذنه لك في هذا المعراج والمناجاة معه! بل منَّ عليك

بعظيم منِّه حيث دعاك لمخاطبته ومجلس أُنسه وهو يراقبك في جميع لحظاتك ويحسبك بلطفه في جميع ما تفعله أوتقوله من أفعالك وأقوالك وينشرالبرَّ على رأسك من عنان السماء ويأمر كرام ملائكته بأن يحيطوا بك من قدمك إلى أُفق السماء إجلالاً بك، وينظربعين رأفته عليك ويباهي بك ملائكته الكرام.

٣٩١) فأين أنت يا مسكين ! يا جاهل ! بل يا قبيح الفعال ! يا من لاحياء له ! ـ بل ولا ايمان ولا عقل له ! بل ولاشعور ـ من هذا الخسران العظيم ؛ ولو أنَّ حيواناً من البهائم استشعر من مالكه عُشر ما عقلتَ من مالكك الرأفةَ والأُلفةَ والحنين، استأنس به وألفَه ويراقبه بالطّبع عند حضوره ، وكثيراً مارأيت من الحيوانات ـ بل من الكلاب ـ أنّه يراقب مالكه ـ الذي يباشر إطعامه ـ بمراقبات عجيبة ؛ كيف ولو تأمَّلت بعين الدقَّة في معاملة الكلب مع صاحبه ووفائه في معاملته لرأيتَه أحيى وأوفى منك بكثيرٍ !

٣٩٢) يا انسان ! يا عاقل ! انصف، كيف يصحُّ لك أن ترضى في معاملتك مع هذا الإله الجليل والمنعم الجميل ـ الذي لاتقدر على إحصاء نعمه عليك، بل ولايقدر على ذلك أهل السماوات والأرضين، ولايقدِّر ذرَّة من عظمة سلطانه عقول العقلاء وفهوم العلماء ولا أوهام الحكماء ـ أدون من معاملة الكلب مع صاحبه؟ !

٣٩٣) أما تعلم أنَّ صاحب الكلب ربَّما لايطعمه إلاَّ بالعظم الخالي، ومع ذلك هو يحرسه طول ليله ويحرس بيته وحشمه ويتكالب مع كلِّ من يحسُّ دخول له في بيت صاحبه من الغرباء وكلِّ ما يريد غنمَه وحشمَه من الذئاب؛ وربَّما ينسي أن يطعمه هذا العظم الخالي أيضاً وهو مع ذلك يتحمَّل الطوى[1] من القوت ولا يترك بابَه ولايذهب عن بابِه إلى باب غيره !

---

١) طوى الرجل : تعمّد الجوع وقصده .

٣٩٤) **فاستمع**- يا قليل الحياء! يا عادم الحياء!- أنَّك تخون صاحبَك الرفيق، ومنعمَك الشفيق - مع أنَّه يُطعمك من الأغذية اللطيفة بهذا الإكرام والتّشريف في بيوت عالية وظروف غالية- بأقبح الخيانات، وتتواضع لعدوِّه وتسجد له في طاعتك له عند أمره بمخالفة ربِّك في تحصيل الزيادات؛ مع أنَّك تعلم يقيناً أنَّه لو لم يحلم عنك [و] لم يعطك القدرة وسائر أسباب التحصيل، لما أمكنك ذلك ؛ فما أعظم هذا المصاب العظيم والرّزء الجليل ؟ ! وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، من حسرة هذا الخطب الفظيع والخسران العظيم ؟!

٣٩٥) كيف يكون حالُنا لو خاطَبَنا ربُّنا في هذه المعاملات وقال : «يا وقيح ! يا قبيح، أما وجدت أهون مني عليك في معاملتك! أما استحييت! أما خجلت! أما أوجدتُك ؟ أما خلقتُك ؟ أما سوَّيتُ خَلقَك ؟ أما باشرتُ بنفسي إلى تدبيرأمرك بحيث ما رضيتُ لك نعمةً دون نعمة ؟ حتى عجز الواصفون عن صفتها ولم يقدر المحصون إحصاءها ؟ عصيتني بعين نعمي عليك وأنا شاهد عليك، وأمرتك بأمر هو صلاحُك، وأمَرَك عدوِّي وعدوُّك بأمْر فيه فسادُك وهلاكُك، خالفتَني وأطعتَ عدوِّي وعدوَّك بحضوري، وجميعُ أسباب طاعتك لعدوِّي من نعمي عليك؛ دعَوتُك إلى كرامتي ومجلس أُنسي - وأنا مُنعمك ورازقُك - تكريماً لك ومنًّا منِّي عليك، اعرضتَ عنِّي؛ ودعاك عدوِّي إلى طاعته ومجاورته في أسفل دركات الهاوية فأجبتَه وأطعتَه .

٣٩٦) ولعلَّ لمثل هذه الأحوال قال الصادق - عليه الصلاة والسلام -[1] : «و لو لم يكن للحساب مهولةٌ إلاَّ حياء العرْض على الله وفضيحة هتك الستر، يحقُّ للمرء أن لايهبط من رؤوس الجبال...»- هذا

---

١) مصباح الشريعة : الباب ٨٤، في الحساب . وقد مضى في الرقم ٣١٦ .

٣٩٧) وقد يختلج ببالي أنَّ استشعار هذا المقدار من سوء المعاملة والتهوين والمسامحة مع السكوت عن الاعتذار، ربَّما يورث شناعة أُخرى فوق شناعة الواقع، لأجل أنَّ ترك الاعتذار ـ ولو عن غير حقٍّ ـ في بعض المقامات إنَّما يعدُّ توهيناً ويصير أقبح من التقصير .

٣٩٨) فلنتعرَّض الآن بذكرالأعذارمن هذه الجنايات العظيمة والقبائح الفظيعة، بعد الاعتراف والانكسار و إظهار المذلَّة والاستحياء والعرض إلى جناب قدسه الأعظم بحقيقة لسان الحال :

[مناجاة واعتذار]

٣٩٩) أن لا إله إلاَّ أنت، سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين وأقبح الظالمين وأرذل الظالمين وأهون الظالمين، بحيث لو كان لنا جَلدٌ على انتقامك أو طاقة على عذابك لما سألناك العفو عنَّا، وسألناك أن تعذِّبَنا بأليم عذابك وبئيس عقابك أبد الآبدين ودهر الدّاهرين، عذاباً خالداً لا انقطاع لأبدها، سخطاً على أنفسنا، كيف عصتْك وقابَل هذه الكرامات الجليلة من ألطافك السنيَّة البهيَّة بهذه الفظائع الشنيعة؛ بأنَّ هذه المخالفات ـ يا ربَّنا ـ من هذه العبيد السوء ليس من باب هوان نعمك العظيمة عندهم أوتهوين سلطانك العظيم لديهم، ولا لأجل الجحود والعناد ـ والعياذ بك منه ـ أو الإلحاد؛ بل من خسَّة أنفسنا وحقارةِ حالِنا ودنُوِّ مقامنا .

٤٠٠) فمَثَلُنا كمَثَل الجُعَل، يحيى من نتن القاذورات ويموت عن طيب المسك، وهذا الحال الذي حكم فينا عدلُك وأثبت فينا قضاؤك ـ ولك الحجَّة علينا فيما حكمتَ به علينامن سوء هذا المقام ورداءة هذه الأحوال، إلاَّ أن يدركنا فضلُك وتُغيِّر حالَنا كما تفضَّلتَ على أوليائك فعرَّفتهم نفسَك وألزمتَهم محبَّتك فعرفوك وأحبُّوك ، وأقدرتهم بما امتنعوا به من مكائد عدوِّهم

واحترزوا من مصائده وتعلّقوا بحبلك وتمسّكوا بعروة وثاقك وتوسّلوا لك بولاية أوليائك، فقبلتَهم وقرّبتهم وأدّبتهم بأدبك فتأدّبوا .

٤٠١) فإنّا قد بقينا في أسرنا وذُلّنا ومهوانا، فإن ذكرناك بما يلوح لنا من عظمتك وكثرة نعمائك وحقِّ أدب حضورك في بعض حالاتنا وتأثّرتْ منه قلوبُنا بشيء يسير، يعترضه فوراً ماترسّخت في قلوبنا من إلف هذه العادات الكثيفة وأُنس هذه الملكات الخبيثة، ويعين هذه الخطرات في قلوبنا ويزيِّنها في نفوسنا عدوُّك وعدوُّنا، فيضلّنا عن طريق معرفتك ويزيلنا عن سبيل محبّتك، ولاينجينا من هذه المهالك ولا يخرجنا من تلك الظلمات إلاّ نور هدايتك وطلوع شمس معرفتك، حتّى يمحو عنّا ظلمات عوالم السجِّين وتجذبنا جذبات محبّتك إلى أعلى علّيين .

٤٠٢) فو عزّتك، لو تركتَنا وأنفسنا وخلّيت بيننا وبين عدوِّنا لهلكنا وأهلكنا ولعصيناك بكبائر ذنوبنا وقابلناك من هذه التكريمات بفضائح أعمالنا .

٤٠٣) فأنا عُبيدك ـ هذا الجاني ـ أُناديك من مهوى عالم الطبيعة وذلّ أسر قيود الأخلاق الرذيلة وأقول :

٤٠٤) وعزّتك وجلالك وعظيم سلطانك، لأعصينّك وأهلكُ نفسي وأهوى في دركات عوالم السجِّين وألحق بحزب الشياطين، إلاّ أن تعصمني؛ فإنَّ نفسي نشأت في هذه الدنيا الدنيَّة ولاعقل لي، وألفتْ بزخارفها واعتادتْ بشهواتها ولاتعرف جميلاً من قبيح، وأعانني على ذلك كبرائي ورفقائي وكلٌّ من رأيتُهم وعرفتُهم من بني نوعي حتى ترسّخت في نفسي هذه الملكات الخبيثة وألفتُ بهذه الرعونات وعوالم الطبيعة .

٤٠٥) ثمَّ وهبتَني العقل والعلم بعد تمكُّن آثار الجهل والملكات الخبيثة المكتسبة في مدَّة مديدة وحجبتَ عنِّي وجهَك وعوالم الغيب، ولم يقويا لضعفهما على

غلبة نفسي وشيطاني والتزكية من الصفات الرذيلة حتى بقيتُ في مهوى عالم الطبيعة أسيراً للنفس والشيطان، فأهلكا نفسي وروحي بالذنب والعصيان، وكيف بالذّكر والأدب لمن لا يعرفُ المذكور والحضور، بل ولايعرف الظلمات من النور .

٤٠٦) المشتكى إليك واللجوء إلى باب فضلك وكرمك من فضاحة هذه الأحوال ورداءة هذه المقامات .

٤٠٧) بل كيف النجاة وأين النجاة ـ من المقيَّد في سجن عالم الطبيعة والمكبَّل الأسير في باطل دارالغرور ـ إن لم تقذف في قلبه النور وجذبته إلى دارالخلود والسّرور والحبور ؟ !

٤٠٨) اللّهمَّ ـ يا سيِّدنا، يا إلهنا وخالقنا ومُنعمنا ـ ظلمنا أنفسَنا واعترفنا بذنوبنا ونقول قبل يوم القيامة : ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[غافر/١١] ؟! طمعاً في فضلك العظيم ومَنِّك القديم أن لاتبتلينا بقول ذلك يوم القيامة، وأن لاتجمع لنا ذلَّ الدارين؛ فبك إلى أوليائك في الشفاعة وبهم إليك في القبول توسَّلنا فارحمْنا ومنّ علينا بمعرفتك ومحبَّتك وأخرجنا من الظلمات إلى النور، فإن عرَّفتنا نفسَك أحببناك، وإن أحببناك أحرقت محبَّتُك كلَّ باطل وجهل وغرور، بل وكلَّ حجاب بيننا وبينك وكنَّا كماتحبُّ أن يكون عليه أحبَّاؤك.

٤٠٩) فإنَّا عبيدُك المضطرُّون إلى نيلك، بل جيرانك وضيفانك، وأنت الكريم الذي أدَّبت عبادك وأولياءك وكرهت للمضيِّف منهم أن يمنع ضيفَه القِرى ولو كان كافراً وإن كان الضيف ممَّن لايهلكه المنع والمضيِّف ممَّن ينقصه الإحسانُ، وأنت تعلم أنَّك متى ما منعتَنا قِراك بِتنا طاوين في حماك ووصلنا إلى الهلاك، يا من لاينقصه الإحسان ولايزيده الحرمان، فارحمنا وقد كان الذي كان .

[رجوع إلى مخاطبة القارئ]

٤١٠) هذا ؛ وأنت يا أخي وقرَّة عيني إن تأمَّلتَ فيما رسمتُ لك في التهجُّد بالصلاة والبكاء، وما بعثك هذه الجملة على القيام ورضيتَ بنفي التشيُّع عن نفسك وأن لا تكون منهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حيث قال العسكري عليه الصلاة والسلام[1] : «ليس منَّا من استخفَّ بصلاة الليل» .

٤١١) واخترت راحة النفس وطيب الرقاد على الخلوة مع الله جَلَّ جَلالُه الحبيب القريب والمجالسة معه والمناجاة معه والأنس معه وعلى كراماته السنيَّة البهيَّة ولم تتغيَّر من مطالعة هذه الأوراق حالك؛ فاعلم أنَّك في أحد الخطرين : إمَّا فقدان الإيمان بهذه الآيات والأخبار وإمَّا مرضَ قلبُك من حبِّ الدنيا و أوساخ الذنوب وظُلَم المعاصي و أكدار الشهوات، بحيث فسَد جوهرُه ـ كما يُفسد الأوساخُ الكثيفةُ إذا تراكمت جواهرالمرآئى ـ ولم يبق فيك خير ينجيك .

٤١٢) و إيَّاك و إيَّاك أن تغفل عن مثل هذا المرض المهلك ولا تعالج نفسك حتى يختم عليك بالشقاوة العظمى وخسرالدارين، و إيَّاك و إيَّاك أن تسوِّف بالعلاج والتوبة وقد ورد[2] : «إنَّ أكثر صياح أهل النار من التسويف» .

---

١) الجملة واردة ضمن التوقيع الذي كتبه الإمام العسكري عليه السلام إلى ابن بابويه قده، وحكي عن الاحتجاج، غير أنها غير موجودة في النسخ المطبوعة من الاحتجاج . وقد حكي عنه في مستدرك الوسائل : ٣/٦٤، ح٣٠٣٣ .

وأورده أيضا في خاتمة المستدرك (٣/٣٧٧) وحكى جملة من العلماء نقلوا الكتاب عن الاحتجاج وقال : «ولم أجده فيه، ولعل النسخ مختلفة» .

٢) جامع السعادات : ٣/٤٦ .

[كيف العلاج]

٤١٣) وإن كنت عاملاً به وساعياً ومراقباً ومجدّاً في تكميله وتصحيحه فعليك بالسعي في الستر والإخفاء والإخلاص وتلطيف المراقبة والمناجاة والإيثار بالمناجاة المؤثّرة وبعض المضامين اللطيفة المهيِّجة المُثيرة للأحزان والبكاء وحرقة القلب المشتملة للأدب اللطيف .

٤١٤) وهكذا من الأحوال والهيآت والحركات : من التمرُّغ في التراب والرماد ولبس المُسوح وكشف الرأس وحثو التراب على الرأس والجلوس على الرماد وغلّ الأيدي إلى الأعناق ـ لاسيَّما على هيأة غلّ أهل النار ـ والقيام تارةً والقعود أُخرى والسّجود ثالثة على الهيآت المختلفة من وضع الجبهة على الأرض ومسِّ الخدَّين والخرور على الأذقان والمشي على هيأة الهيمان ووضع الرأس على الجدران وتقريب النار من البدن وخطابات النفس ببعض خطابات الجليل أوالملائكة من قول : ﴿اخْسَؤوا فِيهَا وَ لاتُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون/١٠٨] .

٤١٥) وقول مالك : ﴿إنَّكُم مَاكِثُون﴾ [الزخرف/٧٧] .

٤١٦) وقول الفتّان : ﴿كَلاَّ إنَّهَا كَلِمَةٌ هَوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون/١٠٠] .

٤١٧) وقول الله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة/٣٠]

٤١٨) بل المكالمة مع كلّ واحد واحد من الأعضاء ـ والندبة عليها كقولك :

٤١٩) «يا عيني التي كنتُ في الدّنيا أحرسُك من الغبار القليل، كيف تكون حالُك في جهنَّم ونارها إذا ملئتَ منها ؟ ! أما كنتَ في الدنيا موحشةً من التوتيا ومتألِّمةً من الكحل، كيف حالك اليوم إذا كُحلتَ بمرود النار وضربوا عليك المسمار» .

٤٢٠) وتقول لرأسك : «يا رأسي الذي كنتُ في الدنيا أحميك من التكئة على القطن والصوف إلاَّ أن يكون متكأك من زغب الطيور وعوَّدتُك بزغب القو[١]، كيف حالك إذا ضربوا لك المقامع من الحديد المحماة من نار جهنَّم بأيدي ملائكة غلاظ شداد» ـ وهكذا .

٤٢١) فإن كان تأثُّرك من عوالم الشوق والمحبَّة أزيد من مراتب الخوف والشدَّة، فخاطِب نفسَك وقُل لها :

٤٢٢) «يا نفسي العزيزة، قدكنتُ في الدنيا ـ وهي دارالهوان ـ متعزِّزاً متجمِّلاً مستريحاً ناعماً، أُعانق النسوان وأُصاحب الشرفاء وأحكم في الناس وأستلذُّ بالملذِّذ، ولم يرض لي ربي بذلك حتى ندبني إلى كرامة يوم القيامة والسلطنة العظمى والخلافة الكبرى، بل لزيارة نوره وجماله وإلى كريم قُربه وجواره، فبدَّلتُ ـ أنا ـ بسوء اختياري الاقتران مع الشياطين من مرافقة الأولياء والصدِّيقين، واخترتُ مهوى عالم السجِّين من أعلى علِّيين وجوار حضرة ربِّ العالمين ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فى جَنْبِ اللهِ وَإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر/٥٦] ومن الهالكين» .

٤٢٣) فيا بُعداً لهذه الشهوات الدنيَّة الخسيسة، كيف منعتني عن هذه الملاذِّ العظيمة الجليلة الخطيرة، فيا بؤساً لهذه الشرافة العليلة الكليلة التي منعتني عن هذه الكرامات البهيَّة العليَّة ! وا أسفاه ! والهفاه ! هل من مُعين فيُعينني على البكاء والعويل والندبة على فوات هذا التشريف والتجليل وينوح معي أبد الأبد بتفويت هذه النعم الجميلة وتضييع هذه المواقف الكريمة الجليلة ؟

٤٢٤) يا إخواني من أهل المعصية والخسران اجتمعوا مع أخيكم على إقامة

---

١) «القو»ـ فارسيّة ـ من طيور الماء كالإوّز له زغب ناعم .

المآتم، ويا شركائي من أهل الكبائر والعصيان نوحوا مع شريككم على هذه المآثم، ويا أعواني على هتك أستار العبوديَّة وتضييع مكارم الربوبيَّة وبيع النعم الحقيقيَّة الباقية الخالدة بالشهوات القليلة الكاسدة الفانية الفاسدة، نوحوا مع رفيقكم على ما ضيَّعتم من الكرامة والرضوان ونعيم الجنان والحور والغلمان ـ كأنَّهم الجمان واللؤلؤ والمرجان ـ والبرِّ والإحسان والكرم والامتنان من اللطيف المنَّان؛ كم بدَّلتُم من عوالم النور والسرور والحبور بظلمات فوق ظلمات والمخازي والنكبات» ؟ !

٤٢٥) وبالجملة؛ تكون همَّته تحصيل حال الرقَّة ولطف المراقبة وإذاعلم المقصود وكان مجدّاً في تحصيله قد ينفتح له من وجوه حيَل الوصول إليه مطالب لم يلتفت إليه غيره، كما هو الشأن في أُمور الدنيا، فإنَّ النفس لاتحتاج في تحصيل وجوه الحيل للوصول إليه من معلِّم وإنَّما هو المعلِّم الخبير .

٤٢٦) فإذا عمل المريد بهذا الدستور وداوم بما يناسبه من الأذكار في بقيَّة أوقاته وجعل في يومه وليلته وقتاً معيَّناً للفكر ويكون فكره في أوَّل الأمرفي الموت، ولكن عن حاقِّ القلب ـ لاعن ظاهر القلب بحيث يقلُّ أثره ـ فإنَّ ذكر الموت دواء مؤثِّر لإحراق حبِّ الدنيا وإصلاح أغلب الأخلاق الرذيلة، وقد ورد في فضله والحثِّ عليه أخبار كثيرة :

٤٢٧) روي أنَّه سُئل رسول الله ﷺ : «هل يبلغ أحد درجة شهداء بدر» ؟ فقال ﷺ[1] : «الا من يذكر الموت في كلِّ يوم عشرين مرة» .

---

١) مستدرك الوسائل (١٠٤/٢، ح١٥٤٩، نقلا عن مجموعة الشهيد : ١٠٣) : «قيل : يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد» ؟
قال : «نعم ، من يذكر الموت بين اليوم والليلة عشرين مرة» .

[تفكُّر السالك في الموت]

٤٢٨) ولابأس بالإشارة إجمالاً إلى كيفيَّته، وهو أن يتفكَّر في أُمور منه :

٤٢٩) أوَّلها في إمكان تعجيله، ويكفي فيه التأمُّل اليسير في أحوال الذين يموتون فجأة وأنَّهم أيضاًقبل الموت كانوا لايحتملون أن يموتوا إلى سنين، فإذا جاء الأجل فنَت المهل، وكم من حيٍّ قويٍّ نشيط لايحتمل الموت ويتخيَّل لنفسه عمراً طويلاً ويبنى في أُموره بناء من يعيش مائة سنة، مات فجأة من ساعته؛ فإذا كان هذا ممكناً وواقعاً فما الذي أمَّننا منه ؟ !

[تفكُّر السالك في شدَّة الموت وعسره]

٤٣٠) وثانيها أن يتفكَّر في شدَّتها وسكرتها ووحشتها، ويكفي منه أن يتفكَّر فيما يصل إليه من آلام أوجاع أعضاء بدنه، فإنَّ في ملاحظة هذه الأوجاع كفاية لمن أراد أن يتعقَّل ألم الموت الذي قيل[١] : «هو لبعض الأشخاص نظير سُفُّود جُعل في صوف رطب ثمَّ جذب» ؛ وقيل[٢] : «كغصن كثير الشوك اُدخل في جوف واجتذب كلُّ شوكة بعِرق ثمَّ جذبه رَجلٌ شديد الجذب فأخذ ما أخذ وبقي ما بقي» .

٤٣١) وقيل[٣] : «إنَّه أشدُّ من نشرٍ بالمناشير وقرضٍ بالمقاريض» .

---

١) في إحياء علوم الدين (٦٧٣/٤، كتاب ذكرالموت ومابعده، الباب الثالث في سكرات الموت) : «وروي أنّ إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له : كيف وجدت الموت يا خليلي ؟ قال : كسفّود جعل في صوف رطب ثمّ جذب . فقال : أمّا إنّا قد هوّنّا عليك» .

٢) مرويّ عن كعب الأحبار قاله لعمر لما سأله أن يصف له الموت : حلية الأولياء : ٣٨٩/٥ .

٣) علل الشرايع : ٢٩٨/١، الباب ٢٣٥. معاني الأخبار : ٢٨٧، باب معنى الموت، ح١ .
بحارالأنوار : ١٥٢/٦، ح٦ .

٤٣٢) قيل[١] : «والعجب أنَّ الإنسان لو كان في أعظم اللذَّات وأطيب مجالس اللهو وكان ينتظر أن يدخل عليه جنديٌّ فيضربه خمس خشبات، لتكدَّرت عليه لذَّته وفسد عيشُه، وهو في كلِّ ساعة - بل في كل نفَس - بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع، وهو آمِنٌ في لهواته» .

٤٣٣) وليس هذا إلاَّ من جهة الجهل والغرور؛ لأنَّ المسكين لا يعرف درجة شدَّة هذه السكرات، لأنَّه لايعرفها - كنه معرفتها بالوجدان - إلاَّ من رآها، ولكن يمكن أن يُعرف بعض عوالمها تارةً من أخبار الأنبياء والأولياء - عليهم الصلاة والسلام - وتارةً ببعض الأقيسة العقليَّة .

٤٣٤) وأمَّا القياس الذي يشهد له فهو أنَّ كلَّ عضو لاروح فيه فهو لايحسُّ بالألم واذا كان فيه الروح وجَدَ الإحساس، فالمدرِك للألم هو الروح، فمهما وقع الجرح أوالحريق فبقدر سريان الألم إلى الروح يُتألَّم منه وذلك العضو الذي يسري من جرحه أو قطعه ألم إلى الروح إذا كان عضواً كبيراً و وقع الجرح على تمامه يشتدُّ الألم بالعيان، فإذا فرض جميع الأعضاء والعروق وقع عليه العذاب لابدَّ أن يكون سريان الألم إلى الروح أعظم وأشدُّ .

٤٣٥) ولو فُرض أن يَعرض للروح ألم مباشر بغير واسطة العضو، فلابدَّ أن يكون ألمه وعذابه شديداً جدّاً، فالموت إنَّما ينزل منه الألم بنفس الروح ويستغرق جميع أجزائه المنتشرة على الأعضاء والعروق والعظام، فإنَّ المنزوع مجذوب من كلِّ عِرق وعصَب وجزء ومَفصَل وأصل كلِّ شَعرَة وبشَرة - من الفرق إلى آخرأجزاء القدم- وهذا لامجال للسؤال عن شدَّته .

٤٣٦) ولذا قالوا : «إنَّه أشدُّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض» .

---

١) إحياء علوم الدين (٦٧٠/٤، كتاب ذكرالموت ومابعده، الباب الثالث في سكرات الموت) ومايتبعه من التفصيل أيضا مقتبس منه .

٤٣٧) ولذا ترى أنَّه قبل استكماله ينقطع عنه الأنين والاستغاثة ـ لأنَّه هدَّ كلَّ قوَّة من القوى، حتَّى هدَّ صوتَه ونفَسَه ـ بعدَ ما يُسمع منه الضجَّة والأنين والخوار والغرغرة، فإذا هدَّ كلَّ قُواها انقطع منه كلُّها؛ ألاترى كيف ترتفع الحدقتان وتتقلَّص الشفتان وترتفع الأُنثيان ويتقلَّص اللسان ؟ فياها من كربة بعد كربة ! وسكرة بعد سكرة ! حتَّى إذا بلغت القلوب الحناجر وينقطع النظر عن الأهل والأحباب، بل عن الضياء والنور .

٤٣٨) وأمَّا الأخبار؛ فيكفي منها ما في تفصيل موت من أخبر سلمانَ الفارسي المحمدي حين وفاته، وفيه[1] أنَّه قال : «يا سلمان، القرض بالمقاريض والنشر بالمناشير أسهل وأهون عليَّ من غصة واحدة من غصص الموت، وكنت أنا من أهل الخير والسعادة؛ فإذا جاء شخصٌ عظيم الجثَّة مهيب المنظر مابين السماء والأرض، فأشار إلى عيني ولساني وسمعي، فعميت وخرست وبكمت»ـ إلى أن قال : ـ«فقال ملك الموت : إبشر إنَّك من أهل الخير ودنى منِّي وجذب روحي، وكان كلُّ جذبة مكان كلِّ شدَّة تنزل من السماء إلى الأرض، وهكذا كان يجذب حتى بلغ إلى صدري، فإذا جذب جذبةً واحدةً شديدةً، بحيث لو وقعت على الجبال لذابت من شدَّتها، فأخرج روحي» ـ هذا .

٤٣٩) يا أخي، هذه الرواية قد انقضَّ ظَهرى، لأنَّ هذا الرجُل إنَّما كان من أهل الإيمان وأهل الخير ، فإن كان أمره بهذا المنوال فكيف يصنع من لا يطمئنُّ ـ بل لا يظنُّ ـ لنفسه خيراً ؟ !

---

١) راجع ما جاء في الفضائل لشاذان القمي : ٨٨ . بحارالأنوار : ٣٧٦/٢٢، ح١٣ .

[روايات في شدّة نزع الروح]

٤٤٠) وإن شئتَ أزيد من ذلك فاسمع بعضَ الأخبار في تفصيل شدَّة النزع للكفَّار .

٤٤١) وهو ما روي[(١)] عن المفيد ـ عليه الرحمة ـ بإسناده عن الباقر ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحاصله أنَّه إذا أراد الله عزّ وجلّ قبضَ روح الفاجر، أمَرَ ملكَ الموت «أن اذهب بأعوانك إلى عدوِّي الذي أنعمتُ عليه بصنوف نعمي ودعوته إلى دارالسلام فلم يجب دعوتي وكفر بنعمتي، وخُذْ بروحه الخبيثة وألقها في جهنَّم» .

٤٤٢) فيجيء ملك الموت إليه ووجهُه منقبضٌ مُهيبٌ مُظلمٌ مثل الليل المظلم ونفَسه مثل لهب النار وعيناه مثل البرق الخاطف وصوته مثل الرعد القاصف، رأسُه في السماء ورِجلاه في الهواء، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، وبيده سُفُّود له شُعب كثيرة، مع خمسمائة من الملائكة، وبيد كلّ واحد منهم سوط مشتعل وحلس سود[(٢)] وجمرةٌ من نار جهنَّم، ومنهم السقاطيل[(٣)] من خزَّان جهنَّم، فيدنو منه، فيسقيه شربة من شراب جهنَّم، فإذا رأى هذا الفاجر هذا التفصيل يحار لُـبُّه ويستغيث ويقول : «ردُّونى إلى الدنيا» ويجاب : ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمن/١٠٠] .

٤٤٣) فيضربه بالسفُّود الذي بيده ويجذب به روحَه من طرف رجليه، حتى يبلغ

---

١) الاختصاص : ٣٥٩، باب صفة النار، اقتباساً وتلخيصاً . عنه بحار الأنوار : ٣١٨/٨، ح٩٩ .

٢) كذا في النسخة ووضع فوقه (ز) علامة الزائد، وفي المصدر : «معه خمسمائة ملك أعواناً، معهم سياط من قلب جهنّم تلتهب تلك السياط وهي من لهب جَهنم ومعهم مسح أسود وجمرة من جمر جهنَّم» .

٣) كذا . وفي المصدر : ثمّ يدخل عليه ملك من خزّان جهنم يقال له سحقاطيل» .

ركبتيه ولم يقدر على الحركة أمَرَ أعوانَه أن يضربوه بأسواطهم ويُذيقوه سَكرات الموت، حتّى إذا بلغت روحُه إلى حلقومه يضربونه بالأسواط ويقولون له: ﴿أخْرِجُوا أنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام/٩٣] و إذا أخرجوا روحَه يضعون بدنَه في مطرقة ويكسِّرونه من أطراف أصابعه إلى حدقتيه فيخرج منه ريح مُنتنة يتأذّى منه أهل السماوات، فيلعنه الله وجميعُ أهل السماوات» ـ إلى آخر الرواية.

٤٤٤) ومنها أن تتفكّرفي أنّه للأولياء أوّل راحة وأوّل سرورٍ وبهجةٍ وألذّ لذّة؛ ويعلم ذلك أيضاً إمّا بما أخبر به الأنبياء والأئمّة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وبما شُوهد من شوق المحبِّين لله إليه وإظهار شوقهم له.

٤٤٥) وأمّا الأخبار فهي كثيرة، يكفى منها ما في حديث المعراج الذي رويتُه سابقاً[1].

٤٤٦) وأمّا إظهار شوق الأنبياء والأولياء يكفيك منها قول أميرالمؤمنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ[2]: «[والله] لابن أبي طالب آنسُ بالموت من الطفل بثدي أُمِّه». وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حقّ خواصِّ شيعته[3]: «لولا الآجال التي كتب الله لهم لماتوا شوقاً إلى الله والثواب».

---

١) مضى في الرقم: ٩٩ـ١٠٠.

٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥.

٣) نهج البلاغة (الخطبة: ١٩٣، يصف عليه السلام فيها المتقين) وجاء فيها: «ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب».

[ما ينفع المتوسِّطين هو الفكر في معرفة النفس]

٤٤٧) وهذا الفكر للمبتدئين نافع جدّاً وأمّا للمتوسِّطين ـ الذين لاحت لهم بعض أسرار الكون وألقوا بعض الحجُب الظلمانيَّة ـ ففكرهم في معرفة النفس حتَّى ينكشف عنهم الحجب الظلمانيَّة كلُّها حتى حجاب الخيال والصور وتتجلَّى لهم نفسهم وحقيقتهم بلا مادَّة وصورة، فإذا حصل لهم هذه المرتبة الجليلة وفازوا بذلك المقام الجليل، انفتح لهم الباب إلى معرفة الربِّ وينكشف لهم حقائق العوالم ـ لاسيَّما عوالم المبدء ـ ويرى نفسَه بلامادَّة ولاصورة .

[عوالم الإنسان ثلاثة]

٤٤٨) وتفصيل هذا الاجمال بتقريرٍ يمكن أن يقال هو أنَّ الإنسان له عوالم ثلاثة[1] : عالم الحسِّ والشهادة ـ أي عالم الطبيعة ـ وعالم الخيال والمثال وعالم العقل والحقيقة .

٤٤٩) فمن جهة أنَّ إنيَّته الخاصة إنَّما بدأت من عالم الطبيعة كما في الآية الكريمة المباركة : ﴿وَ بَدَءَ خَلْقَ الأنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[السجدة/٧] صار عالمه هذا له بالفعل وعرف نفسه وحقيقته بعالمه هذا، بل لو سمع من عارف أو عالم عالَميه الآخرين أنكره، بل لو أخبره أحدٌ بصفات عالمه العقلي لكفَّره، وذلك لأنَّ عالمه الطبيعي له بالفعل وعالميه الآخرين بالقوَّة ولم ينكشف له بالكشف التامِّ إلاّ عالم الطبيعة وآثار من عالم المثال وشيء قليل من عالمه العقلي .

---

١) نسخه : منه بدلا من ثلاثة .

٤٥٠) والدّاء العضال أنّه من جهة اختلاط آثار العالم المثالي وإشراق بعض آثار العالم العقلي أخطأ في معرفة عالمه الطبيعيِّ أيضاً .

٤٥١) فكيف كان، فإنسانيَّة الإنسان إنَّما هو بعالمه العقلي، وإلاَّ فهو مشترك مع سائر بني جنسه من الحيوان في عالميه الآخرين ـ وإن كان عالماه الآخران أيضاً من جهة المرتبة أشرف من عالمي سائر الحيوانات .

٤٥٢) وبهذه العوالم الثلاثة وترتيبها وقع التلويح ـ بل التصريح ـ في دعاء سجدة ليلة النصف من شعبان عن النبي ﷺ حيث قال فيها[1] : «وسجَدَ لكَ سَوادي وخَيالي وبَياضي» .

٤٥٣) وبالجملة؛ فعالمه الحسِّي عبارة عن بدنه الذي له مادَّة وصورة، وعالمه المثالي عبارة عن عالمه الذي حقائقه صورٌ عارية عن الموادِّ، وعالمه العقلي عبارة عن عالمه الذي هو حقيقته ونفسه بلامادَّة ولاصورة؛ ولكلٍّ من هذه العوالم لوازم وآثارٌ خاصَّة لازمةٌ لفعليَّتها .

[المنغمرون في عالم الطبيعة]

٤٥٤) فمن انغمر في عالم الطبيعة وتحقَّقت بآثارها وتحركت بحكمها وضعفت فيه آثار عالمه العقلي، فقد ﴿أخْلَدَ إلى الأرْض﴾ [الأعراف/١٧٦] وصارموجوداً بما هو حيوان، بل أضلُّ من الحيوان، كما هو صريح قوله تعالى : ﴿إنْ هُمْ إلاَّ كَالأنْعَام بَلْ هُمْ أضَلُّ﴾ [الفرقان/٤٤] .

٤٥٥) و من ترقَّى إلى العالم العقليِّ وغلبت آثاره على آثار عالميه الطبيعي والخيالي وكان الحاكم في مملكة وجوده العقل يصير موجوداً روحانيّاً حتَّى

---

١) مصباح المتهجّد : ٧٧٠، صلاة ليلة النصف من شعبان . وسائل الشيعة : ١٠٨/٨، ح١٠١٨٨ .

يتكامل في العقلانيَّة وانكشفت له حقيقته ونفسه وروحه، فإذا ترتفع عنه الحجُب الظلمانيَّة [بل النورانيَّة ـ أو غالبها ـ] بينه وبين معرفة الله ﷻ ويتحقَّق في حقِّه قول رسول الله ﷺ : «من عرف نفسه» ـ اه ـ[1].

٤٥٦) وإذا تمهَّد لك هذه الإجماليَّات فراجع إلى تفصيل لوازم كلِّ عالم من العوالم واشتغل بتدبير السفر وتوكَّل على الربِّ الرحيم واستعن منه وتوسَّل بأوليائه في كلِّ جزئيّ وكليّ من شؤنك .

٤٥٧) واعلم أنَّ هذا العالم الحسِّي هو عالم الموت والفناء والفَقْد والظلمة والجهل، وهو ذات مادَّة وصورة سائلتين زائلتين دائم التغيُّر والانقسام، ولاشعور له ولا إشعار إلاَّ بتبعيَّة العالمين الآخرين ؛ وإنَّما ظهوره للحسِّ بتوسُّط الأعراض من حيث وحدته الاتِّصاليَّة، وأمَّا من حيث كثرته المقداريَّة المتجزّأة عند فرض القسمة، فكلٌّ واحد من الأجزاء معدومٌ عن الآخر ومفقود عنه، فالكلُّ غائب عن الكلِّ ومعدوم عنه، وذلك من جهة أنَّ المادَّة مصحوبة بالعدم بل هو جوهر مظلم وأوَّل ما ظهر من الظّلام .

٤٥٨) ولأنَّها في ذاتها بالقوَّة وبمالها في أصلها من عالم النور تقبل الصور النوريَّة وتذهب ظلماتها بنور صورها، فهذه النشأة اختلط نورها بظلامها وضعف وجودها وظهورها، ولضعفها احتاجت إلى مهد المكان وظئر الزمان، وأهلها المخصوصون بها أشقياء الجنِّ والإنس والحيوان والنبات والجماد ؛ وفي الحديث القدسي[2] : «ما نظرت إلى الأجسام مذ خلقتُها» .

٤٥٩) وهم اللذون علومهم مختصَّة بهذا العالم، و ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم/٧] .

---

١) مضى في الرقم ٦٢.

٢) استشهد به صدرالمتألهين في المبدء والمعاد : ٧٣٦، الفن الثاني، المقالة الثالثة، الفصل ١ .

٤٦٠) ولم يتجاوزعلمُهم عن المحسوسات ولم يعرفوا من العوالم العالية إلاّالأسماء وكلّما سمعوا حكاية منها قدَّروا له لوازم عالمهم وأنكروا ما يقال لهم من لوازم غير عالمهم .

٤٦١) وبالجملة؛ مرعاهم ومأنسهم ووطنهم هذا العالم المحسوس وملاذُّهم ومقاصدهم كلُّها من مألوفات هذا العالم، وهم الذين قلنا إنَّهم من الذين أخلدوا إلى الأرض وهم الذين يعتقدون أنَّ أنفسهم هوهذا البدن وأرواحهم هي الروح الحيواني وأنَّ الجماد كلُّها موجودات متأصِّلة متحقِّقة وجواهر قائمة بذواتها مخلوقة في عالمها وحيِّزها وأنَّ موجودات العوالم الأُخر ـ على القول بها ـ موجودات اعتباريَّة خياليَّة لا حقيقة لها ، وأنَّ اللذَّة إنَّما هي في المأكل والمشرب والمنكح وجاه هذا العالم، وذكرهم وفكرهم وخيالهم وآمالهم وعلومهم كلُّها متعلِّقة بالمحسوسات وأُنسهم بها؛ يحبُّونها ويستأنسون بها ويشتاقون لما لم يصلوا إليه من زخارفها وحُلوها وخضرتها، بل يعشقونها وشغفَهم حبُّها كالعاشق المستهتر .

٤٦٢) فمن كان منهم مع ذلك مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولكن بإيمان مستقرٍّ ـ غير زائل عند الموت لضعفه وقلَّة نوره وشدَّة ظلمة المعاصي ـ وخلَطَ مع ذلك عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً أُولئك ممَّن يُرجى له المغفرة ـ ولو بعد حين .

٤٦٣) وأمَّا الطائفة الأُولى فهم الأشقياء الكافرون، ليس لهم في الآخرة إلاَّ النار، لأنَّهم من أهل السجِّين ويوم القيامة إذا ميِّزت الحقائق والتحقت الفروع بالأُصول التحق ما في هذا العالم من النور إلى عوالمه وبقي ظلمتها ونارها وتبدَّلت صور كلّ واحد من الأفعال والأخلاق بما يناسب عالم القيامة من الحيَّات والعقارب، وعذّب بها فاعلُها ومختلقها .

٤٦٤) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ [هود/١٥ـ١٦] .

٤٦٥) ولو فرض لهم عمل خير يوفَّ إليهم في حياتهم الدنيا أو يُنقص بقدره من عذابهم في الآخرة .

[منازل سير الإنسان]

٤٦٦) وبالجملة؛ إنَّ الإنسان لما خُلق ابتداء من هذه الأرض فإن بقي فيها بعد ما خلق فيه الروح والعقل واستأنس بها وألف لذَّاتها كان ممَّن ﴿أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ﴾ فيوم القيامة **يلتحق بالسجِّين** .

٤٦٧) وإن خلص منها بعد ذلك بمعنى أن تحقَّق بآثار العقل والروح وصار جسداً عقلانيّاً وهيكلاً نورانيّاً فيوم القيامة **يرتقي إلى علِّيين** .

٤٦٨) وبعبارة وضحى خلق الله الإنسان ـ في أول ما خَلق ـ مِن سُلالةٍ من طِين وبقي مدَّة في صورة السّلالة والنّطفة والعلقة والمضغة والعظم واللّحم[١] ، ثمَّ أعطاه الحياة وبقي حيّاً إلى أن وهبَه قوَّة الحركة والبطش، وبقي على ذلك حتَّى وهبَه قوَّة التمييز بين النافع والضارِّ فأراد النافع وكره الضارَّ ؛ فإن اتَّبع إرادتُه لإرادة الله جَلَّ جَلالُهُ في جميع حركاته وسكناته ولم يبق له إرادةٌ مخالفةٌ لإرادته تعالى، فهذا **مقام الرضا**، وهذا الشخص دائماً يكون في الجنَّة ولهم فيها ما يشاؤون ولذلك كان اسم خازن الجنَّة «**الرضوان**» .

---

١) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فى قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون/١٢ـ١٤] .

٤٦٩) وفي حديث المعراج أنَّ الله [تعالى] قال[1] : «فمن عمل برضائي ألزمتُه ثلاث خصالٍ : أُعرِّفه شكراً لايخالطه الجهلُ وذكراً لايخالطه النسيانُ ومحبَّة لايؤثر على محبَّتي محبَّةَ المخلوقين» .

٤٧٠) ثمَّ إن عرف أنَّ قدرته منتفية في قدرة الله ولم يرَ قدرة لغيرالله ـ لا لنفسه ولا لغيره ـ فهو **مقام التوكُّل**[2] ﴿وَمَنْ يَتوكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق/٣] .

٤٧١) ثمَّ إن وفِّق مع ذلك أن يفنى[3] علمه أيضاً في علم الله لئلاَّ يكون بنفسه شيئاً، فهذا **مقام الوحدة** ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [مريم/٥٨] .

٤٧٢) فإن تبع إرادة نفسه وعمل في حركاته وسكناته بهواه ـ والحقُّ لا يتَّبع هوى غيره ـ فيخالف هواه مع هوى الحقِّ، فيكون هوى الحقّ ولا يكون هواه ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ/٥٤] إلى أن يوصله الهوى إلى الهاوية ويقيِّده بالأغلال والسلاسل في جميع مراداته وهذا شأن المماليك بالنسبة إلى مراداتهم، ولذلك سمِّي خازن جهنَّم «**مالكاً**» .

٤٧٣) وإن تخلَّف عن التوكُّل يقع في **الخذلان** وإن تخلَّف عن جليل مرتبة الوحدة رُدَّ إلى سفلى الدّركات وهي **دركة اللّعنة** ﴿أولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة/١٥٩] .

٤٧٤) **فإن قلت** : كيف يمكن أن يتبِّع الإنسان إرادته كلَّها في إرادة الله ؟!

٤٧٥) **قلت** : يكون هذا ويسهل بقوَّة المعرفة، فإن عرف العبدُ عناية الله وكان

---

١) إرشاد القلوب : ٣٨٠/١ .

٢) يظهر أنّ المؤلّف ـ قده ـ يريد تعريف المقامات ـ لا ترتيبها ـ لأنّ مقام الرضا فوق مقام التوكّل على مايظهر .

٣) نسخة : ينفى .

عاقلاً لايشذُّ عنه إرادة مخالفة لإرادته تعالى[١]، لأنَّ معرفة عناية الله يحكم بأنَّ الله لايريد في حقّه إلاَّ الصلاح ـ والعاقل لايتحرَّك إلاَّ للصلاح و الإصلاح ولايرضى لغير صلاحه ـ فينتفي مادَّة إرادته المخالفة، لأنَّ الإرادة إنَّما تنبعث من العلم بالصلاح، و إذا علم أن لاصلاح في غير ما أراده الله فلايوجد الإرادة .

٤٧٦) و إن قلت : كيف يمكن نفي القدرة عن غير الله، والوجدان حاكم بقدرة نفسه وقدرة غيره ؟!

٤٧٧) قلنا : ذلك أيضاً يتَّضح بعد المعرفة بواقع الأمر؛ وإجمال ذلك أنَّ العارف يقطع أنَّه لايوجد ممكنٌ إلاَّ من علَّة، وهكذا إلى أن ينتهي إلى علَّة العلل، فأفعال العبد إن فرضت صدورها عن قدرته فقدرتُه لامحالة ليست صادرة إلاَّ من علَّتها، وهي إرادة الله؛ فلايكون مقدوره إلاَّ بيد غيره، فهو في قدرته غير قادر والقادر الحقيقي إنَّما هو الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان/٣٠] .

[لاوجود حقيقة إلا لله تعالى]

٤٧٨) وإن قلت : هبْ أنَّ الإرادة والقدرة لاتوجد حقيقتُهـ«مـ»ـا إلاَّ في الله، فكيف الحكم بنفي العلم والوجود عن غيره تعالى ؟

٤٧٩) قلت : فيالها قصَّة في شرحها طول وفي بيانه[٢] خطر؛ ولكن يختلج ببالي أن أستعين في ذلك بالله تعالى وأشرح هذا المطلب بما يلقي إليَّ الله جلّ جلاله في بيانه بالألفاظ السهلة المتعارفة بين أهل العرف العامّ، لعلَّ يعمّ نفعها ويقلّ

---

١) كتب في النسخة فوق «فان عرف العبد ...لارادته تعالى» علامة الزائد .

٢) كذا، فلعل الضمير راجع إلى الشرح، وإلا فالصحيح «بيانها» .

خطرها لأنَّ أغلب أهل العلم ينفرون عن اصطلاحات أهل المعقول وأغلب الناس لايعرفونها؛ **فنقول مقدمة :**

٤٨٠) ليُعلم أوّلاً أنَّ كلمات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أيضاً مشحونة عن نفي الوجود والحقيقة عن بعض الموجودات مثل قولهم : «لا حول ولاقوَّة إلاَّ بالله» وقولهم : «الحمد لله» وقولهم : «لاضارَّ ولانافع ولاناصر ولامعين إلاَّ بالله» والعيان شاهدة بما يراه كافَّة الناس من الحول والقوَّة والخير والضرِّ والنفع والنصرة والإعانة في العالم من المخلوقات .

٤٨١) بل وفي الرواية : كان النبيُّ ﷺ كثيرا مَّا يقول[1] : «أصدق شعر قالته العرب، قول لبيد : ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ»[2] .

٤٨٢) والعالم كلُّه شاهدٌ على خلاف ظاهر الرواية .

٤٨٣) ولأهل الحكمة والعرفان في هذا الميدان كلماتٌ وتحقيقاتٌ وتفصيلاتٌ ودلالاتٌ متكثِّرةٌ وحكاياتٌ ومكاشفاتٌ عجيبة .

٤٨٤) ولأهل السلوك إشكالات وتوهُّمات وتنقُّلات مختلفة ولبعض المنتسبين

---

١) البخاري : ٥٣/٥، باب أيّام الجاهليّة . مسلم : ١٧٦٨/٤، كتاب الشعر، ح٢ـ٩ . وتمام البيت : «وكل نعيم لامحالة زائل» .

٢) جاء في هامش النسخة : «قال الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتاب التوحيد [التوحيد : ٢٠٩، باب أسماء الله تعالى] فى معنى «الفرد» : «إنَّه المتفرِّد بالربوبيَّة دون خلقه، ومعنى ثان أنـَّه موجود وحده لا موجود معه»ـ انتهى ـ منه قدس سره .

في ربيع الأسابيع في دعاء ليلة الخميس [مصباح المتهجّد : ٤٣١، دعاء ليلة الخميس . بحارالأنوار : ٢٠٤/٩٠] : «لايُرى فيه إلاَّ نورك ولايسمع فيه إلاَّ صوتك» .

في توحيد الصدوق ـ رحمه الله ـ [التوحيد : ١٤١، ح . وجاء في المحاسن : ٢٤٢/١، مصابيح الظلم،ح٢٢٨، مع اختلافات لفظية] عن أبي جعفر عليه السلام :«كان اللهُ ولاشيء غيره، نوراً لاظلام فيه وصادقاً لاكِذب فيه وعالماً لاجَهل فيه وحيًّا لاموت فيه؛ وكذلك هو اليوم، وكذلك لايزال أبداً» .

إلى العلم بيانات مُضحكة ولبعضهم ردٌّ وتكفيرٌ وتفسيرٌ[١] وخطاءٌ وتخطئةٌ موحشةٌ .

٤٨٥) فالذي يمكن تقريبه إلى الأذهان العامَّة المستقيمة بدلالات ظاهرة غير عميقة أنَّ الحقَّ تعالى جَلَّ جَلالُهُ لا إشكال في كون وجوده الخارجي غيرمحدود بحدّ وغيرفاقد لكمال، وأنَّه موجود في كلِّ مكان وزمان، وجوداً حقيقيّاًخارجيّاً .

٤٨٦) وهذه التصديقات لا أظنُّ [أن] يخالف فيها مُسْلِم؛ وأمَّا الشيعي فاتِّفاقهم على ذلك ممَّا لاريب فيه .

٤٨٧) وتصوير هذه التصديقات مع ما يتراءا من وجود العالم - جواهره وأعراضه - لا إشكال في إشكاله على من له أدنى فهم؛ لأنَّ معنى تصديق موجود خارجيّ غير محدود في مرتبة من مراتب الوجود ملازمٌ للتصديق بأنَّه لاشريك له في الوجود، لأنَّ الشريك في الوجود الخارجي - و إن كان محدوداً - من جهة أنَّه واجد مرتبة من مراتب الوجود الخارجي لا يلائم وجودَ موجودٍ خارجي آخر غير فاقد لمرتبة من مراتب الوجود الخارجي، لأنَّ المفروض أنَّ غير المحدود جزئيٌّ حقيقيٌّ ووجوده الخارجيٌّ غير محدود بحدٍ، أي غير فاقد لشيء من مراتب الوجود الخارجي .

٤٨٨) فلأجل ذلك انقسم القائلون بالتصديقات المذكورة - مع ما يرونه من وجود العالم في الخارج - إلى طوائف :

٤٨٩) **قال بعضهم** : «إنَّ العالم وجوده ليس وجوداً حقيقيّاً، بل وجودٌ اعتباريٌّ ظِلِّيٌّ ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [النور/٣٩] » .

٤٩٠) **وقالوا** : «وجود الحقِّ يساوق بالفارسية بلفظة : «بود» ووجود العالم

---

١) كذا في النسخ، والأظهر أن الصحيح : تفسيق .

بلفظة: «نمود»، بل كلُّ ما يُرى ويُتخيَّل ويُتعقَّل من العالم فهو من أسماء الله وصفاته وأفعاله، وليس في الوجود إلاَّ الله وأسماؤه وصفاته وأفعاله؛ وبعبارة أُخرى: «ليس إلاَّ الحقّ وشؤونه» ومثَّلوا لذلك بأمثلة كثيرة».

٤٩١) وقال الآخرون بأنّا إنّما نقول بهذه التصديقات تعبُّداً ولكن نرى وجود العالم بجواهره وأعراضه، وجداناً وعياناً؛ وليس لنا أن نتعقَّل تصوير غير محدوديَّته تعالى وأنَّه كيف هو وأنَّه كيف يتصوَّر ذلك مع وجود العالم؟ ونحن غير مكلَّفين بذلك، بل منهيُّون عن الفكر فيه والبحث عنه.

٤٩٢) وبعضُهم لم يتصوَّروا من الوجوَد إلاَّ الذهنيّ والاعتباري، ولم يروا مناقضة بين التصديقات ووجود العالم.

٤٩٣) وبعضهم استراحوا رأساً بأنَّ معرفة صفات الله غير ممكنة لأحد من المخلوقين - ولو كان من الأنبياء عليهم السلام - لأنَّه تعالى منزَّهٌ عن أن يُعرف أسماؤه وصفاته ولو إجمالاً.

٤٩٤) وأورد الكلُّ على الأوّلين بأنَّ قولكم بأنَّ «وجود العالم ليس وجوداً حقيقيّاً» يستلزم الكُفر؛ لأنَّه قولٌ بأنَّ «كلَّ شيء هو الله» وهذا من جهة أنَّه قول بالاتّحاد كفرٌ صريحٌ مخالفٌ للتوحيد، وأنَّ هذه الجبال الرواسي والحديد الذي ﴿فِيهِ بَأسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد/٢٥] كيف يمكن أن يقال: إنَّ وجودهما ليس حقيقيّاً، بل هي مرايا وظلال وخيال، بل شؤون؟ وكيف يمكن أن يقال: إنَّ الأعيان النجسة - بل النفوس الخبيثة - من أسماء الله وصفاته وأفعاله؟ وإنَّه إن كان كما يقولون، فكيف اللذّات والآلام؟

٤٩٥) وأُجيب عن الأوَّل بأنَّ نفي الوجود الحقيقي عن الأشياء ليس قولاً بأنَّ «كلَّ شيء هو الله» وليس قولاً بالاتّحاد.

٤٩٦) وحُكي[1] أنَّ حكيماً كان في أصبهان وكان من دأبه أنَّه إذا حضَرَ وقتُ غذائه يُرسل خادمَه يشتري له ولمن كان عنده ـ كائناً من كان ـ غذاء يأكل معه، واتَّفق في يوم أن جاءه واحدٌ من طلاَّب البلد لحاجةٍ وقت الغذاء، فقال الحكيم لخادمه: «اشتر لنا غذاء نتغذّي» وذهب الخادم واشترى لهما غذاء وأحضره.

٤٩٧) قال الحكيم للفاضل: «بسم الله، تعال نتغذّى».

٤٩٨) قال الشيخ: «أنا لا اتغذّى».

٤٩٩) قال: «تغذَّيتَ»؟ قال: «لا».

٥٠٠) قال: «لم لاتتغذّى وأنت ما تغذَّيتَ قبلُ»؟ قال: «أحتاط أن آكل من غذائكم».

٥٠١) قال: «ما وجه احتياطك». قال: «سمعت أنَّك تقول: بوحدة الوجود وهو كفرٌ وإلحاد[2]، ولايجوز لي أن آكل من طعامك معك لأنَّه ينجس من ملاقاتك».

٥٠٢) قال: «ما فرضتَ أنتَ معنى وحدة الوجود وحكمتَ بكفر قائله»؟ قال: «من جهة أنَّ القائل به قائلٌ بأنَّ كلَّ الأشياء وجميع الموجودات الله»؟

٥٠٣) قال: «أخطأتَ، تعال، تغذّ، لأني قائلٌ بوحدة الوجود ولا أقول: بأن «جميع الأشياء الله» لأنَّ من جملة الأشياء جنابُك وأنا لا أشكُّ في كونك بدرجة الحمار أو أخسّ منها، فأين القول بإلهيَّتك؟ فلا احتياط ولاإشكال، تعال، تغذّ».

---

١) حكي ذلك عن الآغا جمال الخوانساري.

٢) كتب في النسخة فوق كلمة «الحاد» علامة الزايد.

[الوحدة غيرالاتحاد]

٥٠٤) وبالجملة؛ نفي الوجود عن الموجودات ليس قولاً باتّحاد الموجودات مع الله تعالى، والوحدة غيرالاتّحاد، لأنَّ الاتّحاد لايكون إلاّبين شيئين، وهو لايوافق القول بالوحدة.

٥٠٥) **فإن قلت**: ولو سلَّمنا أنَّ هذا اللفظ لايلائم الاتّحاد ولكن تفسيرهم ذلك في كلماتهم المفصَّلة إنَّما يعطى ذلك، وهوقول القائل: «ليس في الدار غيره ديَّار» وقول القائل: «إنَّ الأعيان حدود وأعدام وليس في الخارج إلاّ الوجود وهو الله تعالى» وتمثيلُهم بالبحر وأمواجه.

٥٠٦) **قيل في جوابه**: مرادهم من هذه الألفاظ أنَّه ليس لها من جهة أنفسها وجودٌ، أي لو فرضت حقائقها -لاوجوداتها- فهي اعتبارات وأعدام.

٥٠٧) **فإن قلت**: لانسلِّم كون مرادهم ذلك، لأنَّهم يقولون: «إنَّها بعد الموجوديَّة أيضاً ليست إلاّ أعداماً وحدوداً للوجود».

٥٠٨) **قلت**: مرادهم أنَّ الماهيَّات لايمكن أن تتَّصف بالوجود الحقيقيّ والوجود الحقيقيُّ الخارجيُّ هو شيءٌ أحديُّ المعنى، لايتصوَّر له شريكٌ في تلك الحقيقة، وهو واحدٌ لا يمكن أن يكون اثنين؛ والحقائق والأعيان حقائقها عبارة عن شؤون هذا الوجود والموجود الحقيقي؛ وإنَّك من جهة أنَّك لاتعرف الوجود الحقيقي تتخيَّل أنَّ هذا الوجود الذي تراه لنفسك ولغيرك - من الظهور والكون - هو وجودٌ حقيقي، كما أنَّك تتخيَّل أنَّ جواهر العالم جواهر ولكنَّك إذا تأمَّلت بالتأمُّل الصحيح أو انكشفت لك حقيقة الأمر بالكشف الشهوديّ، ترى أنَّ الجواهر كلَّها أعراضٌ وأشكال للوجود الحقيقي، بل هي أعراض وحدود للوجود المنبسط الذي هو أيضاً شأنٌ من شؤون الوجود الحقيقي وأمر ارتباطي لا تأصُّل [له] حقيقةً.

٥٠٩) **فإن قلت**: كيف يمكن أن يقال بذلك ووجودات الجواهر حسِّيَّة وكونها جواهر[اً] عقليٌّ؟ لأنَّ الجوهر والعرَض معنيان يعرفهـ[ـمـ]ـا العقل، ولكلٍّ في الخارج مصداقٌ حسِّيٌّ مطابق للمعنيين، والعقل إنَّما انتزع المعنيين من المصاديق الخارجيَّة، وأنت في قولك ذلك تخطأ العقل والحسَّ، وليس لنا وراء العقل والحسِّ أمرٌ نحكم به على الأشياء.

٥١٠) **قلت**: أمَّا قولك بأنَّ «مصاديقهما تدرك بالحسِّ» فهو لاينفع في تحقيق كونهما جواهراً وأعراضاً حقيقيَّةً أو غير حقيقيَّةً.

٥١١) وأمَّا قولك: «إنَّ العقل يحكم للجواهر بالجوهريَّة» فهو حقٌّ، إلاَّ أنَّه بعد النظر الصحيح لايحكم إلاَّ بكونها جواهر نسبيَّة بالنسبة إلى أعراضها، ولايحكم بكونها جواهر حقيقيَّة، لأنَّه لايشكُّ بعد النظر الصحيح [في] أنَّه لاقوام لشيء من الموجودات إلاَّ بالله الحيِّ القيُّوم، وقد قامت به السّماوات والأرضون كلُّها وهذه الجبال الرواسي الثقال إنَّما تحسُّ موجودة متَّصفة بالجوهريَّة، بل الحسُّ لايرى معها في محلِّها شيئاً آخر، ويراها جامدة ساكنة، [لكنَّها] كلّها من خطإ الحسِّ، يحكم العقلُ بخطائها ويوضح ذلك لأهلها بحيث لايشكُّون في أنَّها ليست جواهر حقيقيَّة وليست جامدة، بل سيَّالة متحركة مظلمة، بل كلُّها غائبة عن نفسها وعن جيرانها من الأجسام؛ وخطأ الحسِّ ليس أمراً غريباً، بل له أمثلة ومصاديق معروفة في الخارج، بعضها وإن كانت خفيَّة لعقول العامَّة ولكنَّ بعضها الآخر تدركه العقول العامَّة الناقصة أيضاً.

٥١٢) **فإن قلت**: إن كانت الإنِّيَّات والماهيَّات أعداماً وحدوداً ليس لها وجود حقيقيٌّ ـ ولوبعد الإيجاد ـ فكيف اللذَّة والألم، وهما وجدانيَّان لايمكن إنكارهما وجواب مُنكرهما إنَّما هو بالضرب والإيلام.

٥١٣) **قلت** : أمّا وجود اللذّة والألم الوجدانيِّين، فلاننكره ولاغيرهما من آثار الموجودات الخارجيَّة أيضاً، ولكنَّه لايستلزم أنيكون وجودهما ووجود واجدهما وجوداً حقيقيّاً، بل نقول : إنَّ هذا الوجدان والآثار الوجدانيَّة إنّما هي من آثار الوجود الربطي والأمر الشأني، فإنَّك إذا فرضت أنَّ لأشكال هذه الأجسام إنِّيَّةً وحياةً ولذّة وألماً من بعض حالاتها، ترى أنَّ الوجود الشكلي لاينافي اللذَّة والألم، بل إذا تأمَّلت بالنظر الصحيح ترى أنَّ ذي الشكل أيضاً ـ في التحقيق العقلي ـ ينحلُّ إلى أشكال وحدود فى الوجود المنبسط، وهو أيضاً من شؤون الوجود الحقيقي وتجلٍّ من تجلّياته وظهور من ظهوراته؛ ولا تستبعد ذلك، فإنَّ كمال الوجود الحقيقي بحيث يكون أوجب لشؤونه هذا الشأن العظيم، فإنَّ لشؤونه شؤوناً أُخرى أيضاً غير مارأيت وغير ماخطر بقلبك؛ فكيف إذا نلتَ بها وانكشف لك حقائقها .

٥١٤) وبالي أنَّ هذه النفوس الضعيفة إذا انكشف لها أنوار بعض العوالم العالية يتخيَّلن أنَّه نور الواجب تعالى من جهة ضعف مداركهنَّ وقلَّة معرفتهنَّ، كمايحكى ذلك لبعض العظماء من الأولياء[1] فضلاً عن غيرهم .

٥١٥) وكيف كان، فالقول بأنَّ «الوجود الحقيقيّ مختصٌّ بالواجب تعالى ﷻ وأنَّ وجود غيره من الممكنات ليس وجوداً حقيقيّاً بل نظير وجود العكوس في المرايا» لا استبعاد فيه .

[لايجوز التكفير بلوازم العقائد]

٥١٦) والقائلون بوحدة الوجود إن كان مرادهم ذلك فهو ليس قولاً بكون الممكن واجباً ؛ بل ولو كان القول به خطأ فهذا ليس خطأ كفريّاً، بل هو

---

١) لم أعثر عليه .

خطأ في تحقيق حقيقة الممكن، وليس في ذلك إلاّ إنكار مرتبة من الوجود له وإنكار فضيلة من فضائله، لا إثبات مرتبة الواجب له؛ بل يمكن أن يقال إنَّ القول بأنَّ للأشياء وجوداً حقيقيّاً أقرب إلى دعوى شركة الممكن مع الواجب في الوجوب وكون الممكن واجباً[1]، وهوكفر من حيث لا يُشعر.

٥١٧) ولكن الإنصاف أنَّ القائلين بذلك لايلتزمون بلازمه الكفر، كما أنَّ الإنصاف أنَّ القائلين بتوحيد الحقِّ في الوجود الحقيقي لايلتزمون بكون الممكن واجباً؛ وإن كان ذلك لازم قولهم في الواقع في نفس الأمر؛ فالتكفير بلوازم العقائد ليس على ما ينبغي.

٥١٨) وبالجملة؛ لايذهب عليك أنَّ القائلين بهذا الأمر ـ الذين قالوا به من طريق المكاشفة ـ لايقولون: «إنَّ الحجر ـ مثلاً ـ ليس موجوداً في هذا العالم المحسوس أو ليس بحجر أو ليس فيه صلابة وثقل» بل يقولون: «كما أنَّ وجوده في هذا العالم وجود ظلّيٌّ وكذلك صلابته وثقله إنَّما هو بالنسبة إلى أهل هذا العالم موجود بهذا الوجود الخاصّ ومتَّصف بهذه الصفات الخاصَّة وبالنسبة إلى أهل عوالم المثال وجود مثاليٌّ وصفاته أيضاً مناسبة لوجوده المثاليِّ، وهكذا وجوده في العالم العقليِّ وجود عقلانيٌّ وصفاته أيضاً بحسب وجوده، وهكذا إلى أن يلاحظ بالنسبة إلى عالم الذات، فلاوجود له في هذا العالم ولا أثر ولا ذكر ولا اسم ولا رسم و إنَّما الموجود الحقيقيّ هو ذات الحق تعالى في الواقع، فلاوجود لشيء غيره واقعاً.

---

١) جاء في هامش النسخة: ويتّضح ذلك بأدنى تأمّل، لأنَّ حقيّة الوجود يمتنع عليها العدم ـ وإلا لاتّصف الشيء بنقيضه أو بما يساوق نقيضه ـ وهو بديهيّ البطلان ضروريّ الفساد وكلّ ما امتنع عدمه ثبت قِدمه، فحقيقة الوجود ثبت قِدمها، فلايمكن القول بأنَّ للأشياء وجوداً حقيقيّاً؛ فتأمّل واغتنم فإن ما ذكرناه برهان الصدّيقين في إثبات توحيده تعالى، وهو معنى قول علي عليه السلام: «يامن دلَّ بذاته على ذاته».

٥١٩) فإذا تجلّى ﷻ لنبيّ أو وليٍّ بذاته فلايرى شيئاً غيره ـحتى نفسه ورؤيته ـ وفنى عن العالم وعن نفسه وعن فنائه، وبقي بربِّه، فيخبر عن الواقع ويقول: «ليس في الدار غيره ديَّارٌ» وهذا هو آخر المقامات ولامطمع لأحدٍ ـ نبيّاً كان أو وليّاً، بشراً كان أو ملكاً ـ في غيره.

[رؤية عالم المثال]

٥٢٠) لايذهب عليك أنَّ ما ذكرنا من العوالم إنَّما هي داخل هذا العالم وليس خارجاً عنه، بمعنى أنَّ هذا العالم حالة وكيفيَّة للموجودات في حدّ ومرتبة من الوجود وعالم المثال حالة وكيفيَّة أُخرى ألطف من هذه الكيفيَّات في باطن هذا العالم وليس خارجاً منه؛ فمن كان له نورٌ لعينه الحسِّيَّة واجتمع بنور الشمس أو القمر الحسِّيَّين يرى العالم الحسِّيَّ بكيفيَّات حسِّيَّة وصور حسِّيَّة، ومن كان لعينيه المثاليَّة نورٌ مثاليٌّ واجتمع نوره بنور الكواكب المثاليَّة، يرى مثال هذا العالم بكيفيَّات مثاليَّة وصور مثاليَّة؛ فإنَّ كيفيَّات العوالم وصورها مختلفة كلٌّ بحسبها ومناسبتها، وهكذا[1].

٥٢١) ويكشف عن هذا الاختلاف الرؤياوتعبيرها بمايرى واقعه مطابقاً لصورتها المثاليَّة؛ يرى النائم اللّبن، ويفسِّره المعبِّر بالعلم، ويقع في الواقع مايرى على وفق التعبير.

٥٢٢) حكي أنَّه رأى رجل في رؤياه أنَّ بيده خاتماً يختم به أفواه الناس

---

١) جاء في هامش النسخة: يجب على الموحّد أن يقول: أنّ مع جميع الأشياء وجميع أجزاء العالم موجوداً خارجيّاً حقيقيّاً محيطاً بها من جميع جهاتها، نورانيّاً قيّوماً لها، بل وموجداً لها في كلّ آن، وجودها منه وقيامها به؛ وهو مع ذلك ظاهر وباطن وأوّل وآخر، مع كل شيء لابالممازجة ودون كلّ شيء لابالمزايلة.

وفروجهم وجاء إلى المعبِّر وذكر رؤياه، قال: «إن صدق رؤياك أنت رجلٌ مؤذّنٌ تؤذّن في شهر رمضان قبل طلوع الصبح»[١] وكان كما ذكره.

٥٢٣) ويكشف عن ذلك أيضاً الأخبار الكثيرة الواردة في أحوال البرزخ والقيامة من تجسُّم الأعمال بما يناسبها من الصّور[٢].

[كيف وجد العوالم المختلفة]

٥٢٤) فحصل من جميع ما قلنا أنَّ الموجود الحقَّ الواقعي إنَّما هو الذات ـ جلَّ جلالها ـ في عالمها، وساير العوالم إنَّما هوشأن من شؤونها وتجلٍّ من تجلّياتها.

٥٢٥) مثلاً تجلَّى بالتجلّي الأولى فوجد منه العالم العقلي، ثمَّ تجلَّى ثانياً فظهر [ال]عالم النفسي ـ وهكذا ـ إلى أن خلق هذا العالم الحسِّي، ففي الخارج موجود حقيقي حقٌّ ثابت وشؤونه، فكلٌّ شأن من شؤونه عبارة عن عالم من العوالم تامّ في مرتبته، ولكلِّ عالم آثار وصفات حتى ينتهي إلى أخسِّ العوالم وأكثفها وأضيقها، وهو هذا العالم المحسوس، وهذا العالم كيفيَّة خاصَّة وصور وحدود شتَّى لازم لهذه المرتبة من الوجود؛ ووجوده وآثاره مخصوصة بعالمها ـ وهكذا.

---

١) حكي ذلك عن ابن سيرين، راجع بحار الأنوار: ٢٠٦/٦١. المستطرف: ٩٩/٢، الباب الستون في الكهانة.

٢) في هامش النسخة: والذى يمكن أن يتمثّل به لتقريب هذا المطلب ـ وان لم يطابق مع واقعه في سائر الجهات ـ هوالعلم مع المعلومات فكما أنّ المعلومات ليست موجودة إلا بالعلم وماهيّاتها غير العلم ويصحّ أن يقال: «إنّ الوجود الحقيقي واحد وهو العلم والمفاهيم المتصوّرة المعلومة إنّما هى من شؤون العلم ولاوجود لها في الواقع غير ارتباطها بالعلم» ويصحّ أن يقال أيضاً: «إنّ مفاهيمها مختلفة ومباينة لمفهوم العلم» فيرتفع الاستبعاد بذلك عن القول بنظيره في حقّ العالم ـ منه عفي عنه

[عالم الرؤيا والمثال]

٥٢٦) وعالم الرؤيا إنَّما هو من عالم المثال، فكلٌّ ما يُرى فيها فهومن هذا العالم - أرضها وسماؤها وجمادها ونباتها - بل وصور المرايا أيضاً منه، والصور الخياليَّة أيضاً منه، وهذا العالم عالم واسع بل عوالم كثيرة ؛ بل قيل : «إنَّ في عالم المثال ثمانية عشر ألف عالم» .

٥٢٧) وحكي عن بعض العرفاء أنَّ كلَّ ما ورد في الشرع مِمَّا ظاهره مجاز في عالمنا فقد وجدناه في بعض هذه العوالم حقيقة من غير تجوُّز .

٥٢٨) فكما أنَّ كلَّ ما يراه النائم في الرؤيا إنَّما هو حال وكيف مثالي يظهر لنفسه في عالم المثال، وكذلك ما يراه اليقظان في عالمنا هذا الحسِّيِّ حال وكيف حسِّيٌّ يظهر لنفسه في عالم الحسِّ .

[التطابق بين الرؤية والمرئي في الخارج]

٥٢٩) فإن قيل : «ما يراه اليقظان كيفٌ للمرئي، لا الرآئي» .

٥٣٠) قلتُ : نعم، عند العامَّة هكذا، ولكن الواقع خلافه؛ لأنَّ الرؤية حقيقتُها كيفيَّة تصويريَّة للنفس عند مقابلة المرئي لمن له عين صحيحة بشرائط مخصوصة، ولم يعلم مطابقتها لواقع صفات المرئي أيضاً، بمعنى أنْ تكون هذه الصورة المرئيَّة في الواقع كما في نفس الرائي، بل كثيرا مَّا يُرى الاختلاف في الرؤيتين لشخص واحد في زمانين أو لشخصين في زمان واحد ويختلف بالنسبة إلى القريب والبعيد، وهذا التكيُّف المعلوم للرآئي إنَّما هو بحكم الحاكم تعالى للرؤية عند حصول شرائطها على اختلاف الرائين وعلى اختلاف عوامل الرائين، ولعلَّ للعين المثالي بالنسبة إلى هذا المرئيِّ كيفيَّة أُخرى وتصوراً آخر في حكمه .

٥٣١) وبالجملة، هذا العلم الذي يحصل للرائي بأنَّ الشيء الفلاني ـ مثلاً ـ أحمر في صغر [أ]و كبر مخصوص، ليس إلاّ كيفيَّة خاصَّة لنفسه تحصل لها عند اجتماع شرائط الرؤية، ولا سبيل لنا إلى القطع بأنَّ ذلك انكشاف صفة من صفات المرئيّ على ما هو الأمر في الواقع، بل نقطع بأنَّ للمرئيّ صفة إذا رأيناها تتكيَّف أنفسُنا وتتصوَّر بهذه الصورة إذا رأيناها بعيوننا الحسِّيَّة عن قريب .

٥٣٢) ونعلم أنَّ هذه الهيأة والكيفيَّة قدتُرى بالعين المثالي بغير هذه الصورة، ونرى أنَّ الذي تراه العينُ الحسِّيَّة منالهيآت إنَّما يختلف في شيء واحد بالقرب والبعد، بل بالنسبة إلى شدَّة نورالكواكب والسرُج وضعفها، بل بالنِّسبة إلى الصحيح والمريض وبالنِّسبة إلى من أكل بعضَ الأدوية ومن لميأكل، بل إذا رأيناه بالعين اليُمنى رأينا مكانه في غير مكانه الذي نراه إذا رأيناه باليُسرى فيه، بل قد نرى الشيء الواحد اثنين إذا نظرنا إليه مثل نظر الأحول؛ وهذه كلُّها لايلائم الحكم بأنَّ الرؤية إنَّما هو نيل صفة في المرئيٍّ واقعيَّة وأيضاً لو كانت الرؤية بنيل الرائيٍّ إلى المرئيٍّ لتأثَّر من سائر صفاته أيضاً ـ من السخونة والبرودة وغيرهما .

[اتحاد العاقل والمعقول]

٥٣٣) وبالجملة، فالرؤية ـ وكذلك الخيال والتعقُّل [كما قيل] ـ إنَّما هو باتِّحاد الرآئي والمرئي والتخيُّل والمتخيِّل والعاقل والمعقول، لا بالإضافة المحضة .

٥٣٤) فالإدراك لايمكن إلاّ بنيل المدرِك لذات المدرَك وذلك إمَّا بخروجه من ذاته إلى أن يصل إليه أو بإدخاله إيَّاه في ذاته، وكلاهما محال إلاّ أن يتحدَّ معه ويتصوَّر بصورته، فالذات العالمة ليست بذاتها بعينها هي الذات الجاهلة .

٥٣٥) فالعلم بالأجسام لايتعلَّق بوجوداتها الخارجيَّة، لأنَّ صورها بما هي هي ليست حاصلة بهذا النحو من الحصول الاتّحادي إلاَّ لموادِّها وليست حاصلة لأنفسها؛ وحصولها لموادِّها ليس بنحو الحصول العلمي، إذ هي أمرٌ عدميٌّ ليست إلاَّ جهة القوَّة في الوجودات، فليس لها في أنفسها ذات يصحُّ أن يدرك شيئاً ويعلمه.

٥٣٦) وإذا لم يكن الصور الخارجيَّة للأجسام ممَّا يصحُّ أن يحصل لها شيء ـ الحصول المعتبر في العلم ـ ولاهي حاصلة لما يصحُّ [له] أن يعلمها، فليست هي عالمة بشيء[1] أصلاً ولا لشيء أن يعلمها بعينها كما هي، فهي إذاً معلومة بالقوَّة، بمعنى أنَّ في قوَّتها أن ينتزع منها عالمٌ صوراً فيعلمها، أي يتصوَّر بمثل صورها، لاستحالة انتقال المنطبعات في الموادِّ.

٥٣٧) فالمعلوم بالذات من كلِّ شيء ليس إلاَّ صوراً إدراكيَّة قائمة بالنفس متَّحدة معها ـ لا مادَّة خارجيَّة.

٥٣٨) فالمعلوم بالفعل ليس معلوما إلاَّ لعالمه، فكلُّ عالم معلومه غير معلوم عالم آخر، وهو في الحقيقة عالم وعلم ومعلوم ـ هذا.

[معرفة النفس وكيفيّة الوصول إليها]

٥٣٩) والمقصود من التعرُّض بهذه التفصيلات، التنبيه إلى الفكر في معرفة النفس وكيفيَّة الترقّي منها إلى معرفة الربِّ والاستدلال بما يستحكم به تصديق ذلك وأن يتفطَّن المبتدئ لأصول تنفع في فكره؛ وإلاَّ فليس كيفيَّة الفكر إلاَّ أن يشتغل المتفكّر تارةً لتجزأة نفسه واُخرى لتجزأة العالم حتّى

---

١) نسخة: لشيء.

يتحقَّق له أنَّ مايعلمه من العالم ليس إلاَّ نفسه وعالمه ـ لا العالم الخارجيُّ ـ وأنَّ هذه العوالم المعلومة له إنَّما هومرتبة من نفسه[١] وحتّى يجد نفسه لنفسه ماهي، ثمَّ ينفي عن قلبه كلَّ صورة وخيال، ويكون فكره في العدم[٢] حتى تنكشف له حقيقة نفسه، أي يرتفع العالم من بين يديه ويظهر له حقيقة نفسه بلاصورة ولا مادَّة .

٥٤٠) وهذا هو أوَّل معرفة النفس، ولعلَّ إلى ذلك أُشير في تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر/٢٢] حيث سُئل عنه وقال [عليه السلام][٣] : «نورٌ يقذفه اللهُ في قلبه فينشرح صدره» . قيل : «هل لذلك من علامة» ؟ قال : «علامته التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت» .

٥٤١) ولعلَّ العامَّة لايعتقدون في معنى «التجافي» إلاَّ الزهد في شهوات الدنيا ولايتصوَّرون معنى للتجافي الحقيقي الذي هو ارتفاع الغرور الواقع في هذا

---

١) سئل العلامة الطباطبائي ـ قدّس سرّه ـ عن معنى هذا الكلام فقال ما ترجمته (الاسلام والإنسان المعاصر : ٦٨ ، الطبعة الأولى) : المراد أن يلقّن الإنسان على نفسه ويعلم أنّ ما يدركه من نفسه أو من العالم الخارجي إنّما يدركه في نفسه، لا أنّه يجد العالم الخارجي ـ كما برهن على ذلك أيضاً ـ. والمراد من نفي الصور الخياليّة الإعراض عنها وحصر التوجّه القلبيّ إلى صورة نفسه، والمراد من الفكر في العدم النظر إلى صورة نفسه التي وجوده مجاز وعدم في الحقيقة .

٢) سئل العلامة الطباطبائي ـ قدّس سرّه ـ عن معنى هذا الكلام فقال ما ترجمته (نفس المصدر) : المراد من الفكر هنا غير معناه المعروف، وذلك أن يجلس الإنسان في مكان خال ساكت، ثمّ يغمض عينيه ويتوجّه إلى صورة نفسه كمن يرى صورته في المرآة، ويعرض عن كلّ صورة وخيال يخطر له وينظر إلى صورة نفسه فقط .

٣) مجمع البيان : ١٥٨/٤، بلفظ : «... فينشرح صدره» . تفسير الثعلبي : ١٧٨/٤ . بحار الأنوار : ٢٣٦/٦٨ .

العالم لأهله و عدم رؤية الأشياء كما هي ـ الذي هو شأن العامّة الذين لم‌يبلغوا بعدُ معرفة النفس بهذه المعرفة ـ هذا .

[هل يمكن إطلاق الوجود على الله تعالى]

٥٤٢) وقد بقي هنا شيء وهو أنَّ «إطلاق «الوجود» على الله ﷻ كما في ألسنة أهل المعقول لم‌يرد في الشرع، فما مقصودهم»؟

٥٤٣) أقول: وأمّا عدم وجود هذا الإطلاق في الأخبار فهو حقٌّ، إلاّ أنَّ نظائره موجودة، مثل إطلاق الحياة والعلم، ولعلَّ الذي صار سبباً لهذا الإطلاق هو نفي توهُّم زيادة الوجود على الذات، وإلاّ فالمفروض أنَّ مرادهم إنّما هو الوجود الخارجي القائم بنفسه والقيُّوم بجميع الموجودات؛ وهذا هو الذي يريده الشرع من إطلاق الموجود .

٥٤٤) فكما أنَّ إطلاق «الحياة» للحيّ تعالى إنّما هو للإشارة إلى أنَّ حياته تعالى ذاتيَّة وليست حياته شيئاً آخر وراء ذاته ـ وهكذا علمُه ـ فكذلك وجوده؛ نعم من جهة أنَّه لم يرد في الشرع أن ينادى بـ«يا وجود» و «يا حياة» و «يا علم» لانجاوز عمّا ورد .

٥٤٥) وبعبارة أُخرى لأجل عدم ثبوت تسميته تعالى بالوجود والعلم والحياة نتوقّف عن التسمية، ولكنَّ الإطلاق في مقام البيان غير التسمية، كما روي في وصفه تعالى: «إنّه علم لاجهل فيه ونور لاظلمة فيه وحياة لاموت معها» ولم يقع خطابه بـ«يا علم» و «يا حياة» .

تحقيق [معنى تنزيهه تعالى عن صفات الممكنات]

٥٤٦) قد كثر في أخبار أهل‌البيت ﷺ ما يظهر منه أنَّ من أُصولهم الكلاميَّة أنَّ

كلَّ ما وجد في الممكن من الصفات يجب نفيه عن الله تعالى، مثل قولهم عليهم الصلاة والسلام[١] : «... مستشهدٌ بحدوث الأشياء على أزليَّته وبما وسَمَها به من العجز على قدرته، وبما اضطرَّها إليه من الفناء على دوامه» .

٥٤٧) ومثل قوله عليه الصلاة والسلام[٢] : «وبتجهيره الجواهر عُرف أنَّه لاجوهر له وبتشعيره المشاعر عُرف أن لامشعر له» .

٥٤٨) وهكذا ورد أيضاً[٣] : «إنَّه تعالى حيٌّ، عالم، سميعٌ، بصيرٌ، قادرٌ، مريدٌ، كارهٌ، متكلِّمٌ» وهذه الصفات موجودة في الممكن أيضاً ؛ فكيف التوفيق ؟!

٥٤٩) وهكذا في كلام أهل المعرفة نفي صفات الإمكان عنه تعالى أمر ظاهر، وقولهم أيضاً بلزوم المناسبة بين العلَّة والمعلول في الصفات غير مستور .

٥٥٠) ووجه التوفيق إنَّما يُعرف من ملاحظة الدليل في كلامهم .

٥٥١) والدليل على الأصل الأوَّل - وهوعلى ماظهرلبعضهم - حكم الإطلاق والتقيُّد، فإنَّ من له الإطلاق الواقعي الغير المحدود بجهة من الجهات لابدَّ أن تكون صفاته مخالفة لصفات من تعيَّنت إنِّيَّته وماهيَّته من حدِّه، فالصفات التي نشأت من التعيُّن لابدَّ أن تخالف صفات من لاتعيُّن له؛ فتعيَّن أنَّ مورد الحكم الأوَّل إنَّما هو في صفات الممكن من حيث إمكانه، وأمَّا من حيث وجوده فلابدَّ أن يكون فيه من آثار صفاته جلاله بقدر قربه منه .

٥٥٢) فالعلم والقدرة والإرادة والكراهة والنطق - في الإنسان دون الجماد -

---

١) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ . التوحيد : ٦٩ . بحارالأنوار : ٢٦١/٤ .

٢) الكافي : ١٣٩/١، ح٤، بتقديم الجملة الثانية على الأولى . التوحيد : ٣٧ . بحارالأنوار : ٢٢٧/٤.

٣) التوحيد (١٣٩ ، باب صفات الذات وصفات الأفعال، ح٢) : عن الصادق عليه السلام «لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً» . وفي الباب ، ح٣، عن الرضا عليه السلام : «لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً لذاته» .

صفات وجوديَّة ثابتة لهذه المرتبة من الوجود؛ وأمثال هذه الصفات هي المراد من قول أهل المعرفة بلزوم المناسبة بين العلَّة والمعلول .

٥٥٣) فصفات الممكن نوعان : نوع منها لازمُ جهةِ وجوده، وهو لايخالف صفات الواجب، بل يشبهها[1]؛ ونوع منها لازم بجهة نفسه وماهيَّته فهو الذي يجب تنزيه موجده عنه .

٥٥٤) فما يوجد فيه من صفات الواجب فهو ليس من صفاته من حيث الإمكان[2] .

---

١) في التوحيد (١٤٦، باب صفات الذات وصفات الأفعال، ح١٤) : عن هشام بن سالم، قال دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي : «أتنعت الله»؟ فقلت : «نعم» . قال : «هات» . فقلت : «هو السميع البصير» . قال : «هذه صفة يشترك فيها المخلوقون» . قلت : «فكيف تنعته» ؟ فقال : «هو نور لاظلمة فيه، وحياة لاموت فيه، وعلم لاجهل فيه، وحقٌّ لاباطل فيه» .

٢) جاء في آخر النسخة : «حرّره العبد الآثم العاصي الراجي عفو ربّه يوم
يؤخذ بالنواصي عبد الحميد المتطبّب الملقّب بملك الأطبّاء،
في أربع عشر من شهر جمادي الثانية سنة ١٣٣٧
من الهجرة النبويّة، على هاجرها
آلاف السلام والتحيّة» .

* * * *
* * *
* *
*

الفهارس:

فهرس الآيات

الفاتحة - ١

سورة البقرة-٢

آل عمران - ٣

فهرست احادیث

در بخش فارسی

فهرس الحديث الشريف

وأقوال المعصومين ع

في القسم العربي

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

* * *

* *

*

فهرست اصطلاحات ومطالب

در بخش فارسی

فهرس الاصطلاحات والمطالب

الأبتثية

في القسم العربي

﴿أ﴾

﴿ ب ﴾

﴿ ت ﴾

﴿ د ﴾

﴿ ذ ﴾

﴿ ر ﴾

﴿ ن ﴾

فهرس الكتب

فهرس المحتوى

مقدّمه ی فارسی:

تقديم:

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

فهرست عنوان های متن کتاب

بخش فارسی

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

فهرس العناوين

في القسم العربي

❊ ❊ ❊
❊ ❊
❊

ت = تحقيق

فهرس المراجع

أثولوجيا
فلوطين
ت : عبدالرحمان بدوي
منشورات بيدار قم ١٤١٣ ق

الاحتجاج
أحمد بن علي الطبرسي
ت : هادي به- بهادري
منشورات أُسوه قم ١٤١٣ ق

إحياء علوم الدين
محمد الغزالي
دارالهادي بيروت ١٤١٢ق

الاختصاص
محمد بن محمّد بن النعمان
ت : علي أكبرالغفاري
مكتبة الصدوق
طهران ١٣٧٩ ق

الإشارات والتنبيهات
ابن سينا
المطبعة الحيدرية
طهران ١٣٧٧ ق

أُصول الكافي
محمد بن يعقوب الكليني
ت : على اكبر الغفاري
مكتبة الصدوق طهران ١٣٨١ق

أعلام الدين
حسن بن أبي الحسن الديلمي
مؤسسة آل البيت قم ١٤١٤ ق

إرشاد القلوب
حسن بن أبي الحسن الديلمي
ت : السيد هاشم الميلاني
منشورات أسوة قم ١٤١٧ ق

أسرار الصلاة
الميرزا جواد الملكي التبريزي
ت : محسن بيدارفر
منشورات بيدار قم ١٤٢٣ق

إقبال الأعمال
السيد ابن طاووس
ت :محمد الحسيني اللواساني
الطبعة الحجرية
طهران ١٣٣٠ق

الأمالي
محمد بن بابويه الصدوق
ت : مؤسسة البعثة
قم ١٤١٧ق

الأمالي
محمد بن الحسن الطوسي
ت : مؤسسة البعثة قم ١٤١٤ق

أمالي الشريف المرتضى:
الشريف المرتضى
ت : محمد ابوالفضل إبراهيم
دار إحياء الكتب العربيّة
القاهرة ١٣٧٣ ق

الأمالي
الشيخ المفيد
ت : استاد ولي - غفاري
جماعة المدرسين قم ١٤٠٣ ق

بحار الأنوار
محمد باقر المجلسي
دارالكتب الإسلامية
طهران ١٣٧٦ ق

البلد الأمين
إبراهيم بن عليّ الكفعمي
مكتبة الصدوق طهران ١٣٨٣ق

تحف العقول
ابن شعبة الحراني
ت : علي أكبر الغفاري
مكتبة الصدوق طهران ١٣٧٦ق

تأويل مختلف الحديث
ابن قتيبة
دارالكتب العلمية بيروت

تعليقات على الغاية القصوى
الشيخ جواد الملكي التبريزي
مخطوط

تفسير التبيان
الشيخ الطوسي
ت : احمد حبيب قصير العاملي
مكتب الاعلام الإسلامي قم ١٤٠٩

التفسير الصافي
الفيض الكاشاني
مكتبة الأعلمي بيروت ١٣٩٩ ق

تفسير الثعلبي .
الثعلبي
ت- أبومحمد بن العاشور
دارإحياءالتراث العربي
بيروت ١٤٢٢ ق

تفسير العياشي
محمد بن مسعود بن عياش
ت : هاشم الرسولي المحلاتي
المطبعة العلمية قم ١٣٨٠ ق

تفسير القرطبي
محمّدبن أحمد الأنصاري القرطبي
دارالكتب العلمية
بيروت ١٤١٧ق

التفسير المنسوب
إلى الإمام العسكري عليه السلام
ت : مدرسة الإمام المهدي
قم ١٤٠٩ ق

تفسير الميزان
السيد محمد حسين الطباطبائي
دارالكتب الإسلامية
طهران ١٣٧٧ ق

التهذيب
محمد بن الحسن الطوسي
ت : حسن الخرسان
دارالكتب الإسلامية
طهران ١٣٩٠ ق

التوحيد
محمد بن بابويه الصدوق
ت : السيد هاشم الطهراني
مكتبة الصدوق
طهران ١٣٨٧ق

ثواب الأعمال
محمد بن بابويه الصدوق
ت : علي أكبر الغفاري
مكتبة الصدوق طهران ١٣٩١ق

جامع الأخبار
ت : مؤسسة آل البيت
مؤسسة آل البيت قم ١٤١٤ ق

جامع الأسرار
السيد حيدر الآملي
ت : عثمان إسماعيل يحيى
انستيتو ايران وفرانسه
طهران ١٣٤٧ ش

جامع الدرر
السيد حسين الفاطمي
قم

جامع السعادات
محمد مهدي النراقي
ت ـ السيد محمد كلانتر
دارالنعمان النجف

الجعفريات
إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام
المطبوعة مع كتاب قرب الإسناد
الطبعة القديمة

جمال الأسبوع
السيد ابن طاووس
مؤسسة الآفاق ١٣٧١ ش

جوامع الجامع
أمين الدين الطبرسي
ت : أبوالقاسم الگرجي
جامعة طهران طهران ١٣٧٧ ق

الجواهرالسنية
الشيخ الحر العاملي
مكتبة المفيد قم

حلية الأولياء
أبونعيم الإصبهاني
دارالكتاب العربي
بيروت ١٣٨٧ ق

الخصال
محمد بن بابويه الصدوق
ت : علي أكبر الغفاري
مكتبة الصدوق طهران ١٤٠٣ق

در آسمان معرفت
حسن حسن زادة الآملي
تنظيم محمد بديعي
نشرتشيع قم ١٣٧٥

الدرالمنثور
جلال الدين السيوطي
دارالفكر بيروت ١٤٠٣ ق

دعائم الإسلام
القاضي النعمان المغربي
ت : آصف بن‌علي اصغرفيضي
دارالمعارف القاهرة ١٣٨٣ ق

ديوان الأشعار
المنسوبة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام
شرح كمال الدين الميبدي
ت : رحماني ـ أشك شيرين
ميراث مكتوب طهران١٣٧٩ش

ديوان حافظ
الحافظ الشيرازي
ت : قزويني ـ غني
مكتبة زوار طهران ١٣٢٠ ش

ديوان شمس تبريزى
مكتبة اميركبير طهران ١٣٦٣ش

الذريعة إلى تصانيف الشيعة
الآغا بزرك الطهراني
دار الأضواء بيروت

الرسالة القشيرية
أبوالقاسم القشيري
مكتبة بيدار قم ١٣٧٤ ق

رسالة السير والسلوك
السيد بحر العلوم
ت : السيد حسين الطهراني
منشورات حكمت طهران

روضة الكافي:
محمد بن يعقوب الكليني
ت ـ علي اكبر الغفاري
دارالكتب الإسلامية طهران

ريحانة الأدب
المدرس التبريزي
مكتبة خيام طهران الطبعة الثالثة

الزهد
حسين بن سعيد الأهوازي
ت : غلامرضا عرفانيان
مكتبة حسينيان طهران ١٤٠٢ق

شرح أسماء الحسنى
الهادي السبزواري
ت : نجفقلي حبيبي
جامعة طهران طهران ١٣٧٥ ش

شرح أُصول الكافي
المولى صالح المازندراني
ت ابوالحسن الشعراني
المكتبة الإسلاميّة
طهران ١٣٨٢ ق

شرح الإشارات
الخواجة نصيرالدين الطوسي
المطبعة الحيدرية طهران ١٣٧٧ق

شرح العرشيّة
الشيخ أحمد الأحسائي

شرح المقاصد
السيد شريف الجرجاني
ت : عبدالرحمان عميرة
عالم الكتب بيروت ١٤٠٩ ق

شرح الهداية
صدرالدين محمد الشيرازي
الطبعة الحجرية

شرح نهج البلاغة
الماتن الشريف الرضي
الشارح ابن أبي الحديد
ت : محمدأبوالفضل ابراهيم
دار إحياء الكتب العربية
القاهرة ١٣٨٥ ق

الشواهد الربوبيّة
صدرالدين محمّد الشيرازي
ت : سيد مصطفى محقق الداماد
بنيادحكمت اسلامى صدرا
١٣٨٢ ش

صحيح البخاري
محمدبن إسماعيل البخاري
مصورة عن طبعة السلطان عبدالحميد
دار إحياء التراث العربي
بيروت

صحيح مسلم
مسلم بن الحجاج النيسابوري
ت : محمد فؤاد عبد الباقي
دار إحياء الكتب العربية
القاهرة ١٣٧٤ ق

الصحيفة السجادية
أدعية الإمام السجاد عليه السلام

الصراط المستقيم
علي بن يونس العاملي
ت- محمد باقر البهبودي
المكتبةالمرتضوية طهران١٣٨٤ق

عدة الداعي
أحمد بن فهد الحلي
ت : أحمد الموحدي القمي
مكتبة الوجداني قم

علل الشرايع
محمد بن بابويه الصدوق
المكتبة الحيدريةالنجف ١٣٨٥ق

عوالي اللئالي العزيزية
ابن أبي جمهور الأحسائي
ت : مجتبى العراقي
قم ١٤٠٥ ق

عين اليقين
الفيض الكاشاني
الطبعة الحجريّة المطبوعة مع
كتاب علم اليقين لنفس المولف
طهران ١٣٠٣ ق

عيون أخبار الرضا عليه السلام
محمد بن بابويه الصدوق
ت : مهدي اللاجوردي
دارالكتب الإسلامية
طهران ١٣٧٧ ق

غرر الحكم ودرر الكلم
الآمدي
مكتبة الأعلمي بيروت ١٤٠٧ ق

الفتوحات المكية
محيي الدين ابن عربي
دارصادر بيروت

الفضائل
شاذان بن جبرئيل
المكتبة الحيدرية نجف

فلاح السائل
السيد رضي الدين بن طاوس
ت : غلام حسين المجيدي
مؤسسة الإعلام الإسلامي
قم ١٤١٩ ق

قرب الإسناد
عبد الله بن جعفر الحميري
مؤسسة آل البيت قم ١٤١٣ق

قوت القلوب
أبو طالب المكي
المطبعة الميمنية مصر ١٣٤٥ ق

كنزالعمال
علي المتقي الهندي
ت : بكري حياني وصفوة السقا
مؤسسة الرسالة
بيروت ١٣٩٩ ق

المبدء والمعاد
صدرالدين محمّد الشيرازي
ت : محمد ذبيحي وجعفر شاه نظري
بنيادحكمت اسلامى صدرا
١٣٨٢ ش

المجلي
ابن أبي جمهور الأحسائي
الطبعة الحجرية
طهران ١٣٢٩ ق

مجمع البيان
فضل بن حسن الطبرسي
ت : أبو الحسن الشعراني
المكتبةالإسلامية طهران ١٣٧٣ق

مجموعة مقالات مؤتمر الآخند ملاعلي المعصومي الهمداني
انجمن آثار ومفاخر فرهنگى
تهران ١٣٨٠ ش

المحاسن
أحمد بن محمد البرقي
ت : جلال الدين المحدث
طهران ١٣٧٠ ق

المحتضر
حسن بن سليمان الحلي
ت : السيد علي أشرف
الشريف الرضي قم ١٤٢٤ ق

المراقبات
الميرزا جواد الملكي التبريزي
ت- محسن بيدارفر
نشر بيدار قم

المستدرك على الصحيحين
الحاكم النيسابوري
مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية حيدر آباد

مستدرك الوسائل
حسين النوري
مؤسسة آل البيت قم ١٤١٥ ق

مستدركات أعيان الشيعة
حسن الأمين
دارالتعارف بيروت ١٤١٨ ق

المستطرف
محمد بن أحمد الأبشيهي
دار إحياء التراث العربي بيروت
مصورةعن طبعة القاهرة١٣٧١ق

مسكّن الفؤاد
زين الدين الشهيد الثاني
مؤسسة آل البيت قم ١٤٠٧ ق

المسلسلات في الإجازات
شهاب الدين الحسيني المرعشي
تنظيم السيد محمود المرعشي
مكتبة المرعشي قم ١٤١٦ ق

المسند
أحمد بن حنبل
دارصادر بيروت ١٣٨٩ق

مشارق أنوار اليقين
حافظ رجب البرسي
المكتبة الأعلمي بيروت

مصباح الشريعة
ت : حسن المصطفوي
مركزنشرالكتاب طهران١٣٧٩ق

مشكاة الأنوار
علي بن الحسن الطبرسي
مؤسسة آل البيت قم ١٤٢٣ ق

مصادقة الإخوان
الشيخ الصدوق

مصباح الزائر
السيد ابن طاووس
مؤسسة آل البيت قم ١٤١٧ ق

مصباح المتهجد
محمد بن الحسن الطوسي
ت : إسماعيل الأنصاري قم

معاني الأخبار
الشيخ الصدوق
ت : علي أكبر الغفاري
مكتبة الصدوق
طهران ١٣٧٩ ق

المصباح (جنة الأمان الواقية)
إبراهيم بن علي الكفعمي
مكتبة اسماعيليان طهران ١٣٤٩

المقنعة
الشيخ المفيد
جامعة المدرسين قم ١٤٠٥ ق

من لايحضره الفقيه
محمد بن بابويه الصدوق
ت : علي أكبر الغفاري
مكتبة الصدوق
طهران ١٣٩٢ ق

مناقب آل أبي طالب
محمدبن علي بن شهرآشوب
المطبعة العلمية قم

مهج الدعوات
السيد بن طاووس
مؤسسة الأعلمي بيروت١٤١٤ق

المحجة البيضاء
الفيض الكاشاني
ت : علي أكبر الغفاري
مكتبة الصدوق طهران١٣٣٩ش

نقباءالبشر(طبقات أعلام الشيعة)
الشيخ الآغا بزرك الطهراني
دارالمرتضى مشهد ١٤٠٤ ق

نهج البلاغة
الشريف الرضي
جماعة المدرسين قم ١٤٢٢ ق

نهج الحق
العلامة الحلي
ت : عين الله الحسني الأرموي
دارالهجرة قم ١٤١٤

نورالبراهين
السيد نعمة الله الموسوي الجزائري
ت : السيد مهدي الرجائي
جامعة المدرسين
قم ١٤١٧ ق

الوافي
الفيض الكاشاني
ت : ضياء الدين الحسيني
مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام
أصفهان ١٤٠٦ ق